تعیین الثقل الاکبر

مجموعه ای از رسائل و آثار

جلد سوم

گردآوری و تحقیق

مؤسسه فرهنگی هنری شمس الضحی

تعیین الثقل الأکبر

مجموعه‌ای از رسائل و آثار

جلد سوم

شبکة الفکر
alfeker.net

گردآوری و تحقیق

موسسه فرهنگی هنری شمس الضحی

سرشناسه : موسسه فرهنگی شمس الضحی.
عنوان و پدیدآور : تعیین الثقل الاکبر: (مجموعه رساله‌ها و کتاب گزیده هایی در تعیین قرآن یا اهل بیت علیهم السلام به عنوان ثقل اکبر) /تصحیح و تحقیق موسسه فرهنگی شمس الضحی.
مشخصات نشر : تهران: شمس الضحیٰ، ۱۳۸۷.
مشخصات ظاهری : ۳ ج.
شابک : (ج۳) : 978 - 964 8767 - 44 - 5 ISBN
(دوره) : 978 - 964 - 8767 - 45 - 2 ISBN
وضعیت فهرستنویسی : فیپا.
یادداشت : فارسی - عربی.
یادداشت : کتابنامه.
موضوع : احادیث خاص (ثقلین).
رده بندی کنگره : ۱۳۸۷ ۷ت ۷ث / BP۱۴۵
رده بندی دیویی : ۲۹۷/ ۲۱۸
شماره کتابشناسی ملی : ۱۳۰۲۶۰۸

▼

تعیین الثقل الأکبر مجموعه‌ای از رسائل وآثار(جلد سوم)
تحقیق وگردآوری : مؤسسه فرهنگی شمس الضحی
ناشر: شمس الضحیٰ
چاپ اول: زمستان ۱۳۹۵
تیراژ: ۵۰۰ نسخه
لیتوگرافی: پرتو شمس
چاپ: نگارش
شابک (جلد سوم): ۵ ـ ۴۴ ـ ۸۷۶۷ ـ ۹۶۴ – ۹۷۸
شابک (دوره): ۲ ـ ۴۵ ـ ۸۷۶۷ ـ ۹۶۴ – ۹۷۸
صندوق پستی : تهران - ۳۱۴۱ – ۱۹۳۹۵

انتشارات شمس الضحی

مراکز پخش :
۱) قم، خیابان معلم، مجتمع ناشران، طبقه همکف، واحد ۹، تلفن: ۳۷۷۴۴۹۸۸ و ۳۷۷۳۳۴۱۳
۲) قم، انتهای خیابان صفائیه، بعد از کوچه شمارهٔ ۳۹، پلاک ۷۵۹، طبقهٔ دوم، فروشگاه دلیل ما، تلفن ۳۷۷۳۷۰۱۱ - ۳۷۷۳۷۰۰۱
۳) تهران، خیابان انقلاب، خیابان فخررازی، فروشگاه دلیل ما، پلاک ۶۱، تلفن ۶۶۴۶۴۱۴۱
۴) مشهد، چهارراه شهداء، ضلع شمالی باغ نادری، کوچه شهید خوراکیان، مجتمع تجاری گنجینه کتاب، طبقه اول، فروشگاه دلیل ما، تلفن ۵ ـ ۳۲۲۳۷۱۱۳

www.shamsozoha.ir

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شمس الضحى

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه، و سلام على عباده الذين اصطفى محمّد و آله خير الورى، و اللعنة الدائمة على أعدائهم شرّ الورى.

١. إنّ أوّل مخلوق خلقه اللّه تعالى هو الحقيقة النورانية و غير المادّية التي لا تعيّن لها ـ حيث تتجلّى في مصداق اسم الجلالة؛ و هو «اللّه» تعالى ـ.

فالمقصود و المراد التامّ للّه تعالى هو المقام النوراني: أي الكلمة التامّة. و الكلمة التامّة هي المقام النورانيّ لحبيب اللّه على الإطلاق النبيّ محمّد المصطفى صلّى اللّه عليه و آله الذي يكوّن الحقيقة الثلاثية الإلهيّة لدينه، و هي: كتاب اللّه، و بيت اللّه، و أهل اللّه، أو القرآن المجيد، و الكعبة المكرّمة، و أهل بيت العصمة و الطهارة.

﴿ فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِه وَ النُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنا وَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1]

و عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: إنّ اللّه سبحانه تفرّد في وحدانيّته ثمّ تكلّم بكلمة فصارت نوراً، ثمّ خلق من ذلك النّور محمّداً و عليّاً و عترته عليهم السلام، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت روحاً و أسكنها في ذلك النور، و

---

١. التغابن: ٨.

أسكنه في أبداننا، فنحن روح اللّه و كلمته احتجَبَ بنا عن خلقه[١].

و عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «إنّ اللّه تبارك و تعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوّت و باللفظ غير منطق و بالشخص غير مجسّد و بالتشبيه غير موصوف و باللون غير مصبوغ، منفيّ عنه الأقطار، مبعّد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ كلّ متوهّم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، و حجب منها واحداً و هو الاسم المكنون المخزون، فهذه الأسماء التي ظهرت فالظاهر هو اللّه تبارك و تعالى...»[٢].

٢. القرآن المجيد، و هو قراءة اللّه المتعال لذاك المقام النورانيّ الذي اتّصف به حبيبه، فهو تعريف و تعليم و تفصيل له، لأنّ «الكلام» تفصيل الكلمة:

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرآن خَلَقَ الإنْسانَ عَلَّمَهُ البَيانَ ﴾[٣] ﴿ وَ مَا كانَ هذَا القُرآن أن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّه وَلَكن تَصْدِيق الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيل الكِتاب لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَبِّ العالَمِينَ ﴾[٤].

٣. إنّ ذاك المقام النورانيّ الساميّ الذي لا يرقى إليه راق، ليس إلّا سمة من سمات اللّه تعالى لا غير:

قال عليّ بن الحسين عليهما السلام: «حدّثني أبي عن أخيه الحسن، عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام أنّ رجلاً قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن

---

١. بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٣.

٢. الكافي: ج ١، ص ١١٢.

٣. الرحمن: ١ ـ ٣.

٤. يونس عليه السلام: ٣٧.

بسم اللّه الرحمن الرحيم ما معناه؟ فقال: إنّ قولك: اللّه أعظم اسم من أسماء اللّه عزّ و جلّ، و هو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمّى به غير اللّه، و لن يسمّ به مخلوق»[١].

و لهذا، فإنّ هذا المقام المنيع الأكبر من مقاماته المتعيّنة المتنزّلة: فحقيقة الصور المتعيّنة كانت واحدة كما أنّ مآل و مآب جميعها تعود إلى حقيقة الصادر الأوّل؛ يعني مقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المنيع.

فعن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «دعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أصحابه بمنى، فقال: يا أيّها النّاس، إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب اللّه و عترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض. ثمّ قال: أيّها النّاس، إنّي تارك فيكم حرمات اللّه: كتاب اللّه و عترتي و الكعبة البيت الحرام»[٢].

و الصورة الإنسانيّة لتلك الصور المتعيّنة، أفضل من صوره المكتوبة المدوّنة و اللفظية، و الحجريّة؛ لأنّ الصورة الناطقة للحقيقة أفضل من الصورة الصامتة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا كلام اللّه الناطق، و هذا كلام اللّه الصامت».

و لكي ندرك معرفة و علم و فهم هذين الوجودين فلا مناص من الرجوع إلى هذا، كما أنّ الواقع يثبت هذه الحقيقة.

فَـ «كتاب اللّه» و «عترة رسول اللّه» صلّى اللّه عليه و عليهم أجمعين «لن يفترقا» من منظار معنويّ لأنّهما حقيقة واحدة، فلا شرخ بينهما و لا فجوة؛ و هما

---

١. بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٢٣٢.

٢. المصدر السابق: ١٤٠.

وجود واحد. و أمّا من حيث المنظار الماهويّ فَـ«كتاب اللّه» مصدره الذات المقدّسة الإلهيّة، و «عترة اللّه» تمثّل الوجود المقدّس لأولئك الأبرار صلوات اللّه عليه و عليهم أجمعين لذلك فَـ«كتاب اللّه» أفضل من «عترة رسول اللّه» صلوات اللّه عليه و عليهم أجمعين. لكن و من منظار فعليّ تعتبر العترة أفضل من الكتاب لأنّ قوام القرآن و استقامته و قيامه إنّما هو بالعترة، فالعترة تعدّ الصورة الناطقة للكتاب.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[١]

و قد جاء عن الأئمّة عليهم السلام و ضمن تفسيرهم لهذه الآية أنّهم قالوا: «يهدي إلى الإمام» كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا كلام اللّه الناطق، و هذا كلام اللّه الصامت»[٢].

لكنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أفضل من الاثنين؛ لأنّه عليه السلام من حيث المعنى صادر من اللّه بشكل مباشر، و كذا من حيث الصورة هو ناطق عنه تعالى. فلذلك يكون المآل و المآب الأحسن لهذين الحسنين إليه عليه السلام: «حتّى يردا عليّ الحوض». فالواقع يثبت حقيقة أنّ من يريد إدراك تعريف و تعليم و تفهيم خطى السير من الضلال إلى الهدى فلا بدّ له من الرجوع إلى ذلك الوجود الناطق.

٤. وقد صار بحث تفضيل الكتاب و العترة و تعيين الثقل الأكبر منهما من المباحث المطروحة بين الفضلاء المتقدّمين، فأبدوا طائفة منهم آراءهم في تصانيفهم

---

١. الإسراء: ٩.

٢. راجع: تفسير البرهان، ج ٤، ص ٥٣٩.

التي وصلت إلينا، ومن المعروفين القائلين بأكبريّة القرآن وتفضيله على العترة الطاهرة عليهم السلام العالم الباحث المولى إسماعيل المازندرانيّ الخاجوئيّ الإصفهانيّ حيث ألّف في هذا المضمار: «تبصرة الإخوان في بيان أكبريّة القرآن». و قد تصدّى لردّه على ضوء معارف الكتاب و الحديث و الكلام أكابرٌ من علمائنا الإماميّة، فألّفوا تصانيف جيادٍ اهتممنا بجمعها وتحقيقها في هذه الموسوعة الموسومة بِـ:

«تعيين الثقل الأكبر»

ونشكر الإخوة الفضلاء العاملين في المؤسّسة لما بذلوا من جهود في تحقيق هذه الموسوعة المزيّنة بسمة الكتاب و العترة، كما نشكر أُسرة الوجيه المرحوم خير الحاج مرتضى ورشوچيان لما تحمّلوا من نفقة إعدادها و تهيئتها للنشر، والحمد لِلّه وحده.

مؤسّسة شمس الضحى الثقافية

تعيين الثقل الأكبر: ٢

تبصرة الإخوان

في بيان أكبريّة القرآن

تأليف

المولى محمّد إسماعيل بن الحسين الخواجوئيّ المازندرانيّ

المتوفّى ١١٧٣ هـ

تصحيح و تحقيق

مؤسّسة شمس الضحى الثقافيّة

ترجمة المؤلّف

المولى محمّد إسماعيل بن الحسين بن محمّد رضا بن علاء الدين محمّد المازندرانيّ الإصفهانيّ، المشهور بالخواجوئيّ.

و الخاجوئيّ نسبة إلى محلّة معروفة في إصفهان، متّصلة بالجسر العتيق على نهر زاينده رود المعروف بـ«جسر الخواجو» و قد انتقل إليها المترجم في فتنة الأفاغنة، و كانت المحلّة في زمانه خارج بلدة إصفهان، و أخذها مسقط رأسه حتّى اشتهر بالنسبة إليها.

قال الشيخ عبدالنبيّ القزوينيّ: كان من العلماء الغائصين في الأغوار، و المتعمّقين في العلوم بالاسبار، و اشتهر بالفضل، و عرفه كلّ ذكيّ و غبيّ، و ملك التحقيق الكامل حتّى اعترف به كلّ فاضل زكيّ.

و كان من فرسان الكلام، و من فحول أهل العلم، و كثرة فضله تزري بالبحور الزاخرة عند الهيجان و التلاطم، و الجبال الشاهقة و الأطواد الباذخة، إذا قيست إلى علوّ فهمه كانت عنده كالنقط، و الدراريّ الثاقبة إذا نسبت إلى نفوذ ذهنه كأنّها حبط .... و كان رحمه اللّه مع ذلك ذا بسطة كثيرة في الفقه و التفسير و الحديث مع كمال التحقيق فيها[1].

---

١. تتميم أمل الآمل: ٦٧.

و قال المحقّق الخوانساريّ: العلم العالم الجليل مولانا إسماعيل ... كان عالماً بارعاً، و حكيماً جامعاً، و ناقداً بصيراً، و محقّقاً نحريراً، من المتكلّمين الأجلّاء، و المتتبّعين الأدلّاء، و الفقهاء الأذكياء، و النبلاء الأصفياء. طريف الفكرة، شريف الفطرة، سليم الجنبة، عظيم الهيبة، قويّ النفس، نقيّ القلب، زكيّ الروح، وفيّ العقل، كثير الزهد، حميد الخلق، حسن السياق، مستجاب الدعوة، مسلوب الادّعاء، معظماً في أعين الملوك و الأعيان، مفخماً عند أُولي الجلالة و السلطان.

حتّى أنّ النادر شاه ـ مع سطوته المعروفة و صولته الموصوفة ـ كان لا يعتني من بين علماء زمانه إلّا به، و لا يقوم إلّا بأدبه، و لا يقبل إلّا قوله، و لا يمتثل إلّا أمره، و لا يحقّق إلّا رجاه، و لا يسمع إلّا دعاه، و ذلك لاستغنائه الجميل عمّا في أيدي الناس، و اكتفائه بالقليل من الأكل و الشرب و اللباس، و قطعه النظر عمّا سوى اللّه، و قصده القربة فيما تولّاه[١].

و قال السيّد محسن الأمين نقلاً عن بعض كتب معاصريه: عالم عارف حكيم متألّه، جامع ناقد بصير محقّق نحرير، عابد زاهد جليل معظم نبيل، مكتف من الدنيا بالقليل ... من قدماء العلماء و مشاهير الفضلاء، ممتاز بحدّة الذهن، فضائله لا تعدّ، و له تعاليق كثيرة، و لم يكن له نظير، و قد كان في إصفهان التي كانت تفتخر به[٢].

كان من مشايخه في الفقه و الحديث و الحكمة:

الشيخ حسين الماحوزيّ، و المولى محمّد جعفر بن محمّد طاهر الخراسانيّ الإصفهانيّ، و الفاضل الهنديّ، و المولى محمّد صادق الأردستانيّ، و المولى

---

١. روضات الجنات ١: ١١٤.

٢. أعيان الشيعة ٣: ٤٠٢.

حمزة الكيلانيّ.

و يعدّ من تلامذته:

المولى مهديّ النراقيّ، و الآقا محمّد بن محمّد رفيع الجيلانيّ المشهور بالبيد آباديّ الإصفهانيّ، و الميرزا أبو القاسم المدرّس الخاتون آباديّ[1].

و من آثاره القيّمة:

١. بشارات الشيعة.

٢. ذريعة النجاة من مهالك تتوجّه بعد الممات.

٣. رسالة في تحقيق و تفسير معنى الناصبيّ.

٤. طريق الإرشاد إلى فساد إمامة أهل الفساد.

٥. رسالة في الرضاع.

٦. رسالة في صلاة الجمعة.

٧. هداية الفؤاد إلى نبذ من أحوال المعاد.

٨. رسالة في الحبوة.

٩. الفوائد الرجاليّة.

١٠. مفتاح الفلاح و مصباح النجاح في شرح دعاء الصباح.

١١. التعليقة على مشرق الشمسين للشيخ البهائيّ.

١٢. تبصرة الإخوان في بيان أكبريّة القرآن: و هو الكتاب الماثل بين يديك، وقد حقّقناه على مخطوطته الوحيدة الموجودة في مكتبة آية اللّه العظمى المرعشيّ

---

١. انظر: خاتمة المستدرك ٣: ٣٩٦، روضات الجنات ٣: ٢٦١.

النجفيّ بقم، الرقم ٣٠٢٣، و هي بخطّ المؤلّف رحمة اللّه عليه[١].

و قد تابعنا هذا الكتاب بإيراد أحد الردود التي كتبت عليه، وهو الكتاب الموسوم بِـ«كشف الحجاب في تفضيل العترة على الكتاب» من مؤلّفات الفاضل المحدّث الفقيه الشيخ مكّي بن صالح البحرانيّ، الذي لم نعرف عن حياته شيئاً غير أنّه ألّف هذا الردّ في إصفهان بعد عودته من زيارة العتبات المقدّسة سنة ١١٥٣ للهجرة. و أثبت فيما كتبه من خلال مقدّمة و ثلاثة أبواب و خاتمة أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام هم الثقل الأكبر[٢].

و أيضاً قد حقّقنا الكتاب الأخير على النسخة المصوّرة الموجودة بمركز إحياء التراث الإسلامي بقم، الرقم ٧١١، نسخها الحسين البطّال في شهر محرّم الحرام عام ١١٥٤ للهجرة في ٦٥ ورقة[٣].

---

١. فهرس المكتبة ٨: ٤٨٢.

٢. للمؤلّف ترجمة وجيزة في تراجم الرجال ٣: ٣٧٣ الرقم ٢٨٠٧.

٣. فهرس المركز، قسم المصوّرات ٢: ٣٥٤.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي بعث محمّداً ﷺ بقرآن قد بيّنه، وفرقان قد أحكمه، ليعلم العباد ربّهم بعد أن جهلوه، وليقرّوا به بعد أن جحدوه، وليثبتوه بعد أن أنكروه، فتجلّى سبحانه لهم فى كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته وخوفهم من سطوته، والصلاة على أشرف بريّته محمّد وآله وعترته.

وبعد: يقول العبد الضعيف النحيف الفاني الجاني محمّد بن الحسين المدعوّ بإسماعيل المازندرانيّ: من غرائب ما اتّفق لي مع بعض الفضلاء المعاصرين أنّي ذات يوم دخلت عليهم في مجمع لهم في دار الضيافة، فإذا هم يجادلون في مسألة كانت بينهم ويمارون فيها مراء ظاهراً ولا يستفتي فيهم منهم أحدٌ، بل كلّ واحد منهم في صدد الإفتاء وردّ قول الآخر من غير نظر دقيق، أو فكر عميق.

فقائل يقول: هذا الخبر ليس له عين ولا أثر في طريق الخاصّة، فيجب طرحه وضربه عرض الحائط وردّه، فإنّه صابونيّ رديء.

وقائل يقول: وهو مناف لقوله تعالى: «لولاك لما خلقت الأفلاك»[1].

وآخر يقول: «إنّهم عليهم السلام مثله ﷺ في الدرجة والمرتبة» وهذا الخبر ينافيه ويناقضه.

---

١. المناقب، ج ١، ص ٢١٦؛ تأويل الآيات، ص ٤٣٠؛ بحارالأنوار، ج ١٦، ص ٤٠٥.

وآخر ضارب لنفيه تمثيلات ركيكة وشعريّات سخيفة.

وآخر يقول: قوله ﷺ: «أنا كلام الله الناطق» يدلّ على كونه أفضل من القرآن، للفرق البيّن بين الناطق والصامت... إلى غير ذلك من الأقوال والأمثال الّتي لا يهمّنا ذكرها، لكونها بحذافيرها ممّا لا محصّل له في هذا المقام، بل هو خارج عمّا هم فيه من الكلام، فالحريّ بنا تركه مع ما فيه، فإنّ من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه.

فلمّا استخبرنا عنهم الحال والّذي دعاهم إلى ذلك القيل والقال، قال قائل منهم: إنّ الحديث الفلانيّ يدلّ على أنّ القرآن أفضل من آل محمّد وأكبر منهم، وذلك محلّ الإشكال، لما قرعت سمعك من الأقوال والأمثال.

فقلت: قد بلغني من العقلاء إنّهم يقولون: كلّ ما قرع سمعك من الغرائب فذره في بقعة الإمكان ما لم يزدك عنه قائم البرهان، وليس لهم على ما قرع سمعهم من حديث الأفضليّة دليل يزودهم عنه، فكيف ينكرونه ويثأبون عنه وهو خلاف طور العقل والنقل؟

ألا يرون إلى قول سيّدنا أميرالمؤمنين وسند المتّقين سلام الله عليه وعلى أولاده الأطيبين: «فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون؟

ثمّ شارعنا معهم في المقال وصرنا نزيل عنهم ما عرض لهم من الإشكال، فخلطوا المبحث كما هو دأبهم ودأب نظرائهم حين العجز وتمام الحجّة وانتقلوا عنه إلى مسألة أُخرى، فبينا نحن فيها إذ جاءت المائدة وفاتت الفائدة لما هو المشهور بين الجمهور: إذا جاء الطعام بطل الكلام.

فلمّا أن رفعت المائدة وحان حين تدارك الفائتة انقضى ذلك المجلس وتفرّق القوم ولم يتّفق لنا بعد ذلك مقام يناسبه التقريب لإعادة ذلك الأمر الغريب، فأردنا أن

نشير إلى مزالّ أقدامهم منبّهاً على مغالطات مبانيهم ومشاغبات معانيهم وإن نكلّمهم في بعض المواضع بصاعهم، أو نسقيهم بكأسهم.

والله يعلم منّا أنّ ذلك ليس ممّا تقضيه دأبنا، أو يتعوّده خلقنا، بل ليس غرضنا وقصدنا بذلك كلّه إلّا سلوك طريق الحقّ والإنصاف، وأن تظهر حقيقة الحال في تلك المسألة من غير الاعتساف، لئلّا يغير المقلّد بقول من يدّعي شيئاً لا يقدر على بيان ما يدّعيه، وإن بذل فيه كمال جهده وتمام مساعيه.

فهذا هو الّذي دعاني إلى تأليف هذه الرسالة راكبين فيه من غير بدّ على متن العجالة، مستعينين بالله وبعده برسوله محمّد وآله النبالة، ذاكرين فيها ما يخطر بالبال على سبيل الاحتمال، فإن كان من الحقّ فهو الحقّ، وإن كان من الوسواس الشيطانيّة فنعوذ بالله منه، والله يعلم حقيقة الحال، وسمّيتها بـ« تبصرة الإخوان في بيان أكبريّة القرآن » ورتّبتها على مقدّمة وفصلين وخاتمة:

أمّا المقدّمة ففي ذكر رسوم القرآن وتعريفاته على ما ذكره القوم.

وأمّا الفصل الأوّل ففي نقل الأحاديث الواردة في ذلك الباب من طرق الخاصّة والعامّة.

وأمّا الفصل الثاني ففي أجوبة الشكوك والشبهات الموردة على ذلك الباب.

وأمّا الخاتمة ففي ختم الكتاب وبيان جملة من الأخبار المذكورة في ذلك الباب، والله يهدي إلى الصراط السويّ والطريق الصواب.

المقدّمة

[في ذكر رسوم القرآن وتعريفاته على ما ذكره القوم]

القرآن كالفرقان مصدر على زنة فعلان بمعنى المفعول، وفي اللغة بمعنى الجمع والتلاوة، ثمّ نقل إلى المجموع المتلوّ المشهور وهو كلام الله ووحيه وقوله والقصص الحقّ والقول الفصل وما هو بالهزل، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ويقال له: الفرقان، كما يقال: الكتاب والقرآن إلّا أنّ القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به، كما هو المرويّ عن الصادقين عليهما السلام في الفرق بينهما[1]، وذلك الكتاب الّذي لا ريب فيه معجزة رسول الله صلى الله عليه وآله ومبنيّ أُصول الديانات وفروعها، ومنه يستنبط مسموعها ومعقولها.

وقيل في تعريفه: إنّه كلام منزل للإعجاز بسورة منه، وهو دوريّ مع استلزامه خروج البعض، فينبغي حذف قوله: بسورة منه.

ونقل عن جماعة منهم الغزاليّ ومحمّد بن بابويه رحمه الله: أنّ القرآن هو ما نقل بين دفّتي المصحف تواتراً، وهو أيضاً دوريّ مع استلزامه دخول تراجم السور.

وقيل: هو ما لا تصحّ الصلاة بدون تلاوة بعضه، وهو مع استلزامه خروج

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٦٣٠، الحديث ١٢، وفيه عن الصادق عليه السلام.

البعض مستلزم لدخول التشهّد ونحوه.

وقال مولى محمّد صالح المازندرانيّ نوّر الله مرقده الشريف في شرحه على «معالم الأُصول»: هو كلام منزل للإعجاز بسورة من جنسه، ويرد عليه بعض ما ورد على سوابقه.

وقال الشهيد في «الذكرى» في الإشارة السادسة: الكتاب هو الكلام المنزل لمصالح الخلق والإعجاز بسورة منه، وفيه ما عرفته مع شيء زائد.

وقال الشيخ البهائيّ ﷺ: ولو قيل هو ما يكون بعض نوعه معجزاً، أو هو كلام يحرم على المكلّف مسّ خطّه محدثاً لكان أولى، لسلامته عن لزوم الدور ودخول التراجم وخروج البعض.

وقالت المعتزلة: القرآن هو هذا الكلام المؤلَّف المنتظم من الحروف المسموعة المفتتح بالتحميد المختتم بالاستعاذة، وهو ممّا علم بالضرورة من دين محمّد ﷺ حتّى العوام والصبيان، قالوا: وعليه انعقد إجماع السلف وأكثر الخلف، وإليه مرجع ما اشتهر من خواصّه، ككونه ذكراً عربيّاً منزّلاً مقروّاً مسموعاً مكتوباً مقروناً بالتحدّي، مفصّلاً إلى السور والآيات، قابلاً للنسخ، وارداً عقيب إرادة التكوين.

فهو إسم لهذا المؤلّف المخصوص لا من حيث تعيين المحلّ فيكون أحداً بالنوع باقياً عند المكتوب قائماً باللوح المحفوظ وبكلّ مصحف ولسان لا يزداد بازدياد المصاحف ولا ينقص بنقصانها، فكلّ ما يقرأه القاري ـ أيّ قارٍ كان ـ كان عينه، كما يدلّ عليه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾[1]

وهكذا الحكم في كلّ شعر وكتاب يُنسب إلى مؤلّفه لا مثله، كما زعمه أبوهاشم

---

١. التوبة: ٦.

وأتباعه القائلون بأنّه من جنس الأصوات والحروف ولا يحتمل البقاء حتّى زعموا أنّ المرقوم في اللوح المحفوظ والمكتوب في المصاحف والمقروّ بكلّ لسان ليس بقرآن إلّا أوّل لسان اخترعه الله فيه لاستلزامه التكلّف والتجوّز في إطلاق قاري القرآن وحافظه وما كتب فيه وغير ذلك.

واعلم! أنّ القوم أرادوا بذلك كلّه تصوير مفهوم لفظ القرآن في عرف المتشرّعة ليعلم أنّ ذلك هو الدليل الشرعيّ وعليه الأحكام من منع التلاوة جنباً على المشهور والمسّ محدثاً إلى غير ذلك وإلّا فهو اسم علم شخصيّ والتعريف إنّما يكون للحقائق الكلّيّة، ولذا قيل: إنّ ضابطه معرفته التواتر في متون المصحف وصدور الحفّاظ دون التحديد والتعريف؛ هذا جملة ما ذكروه، ومن أراد التفصيل فليراجع إلى مظانّه.

الفصل الأوّل

[في نقل الأحاديث الواردة في الباب]

قال أبوالحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّيّ ـ طابت مثاويهم ـ في أوائل ديباجة تفسيره المشهور بيننا وبين الجمهور في مقام ذكر شرافة القرآن وجلالة خطره وعظمة قدره: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجّة الوداع في مسجد الخيف:

وإنّي فرطكم وإنّكم واردون على الحوض؛ حوض عرضه مابين بصرى وصنعاء، فيه قدحان من فضّة عدد النجوم، ألا وإنّي سائلكم عن الثقلين.

قالوا: يا رسول الله! وما الثقلان؟

قال: كتاب الله؛ الثقل الأكبر طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فتمسكوا به لن تضلّوا ولن تزلّوا، والثقل الأصغر؛ عترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كإصبعي هاتين ـ وجمع بين سبّابتيه ـ ولا أقول كهاتين ـ وجمع بين سبّابته والوسطى ـ فتفضل هذه على هذه»[1].

وفي رواية سليم بن قيس: «كهاتين ـ وأشار بالإصبعين المسبّحتين ـ ولا أقول: كهاتين؛ لأنّ إحداهما أطول من الأُخرى ـ وأشار بالمسبّحة والوسطى ـ»[2]،

---

١. تفسير القمي، ج ١، ص ٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٢٩.

٢. كتاب سليم بن قيس، ص ٦١٦؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٠٩.

الحديث.

ثمّ قال القمّيّ ﷺ: «فالقرآن عظيم قدره، جليل خطره، بيّن ذكره، من تمسّك به هدي، ومن تولّى عنه ضلّ وزلّ»[١]، ... إلى آخر ما قاله هناك.

وهذا منه زيد أجره صريحة في أنّه ﷺ كان معتقداً بذلك ومتديّناً به حيث فرّع عظمة قدره وجلالة خطره على كونه أكبر الثقلين من غير نكير ولا تأويل، فلولا أنّه كان متديّناً به لما كان يذكره في مثل هذا المقام مستشهداً به على ما سبق منه من الكلام، أو كان يأوّله بما يطابق رأيه، كما هو دأبه في أكثر المقامات وذكر أمر بيّن رشده لا سترة فيه، ومن أراد زيادة معرفة بذلك فعليه بديباجة تفسير ذلك العلّام[٢].

وروى ـ طاب رمسه ـ في سورة آل عمران بإسناده المتّصل إلى أبي ذر ﷺ قال: «لمّا نزلت كريمة: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[٣] قال رسول الله ﷺ: ترد عَلَيّ أُمّتي يوم القيامة على خمس رايات:

فراية مع عجل هذه الأُمّة، فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟

فيقولون: أمّا الأكبر فحرّفناه ونبذناه وراء ظهورنا، وأمّا الأصغر فعاديناه وأبغضناه وظلمناه.

فأقول لهم: ردّوا إلى النار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم.

ثمّ ترد عليّ راية مع فرعون هذه الأُمّة فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟

فيقولون: أمّا الأكبر فحرّفناه ومزّقناه وخالفناه، وأمّا الأصغر فعاديناه

---

١. تفسير القمي، ج ١، ص ٤.

٢. أُنظر: تفسير القمى، ج ١، ص ٣.

٣. آل عمران: ١٠٦.

وقاتلناه.

فأقول لهم: ردّوا إلى النار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم.

ثمّ ترد عليّ راية مع سامريّ هذه الأُمّة، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟

فيقولون: أمّا الأكبر فعصيناه وتركناه، وأمّا الأصغر فضيّعناه وصنعنا به كلّ قبيح.

فأقول لهم: ردّوا إلى النار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم.

ثمّ ترد عليّ راية ذي الثدي مع أوّل الخوارج وآخرهم، فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟

فيقولون: أمّا الأكبر فمزّقناه وبرئنا منه، وأمّا الأصغر فقاتلناه وقتلناه.

فأقول لهم: ردّوا إلى النار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم.

ثمّ ترد عليّ راية مع إمام المتّقين وسيّد الوصيّين وقائد الغرّ المحجّلين ووصيّ رسول ربّ العالمين، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟

فيقولون: أمّا الأكبر فاتّبعناه وأطعناه، وأمّا الأصغر فأجبناه ووالیناه ووازرناه ونصرناه حتّى أُهريقت فيهم دماؤنا.

فأقول لهم: ردّوا إلى الجنّة رواة مرويّين مبيضّة وجوهكم.

ثمّ تلا رسول الله ﷺ: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1]»[2]. انتهى حديث عليّ بن إبراهيم

---

١. آل عمران: ١٠٦ و١٠٧.

٢. تفسير القمي، ج ١، ص ١٠٩؛ بحارالأنوار، ج ٣٧، ص ٣٤٦.

الثقة، وهو حديث مفصّل مبسوط موافق للقرآن ومؤيّد بقوله ﷺ: «ستكثر من بعدي الأحاديث فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالفه فانبذوه مصرّح، فيه خمس مواضع بأكبريّة الكتاب وأصغريّة العترة على وجه غير قابل للتأويل، وقد نظمه السيّد ابن محمّد الحميريّ في آخر قصيدته الطويلة المشهورة، حيث قال:

والناس يوم الحشر راياتهم ... خمس فمنها هالك أربع
فراية العجل وفرعونها ... وسامريّ الأُمّة المُشنّع
ورايةٌ يقدمها حبتر ... للزور والبهتان قد أبدع
ورايةٌ يقدمها نعثل ... لا بردّ الله له مضجع
ورايةٌ يقدمها أدلم ... عبد لئيم لكّع أكوع
أربعة في سقرٍ أُودعوا ... ليس لهم من قعرها مطلع
ورايةٌ يقدمها حيدر ... ووجهه كالشمس إذ تطلع
غداً يلاقي المصطفى حيدر ... ورايةُ الحمد له ترفع
مولى له الجنّة مأمولها[1] ... والنار من إجلاله تفزع
إمامٌ صدق وله شيعة ... يروون من الحوض ولم يمنعوا
بذاك جاء الوحي من ربّنا ... يا شيعة الحقّ! فلا تجزعوا
الحميريّ مادحكم لم يزل ... ولو تقطّع إصبعاً إصبعُ[2]

وهذا القصيدة من السيّد المرحوم تدلّ على غاية شهرة هذا الحديث وانتشاره في عهده وبعده في سائر العهود حتّى كاد أن يلحق بالمتواترات، وقد عرضت

---

١. في البحار: مأمورة.
٢. بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٣٣١.

قصيدته هذه على الإمام الهمام موسى بن جعفر عليه السلام فلم ينكرها بل طلب له الرحمة والمغفرة.

ولمّا وصل العارض في عرضه إلى قوله: «ووجهه كالشمس إذ تطلع» بكى عليه السلام وأهل بيته، ورؤية الرضا عليه السلام جدّه في المنام وأمره له بأن يسلّم على السيّد الشاعر عليه السلام، ثمّ أمره له بحفظ هذه القصيدة وتعليمها للشيعة وأمرهم بحفظها والمداومة على قرائتها وضمانه صلى الله عليه وآله لهم لهم بذلك الجنّة والمغفرة مشهورة وفي كتب الأصحاب وزبرهم مسطورة، فمنها كتاب «المنتخب» الّذي رتّبه الشيخ فخرالدين صاحب «مجمع البحرين» وقد نقل فيه حكاية بكاء الكاظم ورؤية الرضا عليهما السلام[1].

وفي «مجمع الرجال» لملّا عنايت الله القهپائيّ ناقلاً عن الكشّيّ أنّه روى بإسناده عن فضيل الرسّان قال: «دخلت على أبي عبدالله الصادق عليه السلام بعد ما قتل زيد بن عليّ عليه السلام فاخِلْتُ بيتاً جوف بيت، فقال لي: يا فضيل! قُتل عمّي زيد؟

قلت: نعم، جعلت فداك!

قال: رحمه الله ... إلى أن قال: قلت: يا سيّدي! ألا أُنشدك شعراً؟

قال: أمهل، ثمّ أمر بستور فسُدِلت وبأبواب ففتحت، ثمّ قال: أنشد، فأنشدت:

لأُمّ عمرو باللوى مربع ... طامسة أعلامه بلقع

وذكر القصيدة ... إلى أن قال:

فالناس يوم البعث راياتهم ... خمس فمنها هالك أربع

قائدها العجل وفرعونها ... وسامريّ الأُمّة المفضع

ومجدع من دينه مارق ... أجدع عبد لكّع أركع

---

١. المنتخب للطريحي، ج ٢، ص ٣٠٩ ـ ٣١٢.

ورايـــة قـــائدها وجـــهه كأنّـــه الشـــمس إذ تـــطلع

قال: فسمعت نحيباً من وراء الستر، فقال عليه السلام: من قال هذا الشعر؟

قلت: السيّد ابن محمّد الحميريّ.

فقال: رحمه الله.

قلت: إنّي رأيته يشرب نبيذ الرستاق!

قال: تعني الخمر؟

قلت: نعم، قال: رحمه الله وما ذلك على الله أن يغفر لمحبّ عليّ عليه السلام»[1].

هذا، وفي خطبة لعليّ عليه السلام مذكورة في «نهج البلاغة» بعد الخطبة المسمّاة بالغرّاء: «فلا تقولوا بما لا تعرفون؛ فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون واعذروا من لا حـجّة لكم عليكم وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فـيكم الثـقل الأصـغر وركّزت فيكم راية الإيمان»[2]، الخطبة، وطولها وهي كغيرها ناصّة بالباب هادية للصواب.

فلو لم يكن في المسألة خبر غيرها لكانت كافية في إثباتها، لأنّها واحدة كالألف، فماظنّك مع وجود غيرها من الصحاح والحسان في طرق الخاصّة والعامّة.

وهذا غنيّ عن تصحيح سنده، إذ لا خلاف لأحد من علمائنا في صـدور هـذه الخطبة عن سيّدنا أميرالمؤمنين عليه السلام وعباراتها الشافية، وكلماتها الوافـية، ونـظمها الغريب، وأُسلوبها العجيب أدلّ دليل وأعدل شاهد عليه.

هذا، مع تعهّد السيّد وهو ثقة عدل جليل نبيل من أعاظم علمائنا الإمـاميّة في

---

١. رجال الكشي، ص ٢٨٥.

٢. نهج البلاغة، ص ١١٩؛ بحارالأنوار، ج ٣٤، ص ٢٠٩.

صدر هذا الكتاب المستطاب أن يذكر فيه مختار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعّبات غصونه من خطب وكتب في مواعظ وأدب ليسوغ له التمثّل في الافتخار به صلى الله عليه وآله وسلم بقول الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع[1]

هذا، وفي حديث سليم بن قيس وهو طويل نأخذ منه موضع الحاجة، فقال عليّ عليه السلام:

«إنّ الّذي قال رسول الله يوم غدير خمّ في حجّة الوداع ويوم قبض في آخر خطبة خطبها حين قال: تركت فيكم أمرين لن تضلّوا إن تمسّكتم بهما: كتاب الله وأهل بيتي وإنّ اللطيف الخبير عهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين الإصبعين، وإنّ أحدهما أقدم من الآخر، فتمسّكوا بهما لن تضلّوا ولا تضلّوا، ولا تتقدّموهم ولا تتخلّفوا عنهم ولا تعلّموهم، فإنّهم أعلم منكم»[2]، الحديث.

وفي «الصافي» في المقدّمة الثانية عن العيّاشيّ، عن الصادق عليه السلام قال:

«وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقتدى بالقرآن وآل محمّد، وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: إنّي تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر والثقل الأصغر؛ فأمّا الأكبر فكتاب ربّي، وأمّا الأصغر فعترتي أهل بيتي، فاحفظوني فيهما فلن تضلّوا ما تمسّكتم بهما»[3].

وفي «احتجاج» الشيخ الطبرسيّ، وكذلك في «الوافي» في كتاب الحجّة في

---

١. نهج البلاغة، ص ٣٥؛ بحارالأنوار، ج ١٠٥، ص ١٨٨.

٢. كتاب سليم بن قيس، ص ٧٦٣؛ بحارالأنوار، ج ٣١، ص ٤٢٢.

٣. تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٥؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ٢٧.

الخطبة النبويّة في غدير خمّ:

« معاشر الناس! إنّ عليّاً والطيّبين من ولده هم الثقل الأصغر والقرآن هو الثقل الأكبر، وكلّ واحد منبئ عن صاحبه، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، أُمناء الله على خلقه وحكّامه في أرضه، ألا وقد أدّيت؟ ألا وقد بلّغت؟ ألا وقد أسمعت؟ ألا وقد أوضحت؟

ألا وإنّ الله عزّ وجلّ قال وأنا قلت عن الله عزّ وجلّ، ألا وإنّه ليس أميرالمؤمنين غير أخي هذا، ولا يحلّ إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره.

ثمّ ضرب بيده على عضده فرفعه »[1]، والخطبة طويلة في غاية الطول مشهورة بين المتقدّمين والمتأخّرين، وقد نظمها بعد أن نقلها بتمامها أفضل المتكلّمين ميرزا محمّد رفيع رفع الله درجته في أواخر ديوانه المشهور بحملة الحيدريّة حيث قال:

بدانيد بى شبهه اى انجمن! كه اين مرد و پاكان اولاد من

به حكم خداوند پست و بلند بر اهل جهان ثقل اصغر بوند

وهي خطبة جليلة محتوية على فوائد كثيرة وعوائد غزيرة؛ فمن أراد الوقوف عليها فعليه بهذا الديوان الشريف والمجلس المنيف، أو باحتجاج الشيخ، لأنّ صاحب « الوافي » لم ينقلها بتمامها، بل نقل منها قوله: « معاشر الناس » .... إلى قوله: « في أرضه ».

وفي المجلّد العاشر من كتاب « بحار الأنوار » في باب إخبار الله تعالى أنبياءه ونبيّنا صلوات الله عليهم بشهادة أبي عبدالله عليه السلام في حديث يذكر في آخر ذلك الباب راوياً عن عبدالله بن يحيى قال: « رحلنا مع عليّ عليه السلام إلى صفّين، فلمّا حاذى

---

١. الاحتجاج، ج ١، ص ٦٠؛ بحارالأنوار، ج ٣٧، ص ٢٠٨.

نينوى نادى : صبراً يا أباعبدالله !

فقال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعيناه تفيضان ، فقلت : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ! ما لعينيك تفيضان ؟ أغضبك أحد ؟

قال : لا ، بل كان عندي جبرئيل عليه السلام فأخبرني أنّ الحسين يقتل بشاطئ الفرات وقال : هل لك أن أشمّك من تربته ؟

فقلت : نعم .

فمدّ يده فأخذ قبضة من تراب ، فأعطانيها فلم أملك عيني أن أفاضتا ، واسم الأرض كربلا .

فلمّا أتت عليه سنتان خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى السفر فوقف في بعض الطريق واسترجع ودمعت عيناه فسئل عن ذلك فقال : هذا جبرئيل يخبرني عن أرض بشطّ الفرات يقال لها : كربلا ، يقتل فيها ولدي الحسين ، وكأنّي أنظر إليه وإلى مصرعه ومدفنه بها وكأنّي أنظر إلى السبايا على أقتاب المطايا وقد أُهدي رأس ولدي الحسين إلى يزيد لعنه الله . فوالله ! ما ينظر أحد إلى رأس الحسين ويفرح إلّا خالف الله بين قلبه ولسانه وعذّبه الله عذاباً أليماً .

ثمّ رجع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من سفره مغموماً مهموماً كئيباً حزيناً ، فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين وخطب ووعظ الناس ، فلمّا فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن ويده اليسرى على رأس الحسين وقال :

اللّهمّ إنّ محمّداً عبدك ورسولك وهذان من أطائب عترتي وخيار أُرومتي وأفضل ذرّيّتي ومن أُخلّفهما في أُمّتي ، وقد أخبرني جبرئيل أنّ ولدي هذا مقتول بالسمّ والآخر شهيد مضرّج بالدم ، اللّهمّ فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء ، اللّهمّ ولا تبارك في قاتله خاذله وأَصْلِهِ حرّ نارك واحشره في أسفل درك

الجحيم.

قال: فضجّ الناس بالبكاء والعويل فقال لهم النبيّ ﷺ: أيّها الناس! أتبكونه ولاتنصرونه، اللّهمّ فكن أنت له وليّاً وناصراً.

ثمّ قال: يا قوم! إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي وأُرومتي ومزاج مائي وثمرة فؤادي ومهجتي لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ألا وإنّي لا أسألكم في ذلك إلّا ما أمرني ربّي أن أسألكم عنه، أسألكم عن المودّة في القربى واحذروا أن تلقوني غداً على الحوض وقد آذيتم ذرّيّتهم وقتلتم أهل بيتي وظلمتموهم.

ألا إنّه سترد عليّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأُمّة: الأُولى راية سوداء مظلمة قد فزعت منها الملائكة، فتقف عليّ، فأقول لهم: من أنتم؟

فينسون ذكري ويقولون: نحن أهل التوحيد من العرب.

فأقول لهم: أنا أحمد نبيّ العرب والعجم.

فيقولون: نحن من أُمّتك.

فأقول: كيف خلّفتموني من بعدي في أهل بيتي وعترتي وكتاب ربّي؟ فيقولون: أمّا الكتاب فضيّعناه، وأمّا عترتك فحرصنا أن نبيدهم عن جديد الأرض.

فلمّا أسمع ذلك منهم أعرض عنهم وجهي، فيصدرون عطاشاً مسودّة وجوههم.

ثمّ ترد عليّ راية أشدّ سواداً من الأُولى، فأقول لهم: كيف خلّفتموني من بعدي في الثقلين: كتاب الله وعترتي؟

فيقولون: أمّا الأكبر فخالفناه، وأمّا الأصغر فمزّقناهم كلّ ممزّق.

فأقول: إليكم عنّي، فيصدرون عطاشا مسودّة وجوههم.

ثمّ ترد عليّ راية تلمع وجوههم نوراً، فأقول لهم: من أنتم؟

فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى من أُمّة محمّد المصطفى، ونحن بقيّة

أهل الحقّ حملنا كتاب ربّنا وحللنا حلاله وحرّمنا حرامه، وأجبنا ذرّيّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ونصرناهم من كلّ ما نصرنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم من ناواهم.

فأقول لهم: أبشروا، فأنا نبيّكم محمّد ولقد كنتم في الدنيا، كما قلتم.

ثمّ أسقيهم من حوضي فيصدرون مرويّين مستبشرين، ثمّ يدخلون الجنّة خالدين فيها أبدا الآبدين»[1].

وإنّما نقلنا هذا الخبر بتمامه من غير اختصار على موضع الحاجة لما سيظهر في آخر هذا الفصل.

وقال المجلسيّ قدّس الله روحه القدسيّ في كتابه الفارسيّ المسمّى بـ«حقّ اليقين»:

المقصد السادس في بيان الأحاديث المتواترة من الجانبين الدالّة على إمامة عليّ عليه السلام وخلافته وفضيلته وجلالته وفيه فصول: الفصل الأوّل في حديث الغدير.

ثمّ نقل أقوالاً كثيرة في إثبات تواتره أكثرها مذكورة في عمدة يحيى بن الحسن أيضاً وساق الكلام وطوله... إلى أن قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منى في مسجد الخيف بعد حمد الله وثنائه:

أيّها الناس! إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر وهو كتاب الله، طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسّكوا به، والأصغر منهما عترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كإصبعي هاتين ـ وجمع بين سبّابتيه ـ»[2].

---

١. مثير الأحزان، ص ١٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٤٧.

٢. تفسير القمي، ج ١، ص ٣؛ بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١٢٩.

وفي «عيون أخبار الرضا عليه السلام» في باب آخر فيما جاء عنه عليه السلام من الأخبار المجموعة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

كأنّي قد دعيت فأجبت وإنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تبارك وتعالى حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما»[1].

وفي «الصحيفة الرضويّة» المشهورة بإسناده عليه السلام إلى أبيه إلى آبائه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو المسمّى في اصطلاحهم بسلسلة الذهب مثله، إلّا أنّه عليه السلام قال فيها: قال رسول الله: «كأنّي أنظر وقد دعيت فأجبت»[2]، الحديث.

وفي «معاني الأخبار» للصدوق رحمه الله في باب معنى الثقلين وكذلك في «إكمال الدين» له في باب اتّصال الوصيّة بإسناده المتّصل إلى أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّي تارك فيكم أمرين أحدهما أطول من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض طرف بيد الله وطرف بيد[3] وعترتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

فقلت لأبي سعيد: من عترته؟ قال: أهل بيته»[4].

وفي «إكمال الدين» بأسانيد متعدّدة متّصلة إلى عليّ عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّي امرؤ مقبوض وأُوشك أن أُدعى فأُجيب وقد تركت فيكم

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٣٠؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ١٣.

٢. صحيفة الرضا عليه السلام، ص ٥٩ مع اختلاف في النقل.

٣. في هامش المصدر: كأنّه سقط هنا شيء مثل: طرف بيدكم.

٤. معاني الأخبار، ص ٩٠.

الثقلين أحدهما أفضل من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[١].

وفيه أيضاً بأسانيد متعدّدة متّصلة إلى زيد بن أرقم قال: «لمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجّة الوداع نزل بغدير خمّ وأمر بدوحات فقممن، ثمّ قام فقال:

كأنّي قد دعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

ثمّ قال: إنّ الله مولاي وأنا مولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: من كنت وليّه فهذا وليّه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه.

قال الراوي: فقلت لزيد بن أرقم: أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

فقال: ما كان في الدوحات أحد إلّا قد رآه بعينه وسمعه بأذنيه»[٢].

وفيه أيضاً بأسانيده المتّصلة إلى أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[٣].

وذكر فيه أخباراً كثيرة في هذا المعنى لا نطول بذكرها الرسالة فليطلب من هناك.

---

١. كمال الدين، ج ١، ص ٢٣٥؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٣٢.

٢. كمال الدين، ج ١، ص ٢٣٨؛ بحارالأنوار، ج ٣٧، ص ١٣٧.

٣. كمال الدين، ج ١، ص ٢٣٨.

وفي «مجمع الرجال» للفاضل المشهور ملّا عنايت الله المذكور في أواخر باب الثاء عن الكشّيّ بإسناده المتّصل إلى ثوير بن أبي فاختة في حديث طويل نأخذ منه موضع الحاجة قال: «خرجت حاجّاً فصحبني عمر بن ذرّ القاضي وابن قيس الماصر والصلت بن بهرام وكانوا إذا نزلوا قالوا: انظر الآن قد حرّرنا أربعة آلاف مسألة نسأل أبا جعفر منها عن ثلاثين كلّ يوم وقد قلّدناك ذلك».

وقال الحديث وطوله: إلى أن قال: «قال أبو جعفر صلوات الله عليهما: يابن ذرّ! ألا تحدّثنا ببعض ما سقط إليكم من حديثنا؟

قال: بلى يابن رسول الله.

قال ـ يعني رسول الله ﷺ ـ: إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وأهل بيتي إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا.

فقال أبو جعفر عليه السلام: يابن ذر! فإذا لقيت رسول الله ﷺ فقال: ما خلّفتني في الثقلين فماذا تقول له؟

قال: فبكى ابن ذرّ حتّى رأيت دموعه تسيل على لحيته ثمّ قال: أمّا الأكبر فمزّقناه وأمّا الأصغر فقتلناه.

فقال أبو جعفر عليه السلام: إذن تصدّقه يابن ذرّ! لا والله! لا تزول قدم يوم القيامة حتّى تسئل عن ثلاثة: عن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت»[1]، الحديث وطوله.

وفي «جامع الأخبار» في الفصل التاسع والعشرين في فضيلة القرآن وقراءته قال عليه السلام:

---

١. رجال الكشي، ص ٢١٩؛ بحارالأنوار، ج ١٠، ص ١٥٩.

«القرآن أفضل كلّ شيء دون الله عزّ وجلّ فمن وقّر القرآن فقد وقّر الله، ومن لم يوقّر القرآن فقد استخفّ بحرمة الله، حرمة الله على القرآن كحرمة الوالد على ولده»[١].

وفي «بصائر الدرجات» عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا أوّل قادم على الله، ثمّ يقدم عليّ كتاب الله، ثمّ يقدم عليّ أهل بيتي، ثمّ يقدم عليّ أُمّتي فيقفون فيسألهم ما فعلتم في كتابي وأهل بيت نبيّكم»[٢].

وهذا أيضاً يدلّ على أفضليّة الكتاب وأقدميّته حيث يقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل قدوم أهل بيته، وكذا يسأل الله عباده عمّا فعلوه في حقّ كتابه قبل أن يسألهم عمّا فعلوه في حقّ أهل بيت نبيّهم، والحكيم لا يبدأ إلّا بالأهمّ فالأهمّ، فابدؤوا بما بدأ الله.

وقد وجدت في بعض الكتب المعتمدة عليه ناقلاً عن الشيخ علي والعهدة على ذمّة الناقل أنّه قال: «القرآن أفضل من آل محمّد عليهم السلام بدليل قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّي تارك فيكم الثقلين الأكبر والأصغر؛ الأكبر كتاب الله والأصغر عترتي أهل بيتي».

هذا، وفي مسند أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّي قد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي الثقلين وأحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[٣].

---

١. جامع الأخبار، ص ٤٠؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ١٧.

٢. بصائر الدرجات، ص ٢١٢؛ بحارالأنوار، ج ٧، ص ٢٦٥.

٣. الصوارم المهرقة، ص ٣٣٧؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١١٣.

قال أبو نمير: «قال بعض أصحابنا عن الأعمش قال: أُنظروا كيف تخلّفوني فيهما»[١].

وروى الثعلبيّ «في تفسير كريمة: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[٢] بأسانيد متعدّدة عن رسول الله ﷺ قال:

أيها الناس! قد تركت فيكم الثقلين خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود مابين السماء والأرض ـ أو قال: إلى الأرض ـ وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[٣].

وفي «صحيح» الترمذيّ عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله:

«إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني في عترتي»[٤].

وهذا الحديث مذكور في «الجمع بين الصحاح الستّة» لرزين العبديّ، وكذلك في «صحيح» أبي داود السجستانيّ وهو كتاب «السنن»، وفي «صحيح» مسلم في موضعين عن زيد بن أرقم.

وفي مناقب الفقيه أبي الحسن عليّ بن المغازليّ الواسطيّ بإسناده المتّصل إلى زيد بن أرقم قال: «أقبل نبيّ الله من مكّة في حجّة الوداع حتّى نزل بغدير خمّ الجحفة بين مكّة والمدينة فأمر بدوحات فقمّ ما تحتهنّ من شوك، ثمّ نادى الصلاة جامعة،

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١١٣.

٢. آل عمران: ١٠٣.

٣. نهج الحق، ص ٢٢٧.

٤. العمدة، ص ٧٢؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٠٨.

فخرجنا إلى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحرّ، إنّ منّا من يضع رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدّة الحرّ حتّى انتهينا إلى رسول الله ﷺ فصلّى بنا الظهر، ثمّ انصرف إلينا فقال: الحمد لله، وذكر الخطبة وطولها.

ثمّ قال: فقال: ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الجنّة حقّ والنار حقّ وتؤمنون بالكتاب كلّه؟

قالوا: بلى.

قال: أشهد أن قد صدّقتكم وصدّقتموني، ألا وإنّي فرطكم وإنّكم تبعي توشكون أن تردوا عليّ الحوض، فأسألكم حين تلقوني عن ثَقَلَي كيف خلّفتموني فيهما.

قال: فاعيل علينا ما ندري ما الثقلان حتّى قام رجل من المهاجرين فقال: بأبي أنت وأُمّي يا نبيّ الله! ما الثقلان؟

فقال: الأكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله تعالى وطرف بأيديكم فتمسّكوا به لا تزلّوا ولا تضلّوا، والأصغر منهما عترتي، وساق الحديث وطوله... إلى أن قال:

ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام فرفعها وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ـ قالها ثلاثاً ـ »[1]، آخر الخطبة.

وفي «صحيح» مسلم في الجزء الرابع منه، وكذلك في «الجمع بين الصحيحين» للحميديّ، وفي «الجمع بين الصحاح الستّة» في الجزء الثالث من جمع أبي الحسن رزين العبديّ إمام الحرمين، وفي «صحيح» أبي داود السجستانيّ و«صحيح»

---

١. العمدة، ص ١٠٤؛ بحارالأنوار، ج ٣٧، ص ١٨٤.

الترمذيّ عن زيد بن حنّان، عن زيد بن أرقم ـ في حديث له طول نأخذ منه موضع الحاجة ـ قال: «قام رسول الله ﷺ يوماً خطيباً بماء يُدعى خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثمّ قال:

أمّا بعد، أيّها الناس! إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيب وأنا تارك فيكم الثقلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله العزيز واستمسكوا به.

فحثّ على كتاب الله ورغب فيه، ثمّ قال: وأهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي وكتاب الله، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[1].

وبالجملة، الأخبار الواردة في ذلك الباب من طريق أهل البيت عليهم السلام وغيرهم الصحيحة الصريحة بالغة ـ أو كادت أن تبلغ ـ حدّ التواتر، لكثرتها حتّى أنّه مع كثرة اختلاف أخبارنا لم يوجد خبر واحد يخالف ذلك، وذلك عجيب، وفيما نقلناه كفاية إن شاء الله الحميد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فإنّ طرح كلّها، أو تأويلها مع أنّ جلّها ـ بل كلّها ـ غير قابل للتأويل من غير موجب يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأساً كيف لا وهذه الأخبار ليست ممّا يوجب علماً، بل هي محفوفة بصنوف من القرائن:

منها أنّها مضبوطة في كتب معتبرة متداولة بين علمائنا وغيرهم المعوّل عليها من زمن أهل البيت عليهم السلام إلى الآن المشهور بها من مؤلّفيها الأجلّاء الأركان، بل علم ورودها من المعلوم متواترة بالنسبة إليهم.

ومنها أنّها متلقّاة بقبول الأصحاب، فإنّهم صرفوا أعمارهم في ضبطها ونقلها

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١١٤.

ونشرها وفي استقصاء البحث والفحص عن معارضها فلم يجدوا ما يصلح للمعارضة المستلزمة لسقوطها وإلّا لنقلوه ونشروه كما نقلوا ونشروا هذه الأخبار، فذلك قرينة واضحة وحجّة ناهضة عادة بانتفاء ما يصلح للتعارض.

ومنها أنّها بلغت من الكثرة إلى حيث تواترت معنى ودلّت قطعاً على أكبريّة أحدهما من الآخر، كما صرّح به بعض الفضلاء وسننقل قوله إن شاء الله تعالى.

واعلم! هداك الله بفضله إلى سبل السلام وعافاك بكرمه من مرض التقليد وما منجرّة إليه ما لا محصّل له من الكلام: إنّي كنت في جميع أزمنة تقليدي مع برهة من زمن تتبّعي وتصفّحي في المعقول والمنقول على أنّهم عليهم السلام أفضل كلّ شيء دون الله إلّا ما أخرجه الدليل وهو نبيّنا نبيّ الرحمة محمّد الهادي إلى أوضح السبيل، حتّى أنّي كتبت في ذلك رسالة مفردة حاوية على أغلب ما يدلّ على أفضليّتهم من جميع الأنبياء والمرسلين إلّا على محمّد خاتم الأنبياء وأشرف المخلوقين سلام الله عليه وعليهم أجمعين.

وما كان يخطر ببالي في امتداد جميع تلك الأزمان أنّ للقرآن عليهم فضلاً من الله الملك المنّان، وما كنت شاعراً بذلك ولا متفطّناً به أصلاً، فلمّا انتهت النوبة في عرض تصفّحي إلى تلك الأخبار فأوّل ما نظرت إليه منها اشمئزّ عنه قلبي وانقبض عنه عقلي ولم يقبله لبّي لما سبق منّي وارتكز في طبعي، فبعد ما عثرت على جلّها ـ بل شعرت بكلّها ـ متأمّلاً فيها وفيما يعاضدها وجدتها ناطقة على خلاف ما كان عليه اعتمادي وبه اعتضادي، فبدا لي من بعد ما رأيت الآيات أنّ ما كنت عليه من الاعتقاد والاعتماد كان جهلاً مركّباً! فتغيّر بذلك حالي وما كان إليه ركوني ومآلي، فرجعت عنه بالاضطرار إلى ما دلّت عليه تلك الأخبار.

وهذا باب معروف مشهور بين علمائنا وغيرهم، فإنّهم إنّما يمنعون من الاستثناء

في المقدّمات العقليّة، وأمّا في المقدّمات النقليّة، فإنّهم إذا تعارضت العمومات، أو العام والخاصّ يقدّمونه عليه ويخصّصونه به جمعاً بين الأدلّة بقدر الإمكان، ولذا اشتهر بينهم «ما من عامّ إلّا وقد خصّ» حتّى هذا، فتخصيص بعض الأدلّة النقليّة أولى من طرح بعضها رأساً، ولاسيّما إذا كان ذلك البعض ممّا تلقّاه بالقبول جمّ غفير من الفحول وجمع كثير من ذوي الأحلام والعقول، فإنّه خارج عن عادتهم المستقرّة وخصوصاً أمثال هذه الأخبار السالفة، فإنّها باعتضادها بغيرها من الأخبار المجملة والآثار المفصّلة، واشتهارها فيما بين القوم نظماً ونثراً عربيّاً وفارسيّاً مع تكرّرها وشيوعها في أُصولهم واستفاضتها في كتبهم المعتمدة عليها من زمن المعصومين إلى يومنا هذا، بل إلى يوم الدين، مع عدم معارض من العقل، أو النقل يعتدّ به تفيد الظنّ المتآخم للعلم، بل اليقين المطابق للواقع، وذلك لمن جانب التقليد وترك المشهور وخالف العناد وهجر القول الزور ثمّ أخذ فطانته بيده وكان من المتأمّلين، فإنّ الله يهديه إلى سبيله، كما وعده وهو أصدق الواعدين.

تتمّة مهمّة

فإن قلت: فما وجه عدم ذكر تلك الزيادة وهي أكبريّة الكتاب وأصغريّة العترة في بعض روايات حديث الثقلين، ولاسيّما إذا كان مجلس سماع ذلك الحديث واحداً، كما في روايات غدير خمّ؟

قلت: له وجهان مذكورين في أُصول الأصحاب:

أحدهما: غفلة بعض الرواة في ذلك المجلس عن تلك الزيادة دون بعض، فإنّ غفول الإنسان عمّا يجري بحضرته لاشتغاله عنه كثير الوقوع مع احتماله سماعه حين التحمّل وعدم تذكّره وقت الروايه، فإنّ النسيان كالطبيعة الثانية للإنسان، بخلاف سهوه فيما لم يسمعه حتّى يجزم بأنّه سمعه، فإنّه نادر.

فعدم رواية غيره تلك الزيادة لا يصلح مانعاً لقبولها، لأنّه عدل جازم بسماعها، فوجب قبول قوله فيه.

هذا على تقدير اتّحاد المجلس وليس كذلك، لما في رواية سليم بن قيس، وقد مرّت عن عليّ عليه السلام: أنّ الّذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خمّ في حجّة الوداع ويوم قبض في آخر خطبة خطبها، وكذا ما رواه العيّاشيّ عن الصادق عليه السلام قيّده بآخر خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد مرّ في رواية عليّ بن إبراهيم الثقة أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجّة الوداع في مسجد الخيف.

وكذلك ما رواه المجلسيّ في «البحار» عن عليّ عليه السلام سيّد الأبرار قيّده بخطبة

خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد رجوعه من سفره مغموماً.

وظاهر أنّ هذا السفر كان قبل سفر حجّة الوداع، لأنّ الحسين عليه السلام كان في هذا الوقت كانت له وفي سفر حجّة الوداع كانت له خمس سنين، بل أكثر، لأنّه عاش مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبع سنين إلّا أشهر، مع أنّ هذه الخطبة كانت في المدينة وعلى منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتلك في غدير خمّ بين مكّة والمدينة، وأُخرى يوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالمجالس متعدّدة:

الأوّل: مسجد المدينة.

الثاني: مسجد الخيف.

الثالث: حين نزول كريمة يوم ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[1] كما سبق في رواية أبي ذر رضي الله عنه.

الرابع: غدير خم وهو الجحفة بين مكّة والمدينة، زادهما الله فضلاً وشرفاً.

الخامس: يوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إذاً تعدّد المجلس فتقبل الزيادة بالاتّفاق، كما هو المقرّر في أُصولهم.

وثانيهما: جواز حذف بعض الخبر ورواية الباقي إذا كان مستقلّاً غير مغيّر للمعنى المراد ولا مخلّ به، كما هو المتعارف المتداول بين رواة الخاصّة والعامّة وفيما نحن فيه يحتمل كلّ من الوجهين بل الوجوه، كما لا يخفى على البصير الناقد.

وبما قرّرناه يظهر وجه ما ورد في بعض الروايات من ذكر ثلاث رايات وفي أُخرى خمس رايات وأمثال ذلك الاختلاف، وذلك لاختلاف المجالس والرواة وغير ذلك.

---

١. آل عمران: ١٠٦.

ثمّ بما نقلناه من الأخبار ظهر أنّ هذا الخبر المذكور فيه أكبريّة الكتاب وأصغريّة العترة قد ذكره رسول الله ﷺ في خمس مجالس، وهذا ما وصل إلينا بأدنى تتبّع مع ضيق الباع واختلال الأوضاع.

ولعلّه عليه السلام كان قد ذكره في مجالس أُخرى لم يصل إلينا، إمّا لقصورنا في التصفّح والتتبّع، أو لتطرّق الدروس إلى كثير من الأحاديث لمعارضة الدول المخالفة ومباينة الفرق المنافية، فإنّ أخبارهم عليهم السلام كتموا فضائلهم خوفاً وفرقاً وأعدائهم كتموها بغياً وحسداً، ولله الحمد أن ظهر ما بين الكتمين ما ملأ الخافقين، ومنه تلك الأخبار الناطقة بإمامتهم وخلافتهم خلفاً عن سلف وكابراً عن كابرٍ إلى أن انتهت النوبة والأمر إلى صاحبنا وإمام زماننا هذا صاحب العصر والزمان عليه صلوات الله الملك المنّان، فهو اليوم قرين القرآن وخليفة الرحمان إلى أن يرد معه حوض جدّه رسول الله ﷺ، كما هو منطوق هذه الأخبار وإلّا فلا معنى لها أصلاً، كما لا يخفى على ذوي الأبصار.

الفصل الثاني
في أجوبة الشكوك والشبهات

فأمّا ما قالوا من أنّ هذا الخبر لا عين له ولا أثر في طريق الخاصّة فقد ظهر كذب قائله وعدم تتبّعه وعثوره على الأخبار ممّا قد علم في الفصل السالف وكيف يمكن إنكاره، أو إطراحه على التناسي عنه ولا اعتباره وهو حديث متواتر المعنى وقد تبيّن ممّا نقلناه أنّه مذكور في طرق المؤالف والمخالف وأسانيده على ما بلغنا بأسهل تصفّح ـ مع قلّة بضاعتنا وعدم استطاعتنا ـ تجاوزت عن حدّ خمسة وعشرين، بل كادت أن تبلغ إلى حدود الثلاثين.

وأيّ محدّث في طريق الخاصّة أطول يداً، أو أقدم رجلاً، أو أوثق ديناً، أو أرفع شأناً من عليّ بن إبراهيم القمّيّ الثقة الّذي تنتهي إليه سلسلة أخبارنا وهو من أصحاب الهادي عليه السلام ومن مشايخ الكلينيّ الّذي أُصولنا وفروعنا مأخوذتان من أُصوله وفروعه، لأنّه داخل في العدّة المذكورة في «الكافي»[1] بقوله: «عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن عيسى».

وهو قد نقل هذا الحديث في تفسيره المشهور بيننا وبين الجمهور في مقام تعظيم القرآن وتبجيله وتفخيمه وتفضيله من غير نكير ولا تأويل وكفى به ناقلاً:

---

١. الكافي ج١ ص٥٦، ص٦١، ص١٣٣ و...

إذا قالت حذام فصدّقوها فإنّ القول ما قالت حذام

قال النجاشيّ: «عليّ بن إبراهيم بن هاشم أبوالحسن القمّيّ ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب سمع فأكثر وصنّف كتباً وأضرّ في وسط عمره وله كتاب التفسير»[1].

ثمّ عدّ له عشرة كتب وأسندها كلّها إليه، ونحوه قال صاحب «الفهرست» ثمّ أسنده بسندين متّصلين إليه، أحدهما عن محمّد بن محمّد بن النعمان، وكذا محمّد ابن الحسين أبوالحسن الرضيّ نقيب العلويّين ببغداد أخوالمرتضى من أعاظم فضلاء هذه الطائفة الناجية وأُدبائهم، وله كتب، منها كتاب «نهج البلاغة» وقد ذكر فيه هذه الخطبة المنسوبة إلى سيّدنا أميرالمؤمنين عليه السلام المذكور فيها هذا الخبر من غير نكير ولا تأويل، وكان من دأبه في هذا الكتاب أن يذكر ما يطابق رأيه الصواب في أكثر الموارد وأغلب الأبواب.

وكيف يسوغ لذي اللبّ والدين والمروّة والانصاف أن ينكره، أو يطرحه، أو يأوّله إلى وجه يعترض فيه للاعتساف، وهو مذكور فيها وفي غيرها على وجه غير قابل للتأويل لقوله عليه السلام: «ألم أعلم فيكم بالثقل الأكبر وأمّرك فيكم الثقل الأصغر».

ولعمر الحبيب إنّهم بإنكارهم هذا قد دخلوا تحت نهيه عليه السلام في الخطبة المذكورة ولا تقولوا بما لا تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون، وقد أكّد في حقّهم إن أعذروا من لا حجّة لهم عليه وأنا هو، ألم أرشدهم إلى طرق الحقّ والصواب بالأدلّة والبيان؟ ألم أعمل فيهم فيما ادّعيته بالحجج والبرهان؟

---

١. رجال النجاشي، ص ٢٦٠.

وكيف يقولون: هذا الخبر لا عين له ولا أثر في طريقنا وسليم بن قيس العامريّ ثمّ الهلاليّ من أجلّة أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام ومن جملة الأولياء وقد عدّه أرباب الرجال شكّر الله مساعيهم الجميلة من السلف الصالح ومن جملة المتقدّمين في التصنيف، وله كتاب مشهور قد ذكر فيه هذا الخبر، كما مرّ.

قال النجاشيّ: «سليم بن قيس الهلاليّ يكنّى أبا صادق وله كتاب مشهور»[1]، ثمّ ذكر إسناده إليه.

وروى الكشّيّ أحاديث كثيرة تشهد بشكره وصحّة كتابه روى بإسناده المتّصل إلى إسحاق بن إبراهيم بن عمر اليمانيّ عن ابن أُذينة عن أبان بن أبي عيّاش قال: هذه نسخة كتاب سليم بن قيس العامريّ دفعه إليّ أبان بن أبي عيّاش وقرأه وزعم أبان أنّه قرأه على عليّ بن الحسين عليهما السلام. قال: فقال: «صدق سليم رحمة الله عليه هذا حديث نعرفه».

وبإسناده عن إسحاق بن إبراهيم المذكور في الطريق السالف عن ابن أُذينة، عن أبان بن أبي عيّاش، عن سليم بن قيس الهلاليّ قال: قلت لأميرالمؤمنين عليه السلام وذكر الحديث بطوله.

قال أبان: فقدّر لي بعد موت عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّي حججت فلقيت أبا جعفر عليه السلام، فحدّثت بهذا الحديث كلّه لم أخط منه حرفاً فاغرورقت عيناه.

ثمّ قال: صدق سليم قد أتى أبي بعد قتل جدّي الحسين عليه السلام وأنا قاعد عنده فحدّثه بهذا الحديث بعينه، فقال له أبي: صدقت قد حدّثني أبي وعمّي الحسن عليهما السلام بهذا الحديث عن أميرالمؤمنين عليه السلام فقالا لك: صدقت قد حدّثك بذلك ونحن

---

١. رجال النجاشي، ص ٨ مع اختلاف في النقل.

شهود، ثمّ حدّثا لنا أنّهما سمعا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ ذكر الحديث بتمامه[١].

وقال السيّد عليّ بن أحمد العقيقيّ: كان سليم بن قيس من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام طلبه الحجّاج ليقتله فهرب إلى ناحية من أرض فارس وآوى إلى أبان بن أبي عيّاش.

فلمّا حضرته الوفاة قال لأبان: إنّ لك عليّ حقّاً وقد حضرني الموت، يابن أخي! إنّه كان من الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيت وكيت، وأعطاه كتاباً وذكر أبان في حديثه قال: كان سليم شيخاً متعبّداً له نور يعلوه[٢].

فإن قلت: قد ذكر ابن الغضائريّ طعناً في كتابه فقال فيه: إنّ محمّد بن أبي بكر وعظ أباه عند الموت وإنّ الأئمّة ثلاثة عشر.

ثمّ قال: «وأسانيد هذا الكتاب تختلف تارةً برواية عمر بن أُذينة عن إبراهيم بن عمر الصنعانيّ، عن أبان بن أبي عيّاش، عن سليم، وتارة يروي عن عمر عن أبان بلا واسطة»[٣].

قلت: نعم، ولكن اعترض عليه الشهيد الثاني رحمه الله بأنّ الّذي رأيت فيما وصل إليّ من نسخة هذا الكتاب أنّ عبدالله بن عمر وعظ أباه حين موته حيث قال: «إن بايعوا أصلع ابن‌هاشم لحملهم على المحجّة البيضاء هو أقومهم على كتاب الله وسنّة نبيّه»[٤].

---

١. اختيار معرفة الرجال، ج ١، ص ٢٢١ و ٢٢٢.

٢. خلاصة الأقوال، ص ١٦٢.

٣. نفسه.

٤. بحارالأنوار، ج ٣١، ص ٤١٧.

فقال ابنه: «فما يمنعك أن تستخلفه»[١]... إلى آخره.

وأنّ الأئمّة ثلاثة عشر من ولد إسماعيل وهم رسول الله ﷺ والأئمّة الإثنى عشر ولا محذور في أحد هذين.

وكذلك قال ملّا ميرزا محمّد في أوائل رجاله الأوسط في الحاشية بعد أن نقل ما ذكره ابن الغضائريّ: والحقّ على ما وصل إلينا من النسخة أنّه غير مشتمل على باطل، وإنّما المذكور فيها أنّ عبدالله بن عمر وعظ أباه عند الموت وأنّ الأئمّة ثلاثة عشر مع النبيّ ولا يقضي شيء من ذلك الوضع.

وقال ملّا عناية الله بن شرف الدين عليّ بن محمود القهپائيّ في «مجمع الرجال» عند قوله: وأسانيد هذا الكتاب تختلف لا اختلاف فيها، كما ترى في الروايتين المذكورتين في الكشّيّ، فإنّ إسحاق بن إبراهيم بن عمر اليمانيّ الصنعانيّ المذكور في الطريقين يروي في الروايتين عن ابن أُذينة لا إبراهيم والده، وهذا عجيب منه ﷺ.

ثمّ قال: فمع التأمّل الصادق في ترجمة سليم هذا يظهر اعتباره جدّاً وعدم ذمّه بشيء ممّا ذكر فيه ولا في كتابه، وقد قيل: إنّه من أولياء عليّ عليه السلام، فلا تغفل عن جلالته[٢]، انتهى كلامه طاب منامه.

وبما قرّرناه ونقلناه ظهر فساد ما وهمه بعض معاصرينا وهو ممّن لا وقوف له بالرجال ولا معرفة له بالأقوال من عدم صحّة كتاب سليم هذا.

هذا، وكذلك العيّاشيّ من أجلّاء أصحابنا المتقدّمين وفضلائهم وفقهائهم على ما يظهر من كتب الرجال، وله تفسير مشهور مذكور فيه هذا الخبر في مقام تبجيل

---

١. نفسه.

٢. مجمع الرجال: ج ٣، ص ١٥٦ ـ ١٥٨.

القرآن وتفضيله.

قال الكشّيّ: «محمّد بن مسعود بن محمّد بن عيّاشيّ السمرقنديّ يكنّى أبا النضر، أكثر أهل المشرق علماً وفضلاً وأدباً وفهماً ونبلاً في زمانه، وصنّف أكثر من مائتي مصنّف ذكرناها في «الفهرست» وكان له مجلس للخاصّيّ ومجلس للعامّيّ ﷺ»[١].

وقال الشيخ في فهرسته: «محمّد بن مسعود العيّاشيّ من أهل السمرقند ـ وقيل: إنّه من بني تميم ـ يكنّى أبا النضر، جليل القدر، واسع الأخبار، بصير بالرواية، مضطلع بها، له كتب كثيرة تزيد على مائتي مصنّف»[٢].

ذكر فهرست كتبه ابن إسحاق النديم، منها كتاب التفسير، ثمّ عدّها إلى آخرها.

وقال النجاشيّ: «أبو النضر المعروف بالعيّاشيّ ثقة عين من عيون هذه الطائفة، صنّف كتباً منها كتاب التفسير»[٣]، ثمّ عدّها إلى آخرها.

وكذلك الصدوق محمّد بن بابويه ﷺ جليل القدر، حافظ للأحاديث، بصير بالرجال، ناقد للأخبار، لم يُرَ في القمّيّين مثله في حفظه وكثرة علمه، وكان ورد بغداد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السنّ، له نحو من ثلاثمائة مصنّف منها كتبه الثلاثة المذكورة فيها هذا الخبر، وكذا الطبرسيّ في «الاحتجاج» وغيره قد ذكروه ولم ينكروه ولا أوّلوه، مع أنّ جميع علمائنا الإماميّة من السلف إلى الخلف قد ذكروا هذه الأخبار المذكورة في طرق العامّة بألفاظها وعباراتها في كتبهم الكلاميّة وزبرهم الاستدلاليّة وغيرها ولم يقدح أحد

---

١. رجال النجاشي، ص ٣٥٠.

٢. الفهرست للطوسي، ص ١٣٦.

٣. رجال النجاشي، ص ٣٥٠.

منهم فيها، بل تقبّلوها بقبول حسن، وتكفّلوها بضبط متقن، كما لا يخفى على الفطن إذا كان متتبّعاً.

وهذا صريح في كونها مرضيّة عندهم مقبولة لديهم، كما ستأتي الإشارة الإجماليّة إليه عن قريب إن شاء الله العزيز.

شبهة أُخرى مدروءة:

العجب من إخواننا المنازعين لنا في تلك المسألة إنّهم جعلوا ورود هذه الأخبار في طريق المخالفين سبباً للقدح فيها ودليلاً على عدم صحّتها، وهو أدلّ دليل وأقوى حجّة على صحّتها ومطابقتها للأمر نفسه، لأنّها لا تنفعهم ولا تضرّنا حتّى يتصوّر فيها جعل منهم ووضع، بل تضرّهم وتنفعنا، كما سبق إليه الإيماء الإجماليّ في آخر الفظ السالف.

وأعجب من ذلك أنّ بعض الناقصين منهم زعموا أنّ تلك الأخبار وردت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على التقيّة، وهذا أيضاً هذيان، لأنّ الله تعالى قد ضمن كلأته وحراسته بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1] فبلّغ هذه الأخبار في غدير خم وفي سائر المواقف العامّة بلا خوف ولا تقيّة.

ثمّ أنت إذا تأمّلت فيها علمت أنّ نقلهم إيّاها في صحاحهم وغيرها يدلّ على أنّه كان من غير رويّة، ولعلّه سبحانه أجراها على لسانهم وسبب لهم الباعث على نقلها ليكون ذلك حجّة عليهم وفضيحة لهم عند الله وعند الناس، كما هو الموجود في غير هذا المحلّ أيضاً من نظائرها كثيراً، كما يظهر لك إذا استقريت وتصفّحت كتبهم وكلماتهم، ولذلك جعل أصحابنا المتقدّمون رحمهم الله السلف منهم والخلف تلك

---

١. المائدة: ٦٧.

الأخبار الواردة في طرقهم دليلاً وحجّة من باب الإلزام، حيث قالوا: إنّ القرآن لا يجوز عليه الاختلاف، لقوله تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾[1].

ونحن قد وجدنا الأُمّة بعد نبيّهم قد كثر اختلافهم فيه وفي تنزيله وتأويله وسوره وآياته وقراءاته وتفسيره، وكلّهم يحتجّ لمذهبه بآيات منه، فعلمنا أنّ الّذي يعلم منه ما يحتاج إليه الأُمّة في رفع اختلافهم هو الّذي قرأه الله ورسوله الّذي لا يفارقه إلى يوم القيامة، فثبت أنّ الكتاب لا يزال معه من العترة من يعرف التنزيل والتأويل علماً يقينيّاً يخبر عن مراده تعالى ببراهين تهتزّ لها العقول وتلزم منها الحجّة وهو معنى قوله: «إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[2].

هذا خلاصة ما ذكره الصدوق في «كمال الدين».

وقال يحيى بن الحسن في عمدته بعد نقل هذه الأخبار الواردة في طرق العامّة: «فهذه ألفاظ هذه الأخبار الصحاح تنطق بصحّة الاستخلاف، وفيها ما ينطق بخليفتين وإذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله قد خلّف على الأُمّة «ما إن تمسّكوا به لن تضلّوا» فقد صار الاستخلاف على أهل البيت عليهم السلام، وكذلك يرويه الشيعة على السواء أيضاً، وإذا حصل الاجتماع عليه من الخاصّ والعامّ صحّ التمسّك به والاستدلال.

فهذا نصّ صريح يأمر به النبيّ كلّ من يشمله لفظ الإسلام؛ فمن كان من المسلمين لزمه الاقتداء بالثقلين الكتاب والعترة ولا يلزم أهلبيته الاقتداء بأحد، لأنّ الوصيّة بالتمسّك بأهل بيته والأمر بذلك له وهو أيضاً أمر بالاقتداء بهما إلى

---

١. النساء: ٨٢.

٢. كمال الدين، ج ٢، ص ٦٦١؛ بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ٣١٧.

آخر انقطاع التكليف، لأنّه قيّد التمسّك بهما بالأبد وجعل مدّة اجتماعهما إلى ورود الحوض عليه ﷺ »[١]، ... إلى آخر ما قاله هناك.

وهو أيضاً صريح في استفاضة تلك الأخبار وشيوعها في طرق الشيعة أيضاً، حيث قال: وكذلك يرويه الشيعة على السواء أيضاً، ودليلٌ على أنّها ممّا اجتمعت عليه الأُمّة من الخاصّ والعامّة وهو من أعاظم علمائنا الإماميّة وقدمائهم ومن الأُدباء والفضلاء، وله يد طولاء في الأخبار وقدم راسخة فيها، كما يظهر لمن تصفّح مصنّفاته ولاسيّما مصنّفه هذا وهو العمدة.

ثمّ انظر! كيف استدلّ الشيخ المحقّق بهذا الحديث على ذلك المطلب، وهو أيضاً ينادي بأعلى صوته على شيوعه واستفاضته بين علمائنا الإماميّة وفقهائنا الإثنى عشريّة ـ جزاهم الله من الدين وأهله أفضل ما يستحقّون ـ وإلّا لم يجسر المحقّق بمجرّد وروده في طرق العامّة على أن يستدلّ به على أفضليّة القرآن من آل محمّد عليهم السلام، مع كمال احتياطه في الدين وتصلّبه في محبّة أئمّتنا المعصومين، سلام الله عليهم أجمعين، لكنّه لمّا رآه في طريقنا شائعاً وفيما بين علمائنا ذائعاً وهو قد سمع من القرآن: «أنّ ﴿الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾[٢] نطق بذلك بلسان طليق وبيان ذليق، كما سمعته منه.

شبهة أُخرى مدروءة:

وأمّا قولهم حديث: «لولاك لما خلقت الأفلاك»[٣] مناف له وما نقض فهو شيء عجيب وأمر غريب، فإنّ المشرّف بخطاب: «لولاك» هو نفسه ﷺ والكلام إنّما

---

١. العمدة:، ص ٧٢.

٢. يونس: ٣٥.

٣. المناقب، ج ١، ص ٢١٦؛ تأويل الآيات، ص ٤٣٠؛ بحارالأنوار، ج ١٦، ص ٤٠٥.

يساق في أهل بيته عليهم السلام فأين يذهبون ؟ وأنّى يؤفكون ؟ وما لهم كيف يحكمون ؟

والقول بأنّهم عليهم السلام مثله صلى الله عليه وآله وسلم في الدرجة والمرتبة ، وهو أفضل وأكمل من كلّ ما خلقه الله وبرأه ، ومنه القرآن المبحوث عنه والدليل عليه إجماع أهل الإسلام متعاضد بأخبار مستفيضة ، فكلّ ما ثبت له فهو ثابت لهم من غير فصل ؛ مدفوع بأنّ الحال ليست على ذلك المنوال ، فإنّ الإجماع غير ثابت على هذا الوجه وخصوصاً إجماع الأُمّة وإلّا لكان من ضروريّات دين الإسلام ، فكان يقول به كلّ من يقول بالإسلام .

وظاهر أنّ الأمر ليس كذلك ، فإنّ عامّة العامّة لا يقولون بمساواتهم للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، بل التفضيليّ منهم يفضّلون من لا فضل له أصلاً وقطعاً على عليّ عليه السلام فضلاً عمّن عداه .

وقد ذهبت طائفة منهم إلى أنّ آدم وإبراهيم على نبيّنا وآله وعليهما السلام أفضل من نبيّنا .

والمعتزلة ومنهم صاحب « الكشّاف » فيه إلى أفضليّة جبرئيل عليه السلام منه صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن كان هذان القولان متروكين عند الشيعة فكيف يمكن دعوى إجماع أهل الإسلام على الوجه المذكور ؟

وكذا الحال في إجماع الطائفة المحقّة ، فإنّه على فرض انعقاده يفيد العلم بالاتّفاق على وجه لا يخفى على أحد منهم ، بل يصير من ضروريّات مذهب أهل البيت عليهم السلام ، ومثل هذا الإجماع يمتنع أن ينعقد إلّا بنصّ جليّ محكم متواتر مقطوع به لا معارض له بحيث لا يشوبه شكّ ولا يعتريه شبهة .

والأمر فيما نحن بصدده ليس كذلك وذلك لما نقل عن الشهيد قدس سره أنّ عامّة أصحابنا يقولون : إنّهم عليهم السلام متفاوتون في الدرجة والمرتبة كيف لا وعليّ عليه السلام أفضل

من الحسنين عليهما السلام لقوله: «وأبوهما خير منهما»[1] وله نظائر كثيرة وهما عليهما السلام أفضل من باقي الأئمّة من ولد الحسين عليه السلام على ما دلّت عليه الأخبار الكثيرة الواردة في طرق الخاصّة والعامّة الّتي هي العمدة في ذلك الباب، وقد ذكرنا نبذاً منها في «ذريعة النجاة» فكيف يمكن القول والحال هذه بمساواتهم كلّهم له صلى الله عليه وآله من جميع الجهات والاعتبارات.

نعم استدلّت الشيعة بكريمة: ﴿أنفسنا﴾ على مساواة عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام له صلى الله عليه وآله من جميع الوجوه إلّا في النبوّة، وهذا لا ضير فيه، إذ القرآن يمكن أن يكون أصغر من نبيّ وأكبر من عليّ عليه السلام وذرّيّته، والفارق هو النبوّة.

وتدلّ عليه تلك النصوصات الناطقة بذلك السالمة عن المعارض، ولذا قال عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام بعد أن سأله حبر من الأحبار بعد كلام أفاده عليه السلام في التوحيد: «فنبيّ أنت؟ [فقال:] ويلك [إنّما] أنا عبد من عبيد محمّد صلى الله عليه وآله»[2]؛ كذا في «توحيد» الصدوق رحمه الله.

على أنّا لو قلنا بمثل هذا الإجماع لقويت حجّة المخالفين علينا بسبب ذلك جدّاً، فإنّ غاية تشنيعنا عليهم مخالفتهم لنصوص السنّة في أمر الخلافة بمجرّد إجماع يدّعونه فلم أن يقلبوا هذا الدليل بعينه علينا ويقولوا: قد وردت في طرقكم أخبار كثيرة نبويّة تنطق بأكبريّة الكتاب على العترة وتشهد لأقليّة أحدهما من الآخر، ثمّ إنّكم تنكرونه بعد ما تعرفونه بمجرّد إجماع تدّعونه في ذلك، وهل هذا إلّا عين ذاك أم هنا أمر ليس هناك؟

---

١. كتاب سليم بن قيس، ص ٧٣٢؛ بحارالأنوار، ج ٣٤، ص ٢٩٤.

٢. التوحيد، ص ١٧٤؛ بحارالأنوار، ج ٣، ص ٢٨٣.

بل نقول: يظهر من الخبر السالف أنّ القرآن أفضل من النبيّ أيضاً.

وقوله: «ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي»[١] غير مناف لهذا الخبر، لأنّه مخصوص بأفراد المكلّفين، جمعاً بين الأخبار أي: ما خلق الله من أفراد المكلّفين خلقاً هو أفضل منّي، لأنّ معنى الأفضل على ما صرّح به العلماء ودلّ عليه الحديث المذكور في «التهذيب» و«الكافي» في كتاب المزار في مقام تفضيل عليّ عليه السلام على باقي الأئمّة من ولده عليهم السلام هو الأكثر ثواباً، وهو بهذا المعنى من صفات المكلّفين، والمفضّل عليه لابدّ وأن يكون من نوع المفضّل، أو من جنسه، والقرآن يباينه ذاتاً وصفة، فهو خارج عن هذا الحكم إلّا أن يراد به الفضل اللغويّ وهو ضدّ النقص والمزيّة على الغير، أو الزيادة مطلقاً، كما هو المراد من قوله: «القرآن أفضل كلّ شيء» أي: أعظم قدراً وأفخم شأناً وأعلى درجة منه.

فإن قلت: فلم لا تخصّص قوله: «القرآن أفضل كلّ شيء»[٢] ممّا هو من سنخه أي: سائر الكلام؟

قلت: قوله عليه السلام دون الله يمنع من ذلك، فإنّ معناه: إنّ القرآن أفضل من كلّ شيء هو أحطّ من الله وأدنى منه في الشرف والقدر، لأنّ معنى «دون» في الأصل أدنى مكان من شيء. يقال: هذا دون ذاك، إذا كان أحطّ منه قليلاً ثمّ استعير في الأحوال والرتب فقيل: زيد دون عمر في الشرف، ثمّ اتّسع فيه فاستعمل في كلّ تجاوز حدّ إلى حدّ وتخطّا حكم إلى حكم، كذا في «المطوّل» في باب القصر منه، فتعيّن المصير إلى تخصيص الأوّل.

---

١. كمال الدين ج ١ ص ٢٥٤؛ تأويل الآيات ص ٨٣٥.

٢. جامع الأخبار، ص ٤٠؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ٢٩٠.

ومن المصحّفين من رام تأويله، فصحّف «دون» بدوّن ـ بالتشديد ـ وهو جهل منه وغرور. أمّا أوّلاً فلخلوّ الجملة من العائد إلى الموصوف، وأمّا ثانياً فلاستلزامه كونه تعالى علّة جامعة للكتب السماويّة، بل لكلّ مركّب صدر عنه تعالى لا علّة موجدة وهو مقدّم الكفر، أو تالٍ له، وذلك لأنّ تدوين الكتب على ما في «الكشّاف» والبيضاويّ عند تفسير كريمة: ﴿وَٱدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ﴾[1] بعد أن فسّرا «دون الله» بـ«غير الله» عبارة عن جمعها وإدناء البعض من البعض[2].

وأمّا ثالثاً فلأنّ الواجب في العبارة على ما رامه المصحّف أن يقال: القرآن أفضل كلّ كتاب أنزله الله، وهذا ظاهر.

وهم وتنبيه:

وأمّا ما قيل في نصرتنا من أنّ هذا الحديث ـ وهو قوله: «ما خلق الله خلقاً أفضل منّي»[3] ـ.

ليس بمناف للخبر المذكور، وهو قوله: «القرآن أفضل كلّ شيء دون الله» لأنّه يدلّ ـ على تقدير التسليم ـ على أنّ القرآن على فرض كونه مخلوقاً ليس بأفضل من النبيّ، ولا يلزمه منه كونه مفضّلاً عليه، لمكان المساوات، مع أنّا نلتزم أنّه ليس بمخلوق، لما روا الكشّيّ في كتاب رجاله بإسناده إلى هشام المشرقيّ أنّه دخل على الرضا عليه السلام فقال: «إنّ أهل البصرة سألوا عن الكلام فقالوا: إنّ يونس يقول: إنّ الكلام ليس بمخلوق.

---

١. البقرة: ٢٣.

٢. أُنظر: الكشاف، ج ١، ص ٢٤٤ و ٢٤٥ وتفسير البيضاوي، ج ١، ص ٣٩.

٣. كمال الدين، ج ١، ص ٢٥٤؛ تأويل الآيات، ص ٨٣٥.

فقلت لهم: صدق يونس، إنّ الكلام ليس بمخلوق، أما بلغكم قول أبي جعفر حين سئل عن القرآن أخالق هو أو مخلوق؟ فقال لهم: ليس بخالق ولا مخلوق، إنّما هو كلام الخالق، فقويت أمر يونس»[1]، الحديث.

والجواب عنه أنّ المخلوق تارة يطلق على المحدث، وأُخرى على المفتري فهو مشترك بينهما، ولذا لم يجوّزوا إطلاق هذا اللفظ عليه، لئلّا يذهب من لا وقوف له، على أنّ مرادهم به المحدّث إلى أنّهم اعترفوا بكون هذا المؤلّف مفترى فقالوا: إنّه غير مخلوق أي: غير مفترى.

والمنفيّ في هذا الخبر إنّما هو هذا المعنى وإلّا فكونه مخلوقاً بمعنى المحدث فممّا لا ينبغي لئن يشكّ فيه.

قال عليّ عليه السلام ـ وهو مذكور في «نهج البلاغة»: «وإنّما كلامه سبحانه فعل منه إنشاءه ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً»[2].

وفي «الاحتجاج» عن صفوان بن يحيى قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام لأبي قرّة صاحب شبرمة: «التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وكلّ كتاب أُنزل كان كلام الله أنزله للعالمين نوراً وهدى، وهي كلّها محدثة وهي غير الله، حيث يقول: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾[3] وقال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِن ذِكْرٍ مِن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[4] والله أحدث الكتب كلّها الّذي أنزلها.

فقال أبو قرّة: فهل تفتي؟

---

١. رجال الكشي، ص ٤٩٠؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ١٢١.

٢. نهج البلاغة، ص ٢٧٢.

٣. طه: ١١٣.

٤. الأنبياء: ٢.

فقال أبوالحسن عليه السلام: أجمع المسلمون على أنّ ماسوى الله فانٍ وما سوى الله فعل الله، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان فعل الله، ألم تسمع الناس يقولون: ربّ القرآن، وإنّ القرآن يقول يوم القيامة: يا ربّ! هذا فلان وهو أعرف به منه قد أظمأت نهاره وأسهرت ليله فشفّعني فيه، وكذلك التوراة والزبور والإنجيل كلّها محدثة مربوبة أحدثها من ليس كمثله شيء هدى لقوم يعقلون؛ فمن زعم أنّهنّ لم يزلن فقد أظهر أنّ الله ليس بأوّل قديم ولا واحداً، وإنّ الكلام لم يزل معه وليس له بدؤ»[1].

والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة، وتمام تحقيق هذا المقام على ذمّة أهل الكلام.

هذا؛ وأمّا قوله تعالى: «لولاك لما خلقت الأفلاك»[2] فإنّما يدلّ على أنّه كان غاية لخلق الأفلاك فيكون أشرف وأفضل منها وممّا حوته من الأجسام والجسمانيّات، ولا يدلّ على أنّه أفضل من القرآن، لعدم تسميته فلكاً. بل لا يدلّ على أنّه أفضل من جميع الأجسام حتّى من العرش والكرسيّ، لعدم تسميته فلكاً بلسان الشرع، لأنّ الظاهر انحصار الأفلاك في السبع وضمّ العرش والكرسيّ إليها جار على مسلك الحكماء القائلين بالتسع وليس لهم عليه برهان، والاكتفاء بالسبع بل الاثنين ممكن كما هو مشهور، وفي كتب القوم مسطور.

وأمّا جعل خلق الأفلاك كناية عن خلق عالم الإمكان تعبيراً عن الشيء بأكثر أجزائه فمع كونه مجازاً وعدولاً عن الظاهر الّذي مدار الاستدلال من السلف إلى

---

١. الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٠٥؛ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٦.

٢. المناقب، ج ١، ص ٢٦؛ تأويل الآيات، ص ٤٣٠؛ بحارالأنوار، ج ١٦، ص ٤٠٥.

الخلف عليه من غير داع يدعو إليه معارض بقوله عليه السلام: «القرآن أفضل كلّ شيء دون الله»[١] لصراحته بأفضليّة القرآن من جميع ما سوى الله، فمن ادّعى خروج شيء منه فعليه البيان.

تنبيهٌ نبيه:

وبما قدّمناه ظهر أنّ توقّف بعض مشايخ العجم في الآل في غير موقفه، وإنّ ترجيحه أفضليّة النبيّ من القرآن خاصّة مستدلّاً بحديث: «لولاك»[٢] بغير مرجّح، وأنّ ما وجّه به الشيخ البهائيّ قدس سره كلامه غير موجّه في مقام الاستدلال وهو ظاهر.

قال قدس سره بعد أن سُئل بهذه العبارة: نقل عن بعض أهل الخلاف أنّ كلام الله تعالى القرآن ـ بل حرفاً منه ـ أفضل من النبيّ وآله عليهم السلام ولم يذكر دليلاً ولم نعرف الصواب فيه. وبعض مشايخنا العجم توقّف في الآل ورجّح أفضليّة النبيّ مستدلّاً بحديث: «لولاك لما خلقت الأفلاك» ويشكل بعدم تسمية القرآن فلكاً لما كان الكلام عند المخالفين معنى نفسيّاً يزعمون أنّه صفة قديمة من صفاته تعالى، وكانت صفاته جلّ شأنه أفضل من خلقه لزم من ذلك كون كلامه أفضل من خلقه من ملائكته وأنبيائه وسائر مخلوقاته.

وأمّا الحقّ فالكلام عندنا حروف وأصوات جعلها سبحانه في بعض الأجسام كالشجرة ونحوها وليس صفة من صفاته وإنّما صفته التكلّم لا الكلام، بل كلامه عزّ

---

١. جامع الأخبار، ص ٤٠؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ٢٩٠.

٢. لاحظ: المناقب لابن شهر آشوب، ج ١، ص ١٨٩؛ بحارالأنوار، ج ١٦، ص ٤٠٦.

شأنه بعض مخلوقاته، فلو قلنا بمساواة النبيّ للقرآن الكريم لم يكن ذلك خارجاً عن جادّة الأدب، بل لو ترقّينا بتفضيلهم عليه لم يكن في ذلك بعد ولا شنعة.

وأمّا بعض مشايخ العجم فلعلّه جعل خلق الأفلاك كناية عن خلق عالم الإمكان تعبيراً عن الشيء بأعظم أجزائه، إنتهى كلامه رفع مقامه.

وفيه: أنّ الكلام بمعنى ما به التكلّم ليس عند المخالفين صفة له تعالى قديمة، بل هو حادث بالاتّفاق وهو المراد هنا بكلام الله تعالى المفسّر بالقرآن كما يصرّح به قوله: «بل حرفاً منه»، فإنّ الكلام النفسيّ عندهم غير مؤلّف من الحروف، بل هو معنى نفسيّ فقط، ولذا قيل: إنّ القرآن اسم لمعنى فقط لا أنّه اسم للنظم والمعنى جميعاً فكيف يقول: «بل حرفاً منه».

فمراده بالكلام هنا ما هو مذكور بين دفّتي المصحف تواتراً، فإنّهم يطلقون عليه كلام الله أيضاً ويصرّحون بأنّه ممّا علم من الدين ضرورتها كونه كلام الله حقيقة، ولذا يكفّرون من أنكر كلاميّته ومع ذلك فجميع المخالفين لا يقولون بالكلام النفسيّ ولا يزعمونه صفة له تعالى قديمة، بل هو مقالة طائفة منهم فإطلاق المخالفين غير سديد إلّا أن يجعل إشارة إلى البعض المراد به الأشاعرة ـ على زعمه ـ كما أومأنا إليه، ولكن الظاهر أنّ مراد السائل به المعتزلة القائلة بتألّف كلامه تعالى من الحروف بقرينة قوله: «بل حرفاً منه». وعلى هذا فسقوط ما ذكره في توجيه كلامه عن درجة الاعتبار أظهر من الأوّل.

وأيضاً فالكلام بمعنى ما به التكلّم المنتظم من الحروف والأصوات حقيقة أو حكماً ليس صفة من صفاته تعالى لكونه حادثاً، وأمّا الكلام بمعنى التكلّم أعني القدرة على إلقاء الكلام الدالّ على المعنى المراد بإيجاد حروف وأصوات في جسم لا يصحّ منه التكلّم عادة فهو صفة له تعالى قديمة من غير لزوم تعدّد القدماء، فنفي

كون الكلام مطلقاً صفة من صفاته تعالى قديمة غير صحيح، ويمكن دفعه بالعناية.

ثمّ كون كلامه عزّ شأنه بعض مخلوقاته لا ينافي كونه أفضل من النبيّ وآله عليهم السلام، إذ أدلّ دليل عليه ولاسيّما على مذهب بعض المخالفين القائلين بأفضليّة جبرئيل من النبيّ، كما صرّح به «الكشّاف» في ذيل كريمة: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[1] وإن كان دليل هذا غير ناهض بذلك، كما بيّناه في «الذريعة» فالتفريع غير مناسب، والقول بالمساوات مع ورود القرآن أفضل كلّ شيء دون الله خارج عن طريقة الأدب فبعيد، وسيّما القول بتفضيلهم عليهم السلام عليه، فإنّه يصادم كثيراً من الأخبار، فهو شنيع.

واعلم! أنّ جوابه هذا مبنيّ على عدم وقوفه بهذه الأخبار المفصّلة المذكورة في الفصل الأوّل المصرّح فيها بتفضيل القرآن عليهم عليهم السلام، كما ستقف عليه في الخاتمة بعد نقل جواب آخر له عن سؤال آخر للسائل المذكور فانتظره!

هذا؛ ويمكن أن يقال: إنّ الأشاعرة لمّا قالوا: إنّ إطلاق اسم القرآن وكلام الله تعالى على هذا المؤلّف ليس بمجرّد أنّه دالّ على كلامه القديم حتّى لو كان مخترع هذه الألفاظ غيره تعالى لكان هذا الإطلاق بحاله، بل لأنّ له اختصاصاً آخر به تعالى وهو أنّه اخترعه بأن أوجد أوّلاً الأشكال في اللوح المحفوظ لقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[2] والأصوات في لسان الملك لقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ قالوا: إنّ كلام الله تعالى القرآن بل حرفاً منه أفضل من النبيّ وآله عليهم السلام.

ويحتمل أن يكون لهم، أو للمعتزلة القائلين بذلك على ذلك دليل آخر من العقل أو النقل إلّا أنّ الناقل المذكور ظفر على المنقول ولم يظفر على دليله، ومعلوم أنّ عدم

---

١. الحاقّة: ٤٠.

٢. البروج: ٢١ و٢٢.

الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود.

هذا؛ وقد علمت أنّ كلامنا في هذه الرسالة ليس في تفضيل القرآن على النبيّ صلى الله عليه وآله فإنّه محلّ توقّف لا لما ذكره بعض مشايخ العجم في مقام ترجيحه على القرآن، بل لقوله تعالى: «خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي»[1] وقوله صلى الله عليه وآله: «أنا سيّد من خلق الله عزّ وجلّ»[2] وأمثاله، فإنّها مع قوله عليه السلام: «القرآن أفضل كلّ شيء دون الله»[3] يورث التوقّف.

وفيه أيضاً نظر يعرفه العارف بعد ما تأمّله. بل الغرض المسوق له الكلام في هذا المقام بيان أكبريّة الكتاب وأفضليّته من العترة، فإنّه بعد ورود تلك الأخبار مع عدم معارض يعتدّ به لا محلّ للتوقّف فيه.

---

١. لاحظ: شرح أُصول الكافي: ج ٤، ص ٢٢٨.

٢. كمال الدين، ص ٢٦١، بحارالأنوار، ج ١٦، ص ٢٦٤، ح ٦٦.

٣. مستدرك الوسائل، ج ٤، ص ٢٢٤.

تقرير حجّة ودفع شبهة

لا شبهة في أنّهم عليهم السلام كانوا مهتدين بالقرآن، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[1].

وقول عليّ بن الحسين عليه السلام في «الصحيفة الكاملة» في دعاء ختم القرآن: «وجعلته نوراً نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة باتّباعه»[2].

ومقتدين به لقول عليّ عليه السلام: «فجاءهم بتصديق الّذي بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه»[3].

ولا شكّ أنّ الهادي والمقتدي به من حيث هما هاد ومقتدى به أفضل وأشرف من المهتدى والمهتدي والمقتدي من حيث هما مهتدٍ ومقتدٍ، لوجوب أفضلّة الإمام المتبوع من المأموم التابع، كما هو مذهب أهل الحقّ.

وأمّا ما قال الشيخ البهائيّ رحمه الله في الجواب عنه من أنّ وجوب اقتدائهم بالقرآن معناه وجوب العمل بما تضمّنه من الأحكام والتصديق بما يشتمل عليه من الأخبار، فلنا أن نقول: هذا لا يقتضي كونه أفضل منهم، كما إذا كتب السيّد بعبده كتاباً وأمره بالاقتداء بمضمونه والعمل بما فيه، فإنّ ذلك لا يدلّ على أفضليّة

---

١. الإسراء: ٩.

٢. الصحيفة السجاديّة، ص ١٧٤؛ مصباح الكفعمي، ص ٤٦١.

٣. نهج البلاغة، ص ٢٢٣؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ٢٣.

الكتاب على ذلك العبد بشيء من الدلالات.

ففيه أنّ هذا الجواب إنّما يفيد عدم أفضليّة ذلك الكتاب من ذلك الوجه على ذلك العبد المكتوب إليه بخصوصه، وهو النبيّ، والمدّعى أعمّ منه، لأنّ الغرض المسوق له الكلام في هذا المقام هو تفضيله بهذا الوجه على آله، لا عليه، عليه وعلى آله السلام.

ثمّ أنت خبير بأنّ وجوب اقتداء كلّ أحد بالقرآن معناه ما ذكره وهو وجوب العمل بما تضمّنه من الأحكام التصديق بما يشتمل عليه من الأخبار، فلنا أن نقول: هذا لا يقتضي كونه أفضل منه، ... إلى آخر ما قاله.

فعلى تقدير صحّته يلزم أن لا يكون القرآن أفضل من أحد من أفراد المكلّفين وهو ينافي قوله عليه السلام: «القرآن أفضل كلّ شيء دون الله»[1]، تأمّل فيه!

على أنّا نقول: وجوب اقتداء كلّ أُناس بإمامهم، معناه وجوب العمل بما يقوله من الأحكام والتصديق بما يخبر به من الأخبار وامتثاله في أوامره ونواهيه، والمقدّر أنّه لا يقتضي كونه أفضل منهم وهو خلاف ما ذهب إليه الإماميّة.

وبالجملة، لا فرق في المعبّر بين الاقتداء بالقرآن والاقتداء بهم، فإنّ الثقلين سيّان فيه ولذلك قرنهم به إيذاناً بأنّ الكتاب العزيز كما يجب اتّباعه والتمسّك به كذلك يجب اتّباعهم والتمسّك بهم، لقضيّة العطف، بل التصريح به، كما يدلّ عليه قول الصادق عليه السلام فيما مرّ وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقتدى بالقرآن وآل محمّد، الحديث.

فبأيّ معنى أخذ الاقتداء بالنسبة إلى أحدهما فليؤخذ بهذا المعنى بعينه بالنسبة

---

١. جامع الأخبار، ص ٤٠؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ٢٩٠.

إلى الآخر، فإذا اقتضى وجوب الاقتداء بأحد الثقلين كونه أفضل من المقتدى فليقتض وجوب الاقتداء بالآخر كونه أفضل من ذلك المقتدى أيضاً، فإذا كانوا عليهم السلام مأمورين بالاقتداء بالقرآن، كما هو المفروض كان أفضل منهم وهو ظاهر.

شبهتان أُخراوان مدروءتان:

قد يقال: إنّه عليه السلام لمّا أضاف الكتاب إلى الله والعتره إلى نفسه سلك فيها طريق الأدب، فسمّى الأوّل بالأكبر والثاني بالأصغر.

وغاية توجيه كلامهم ـ وإن لم يتفطّنوا به ـ أنّ الإضافة قد تفيد تعظيم المضاف، كما في بيت الله وجار الله وأمثالهما، فلمّا أضاف الكتاب إلى الله تعالى والعترة إلى نفسه أفاد بذلك تعظيم الأوّل أكثر ممّا أفاد به تعظيم الثاني، ولذلك سمّى الأوّل بالأكبر والثاني بالأصغر وإن لم يكونا كذلك في نفس الأمر.

والجواب عنه من وجوه:

الأوّل: إنّه عليه السلام ﴿ وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ ۞إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْيٌ يُوحىٰ ﴾[1] فما نطق به لما كان ممّا أوحى به إليه ربّه وجب أن يكون مطابقاً للأمر نفسه، كيف لا وهو عليه السلام كان في مقام تبليغ ما أُنزل إليه من ربّه، ولذلك قال في غدير خمّ:

«معاشر الناس! إنّ عليّاً والطيّبين من ولده هم الثقل الأصغر والقرآن هو الثقل الأكبر.

...إلى قوله: ألا وقد أدّيت؟ ألا وقد بلّغت؟ ألا وقد أسمعت؟ ألا وقد

---

١. النجم: ٣ و ٤.

أوضحت ؟ ألا وإنّ الله عزّ وجلّ قال وأنا قلت عن الله عزّ وجلّ »[١].

فليت شعري إذا كان ما قاله عليه السلام من أكبريّة الكتاب وأصغريّة العترة قول الله عزّ وجلّ فكيف يتصوّر كونه مخالفاً لما في نفس الأمر وواقعاً على طريق الأدب ؟ أليس هذا تكذيباً لله ورسوله ؟ نعوذ بالله منه.

وأمثال هذه الشكوك والشبهات وإن كانت ناشئة عن الجهل بالأخبار أو عدم التدبّر في مضامينها فتكون غير مستحقّة للجواب بيد أنّي أجبتهم إلى ذلك حسماً لمادّة شبهتهم وقطعاً لأُصول مشاغبتهم ومجادلتهم، فنقول: وبما قرّرنا ظهر جواب آخر، وهو أنّ هذا الخبر وأمثاله ليست فيها الإضافة والنسبة الّتي جعلوها دليلاً على سلوك طريق الأدب، وقد ذكر فيها الأكبريّة والأصغريّة.

الثالث: إنّه عليه السلام لمّا راعى الأدب وقد أُمرنا أن نتأسّى به ونأخذ منه ما آتاناه وجبت علينا رعاية هذا الأدب وسلوك هذا الطريق بطريق أولى، فوجب أن نسمّي الأوّل بالأكبر والثاني بالأصغر تأسّياً به وإن لم يكن الأمر كذلك في نفسه وهو كذلك في نفسه لما مرّ.

الرابع: إنّ هذا المقام ليس مقام هضم النفس ورعاية الأدب، لأنّه عليه السلام أدّى ذلك في غدير خم وفي سائر المواقف العامّة بأمر ربّه، وهو قوله جلّ وعزّ: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٢] فقال ذلك بلا تقيّة وخوف، تعظيماً لشأن عترته وترغيباً للناس إليهم وإلى الاقتداء بهم والاهتداء بأنوارهم والاقتفاء بآثارهم.

---

١. الاحتجاج، ج ١، ص ٦٠؛ بحارالأنوار، ج ٣٧، ص ٢٠٨.

٢. المائدة: ٦٧.

فلو كانوا أكبر من الكتاب في نفس الأمر لاقتضى المقام ذكره والإشاعة والصدع به والإذاعة بل المبالغة والتأكيد فيه، لأنّه ﷺ ما كان في مقام بيان أفضليّة القرآن، لكونها مسلّمة معروفة عند المخاطبين، بل كان في صدد ذكر فضائلهم وبيان مقادير درجاتهم ومنازلهم، ولذلك قرنهم بالكتاب الكريم والذكر الحكيم إشعاراً بقدرهم وفضلهم وإحاطة علمهم بما في الكتاب وإنّه كما يجب اتّباعه والتمسّك به كذلك يجب اتّباعهم والتمسّك بهم لقضيّة العطف، بل التصريح به أيضاً ـ كما مرّ ـ وذلك أمر لا يخفى على البصير الناقد.

هذا؛ ثمّ إنّ الله جلّ ذكره قد اختار موضعاً خاصّاً من الأرض مع تشابه أجزائها واتّحاد طبيعتها في بدء الفطرة والخلقة، ثمّ عظّمه وشرّفه وأمر بأن يُبنى فيه بيت من الأحجار والأمدار وسمّاه بيت الشرف والمجد وكلّف عباده أن يرتحلوا إليه من البلدان المتنائية والأصقاع المتقاصية مع كدّ عظيم وجهد شديد ومشقّة بالغة وأن يحجّوا به ويطوفوا حوله معظّمين له ومقرّين بفضله وشرفه زاده الله فضلاً وشرفاً، فما لهؤلاء القوم لا يتعجّبون عن ذلك ولا يسألون عن وجهه وسبب شرفه وهم لفرط جهلهم يتعجّبون عن شرافة القرآن ويسألون عن وجهها ويقولون: إن هو إلّا قراطيس مصنوعة وحروف حادثة مكتوبة فيها.

وقد غلطوا في ذلك ولم يعرفوا الأمر نفسه، لأنّه أفضل كلّ شيء دون الله، وفيه الترياق الأكبر والكبريت الأحمر والخواصّ الغريبة والمعجزات العجيبة، ولا يمثّل بالطود الأشمّ، بل هو أفخم ولا بالبحر الخضم، بل هو أعظم.

وهو إن نظرت إلى المواعظ والزواجر فمنه يأخذ الخطيب المصقع والواعظ المبلّغ، وإن نظرت إلى الأحكام ومعالم الحلال والحرام فمن بحره يغترف الفقيه الحاذق والمفتي الصادق، وإن نظرت إلى البلاغة والفصاحة فمنه يأخذ البلغاء

بتوجيه معانيه ومعرفة أساليبه ومبانيه، وبه يفتخر الأديب الكاسر والكيّس الماهر، وإن نظرت إلى الاستشفاء والاسترقاء ففيه الشفاء والدواء وهو سبيل إلى الكفاية والغناء، ووسيلة إلى إجابة الدعاء.

ولذا ورد: «إنّ القرآن مأدبة الله وآياته خزائن العلم، فكلّما فتحت خزانة فينبغي لك أن تنظر فيها، وإذا التبست عليكم الأُمور كقطع من الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع وشاهد مصدّق؛ من جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو أوضح دليل إلى خير سبيل، من قال به صدق ووفّق، ومن حكم به عدل، ومن أخذ به أُجر، ومن أعطاه الله القرآن فرأى أنّ أحداً أُعطي أفضل ممّا أُعطي فقد صغّر عظيماً وعظّم صغيراً، ومن استكفى بآية من القرآن من المشرق إلى المغرب كفى إذا كان له يقين»[١].

وهذا القدر كاف في الاستشهاد على ما ادّعيناه، إذ كثيره كثير يعجز عنه غير النبيّ وأوصيائه الذين هم تراجمة كتاب الله العزيز.

وما عسى أن يقول فيه المادحون ويثني عليه المثنون بعد قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[٢]؟

وكفى به فضلاً ونبلاً وشرفاً وقدراً ما رواه عليّ بن إبراهيم في تفسيره عن الرضا عليه السلام قال: «نزلت الأنعام جملة واحدة شيّعها سبعون ألف ملك لهم زجل[٣] بالتسبيح والتهليل والتكبير؛ فمن قرأها سبّحوا له إلى يوم القيامة»[٤].

---

١. أُنظر: وسائل الشيعة، ج ٦، ص ١٦٨.

٢. الأعراف: ١٨٥.

٣. أي: كانوا يحسنونها أو يكثرونها أو يرفعون صوتهم بها. (منه رحمه الله).

٤. تفسير القمي، ج ١، ص ١٩٣؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ٢٧٤.

شبهة أُخرى مدروءة:

وهي من أقوى شبهاتهم بزعمهم وأوثق متمسّكاتهم الّتي صالوا بها على خصومهم.

قال صاحب «بحار الأنوار» في كتابه الفارسيّ المسمّى بـ«مشكاة الأنوار» بعد نقل جملة من الأخبار الواردة في فضائل القرآن وحامليه المنقول أكثرها من «الكافي» المسطورة فيه في أبواب فضائل القرآن ما حاصله:

إنّ القرآن لمّا لم يكن جوهراً قائماً بذاته، بل كان عرضاً حالّاً في محالّ مختلفة بصور وظهورات متفاوتة كما كان لم يزل في علم الواجب الوجود، ثمّ منه ظهر في اللوح المحفوظ ومنه انتقل إلى الروح الأمين وبوساطته ارتسم في روع محمّد خاتم النبيّين ومنه وصل إلى قلوب الأوصياء والمؤمنين، ثمّ برز في الألواح والقراطيس بصور كتيبة كانت لمحلّه على تفاوت مراتب ظهوره فيه حرمة وكرامة، فكلّ محلّ ظهر فيه ظهوراً أوفر أورثه حرمة وكرامة أكثر.

فإذا كان ظهوره في الألواح والكواغيذ ونقشه فيهما بالمداد مع أنّ هذا أدنى مرتبة ظهوراته يفيد حرمتها وحرمة دفّتيها حتّى أنّه لا يرتكب أحد من المسلمين بالنسبة إليهما خلاف الأدب إلّا وقد كفر، فقلت: المؤمن الحامل له المرتسم هو فيه يكون أكثر حرمة من هذه القراطيس المنقوشة فيها هذه النقوش والأشكال، ولاسيّما إذا كان المؤمن عالماً بما فيه من الأُمور والأحوال، ولذا ورد: أنّ المؤمن أكثر حرمة من القرآن أي: من هذا القرطاس المنقوش فيه هذه النقوش.

وخلاصة ما أفاده أنّ لمحلّ القرآن باعتباره حرمة وكرامة وهي تختلف باختلاف المحلّ حيثيّة وشرفاً ثمّ بظهوره فيه شدّة وضعفاً، فلمّا كان قلب المؤمن أشرف من الألواح والقراطيس، وقد ظهر فيه القرآن أشدّ ظهوراً منه فيها لتحقّقه فيه صوتاً

ومعنى بخلاف تلك الألواح والكواغيذ كان قلبه المظهر له أكثر حرمة من هذه الأشياء المظاهر له، ثمّ حمل على ذلك ما ورد في الخبر.

والوجه فيه: أنّ القرآن على رأيه في هذه الرسالة عبارة عمّا نقشت فيه نقوش القرآن، فقرآن المؤمن وهو قلبه المنقوش فيه هذه النقوش أكثر حرمة عنده من هذا القرآن وهو هذا القرطاس المنقوش فيه هذه النقوش، وسيأتي ما في تعريفه القرآن من الخلط والاضطراب بعون الله الملك الوهّاب.

فهذا الخبر ـ على ما حمله عليه ـ لا يفيد كون المؤمن أكثر حرمة من شخص القرآن الحالّ في قلبه ولاسيّما ما كان قائماً باللوح المحفوظ وهو الّذي أخبر عنه سبحانه بقوله: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾[1] وقوله: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾[2].

كيف والمفروض أنّ القرآن هو الّذي أفاده وأفاد قلبه بظهوره فيه فضلاً وحرمة، كما أفاد بظهوره في تلك القراطيس فضلها وحرمتها حتّى لا يجوز خلاف الأدب إليها ولا إلى جلدها، كما اعترف به هذا الفاضل والأمر على ما اعترف به.

ومنه يظهر أنّ كونه عرضاً حالّاً في محلّ لا يعطى كون ذلك المحلّ أشرف من ذلك الحالّ، كما سنبيّنه مفصّلاً بعون الملك المتعال.

ثمّ كيف يمكن القول بذهاب هذا الفاضل إلى أفضليّة المؤمن وأكثريّة حرمته من نوع القرآن الحاصل في ضمن جميع أفراده حتّى يلزم منه كون كلّ مؤمن أفضل من كلّ قرآن، كما توهّمه كثير منهم من كلامه المنقول عنه آنفاً، وهو قد ذكر أكثر

---

١. البروج: ٢١ و٢٢.

٢. الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

الأخبار الواردة في أكبريّة القرآن وأفضليّته من العترة في أغلب كتبه الفارسيّة والعربيّة، منها ما ذكره ـ كما سبق ـ في كتابه المسمّى بـ« حقّ اليقين » في مقام إثبات إمامة أئمّة المعصومين، ومنها ما ذكره في كتابه « بحار الأنوار » من غير نكير ولا تأويل، مع أنّ المعروف منه في هذا الكتاب أنّه يورد بيانات يذكر فيها ما يطابق رأيه.

سلّمنا أنّه يرى ذلك، ولكنّه كيف يكون قوله هذا حجّة، وقد وردت على خلافه تلك الأخبار المتواترة معنى، المقبولة عند علمائنا المتقدّمين والمتأخّرين، الصريحة في أكبريّة القرآن من العترة فضلاً عن غيرهم من المؤمنين، وهل هو معصوم يكون قوله وفعله وتقريره حجّة أم له على ذلك دليل من قول المعصوم يكون أقوى وأسدّ وأشهر وأصحّ ممّا ذكرناه من الأخبار ولم يكن منسوخاً بها؟

فإن كان الواقع هو الثاني فهو مطاع ومقبول، ولكنّه ليس فليس ما على أنّ كون المؤمن أكثر حرمة من هذا القرآن وهو هذا المؤلّف المخصوص لا من حيث تعيين المحلّ معارض بقوله عليه السلام: « القرآن أفضل كلّ شيء دون الله عزّ وجلّ »؛ فمن وقّر القرآن فقد وقّر الله، ومن لم يوقّر القرآن فقد استخفّ بحرمة الله، حرمة الله على القرآن كحرمة الوالد على ولده.

وظاهر أنّ المراد بالقرآن المذكور في هذا الخبر وأمثاله هو هذا المنقول في هذه المصاحف تواتراً، فإذا تعارضا تساقطا، ويبقى سائر الأخبار الدالّة على أكبريّة القرآن وأكثريّة حرمته من كلّ مؤمن حتّى من العترة الطاهرة سالمة عن المعارض.

وظنّي أنّ هذا الخبر ـ على فرض صحّته وسلامته عن معارض أقوى ـ غير صالح للمعارضة أصلاً، بل هو في معزل من الاعتبار، لأنّه إن كان عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فهو منسوخ بما مرّ، لما مرّ، وإن كان عن أحد الأئمّة، فلاوجه له أصلاً، لأنّه بظاهره

يفيد نسخ جميع ما مرّ من الأخبار الدالّة على أكبريّة القرآن وأكثريّته حرمة من العتره فضلاً عن غيرهم من المؤمنين، وقد تعرّفت ممّا أسلفناه من القاعدة أنّ النسخ لا يكون بعد النبيّ فكيف يتصوّر في أخبارهم المنتهية إليه، فإنّ علومهم مقتبسة من تلك المشكاة خبر ينسخ ما قاله في آخر يوم قبض فيه من أيّام الدنيا.

ثمّ من العجب أنّ بعض المتوهّمين منهم بمجرّد ما زعمه وفهمه من كلام الفاضل المذكور كتب رسالة بناء على حسن ظنّه به وتقليده إيّاه، كما قلّده قوم آخرون ولقد جاؤوا بذلك ظلماً وزوراً في ردّ جميع ما نقلناه من الأخبار المذكورة في طرق الخاصّة والعامّة المستدلّ بها على إثبات الأئمّة الغير القابلة للتأويل بوجه، وبنى الأمر فيه على تأويلات ركيكة وتصحيفات سخيفة غير لائقة إلّا بحاله ويفهم أمثاله، وذلك لعدم عثوره على خبر يناقضها ويعارضها، فلمّا تبيّن له أنّها الحقّ وتنبّه بغلطه وقلّة تدبّره وسوء تفكّره وذلك بعد إشارة بعض أصحابنا الأذكياء إليه بذلك من قبل أنتصل رسالته هذه إلينا استكتمها وأدرجها في بعض طاقات كفنه وأوصى بها أهله وخلطاءه ومن يرى رأيه من الجهلة الغفلة أن يدفنوها معه في قبره، فبعد ما وصلت حكايته هذه إلينا قلنا: الآن قد تحقّق مصداق المثل السائر الّذي لا يعرف الفقه قد صنّف فيه كتاباً.

شبهة أُخرى مدروءة:

قد تشبّث جمّ غفير وجمع كثير منهم في مقام المعارضة بقوله عليه السلام: «أنا كلام الله الناطق»[1]، قالوا: وهذا يدلّ على كونه أفضل من القرآن وأنت وكلّ سليم الفطرة

---

١. بحارالأنوار، ج ٣٠، ص ٥٤٦.

خبير بأنّ هذا غرور منهم وجهل، لأنّ من البيّن أنّ المراد به أنّه عليه السلام كان مفسّراً لكلام الله الناطق ومبيّناً لما اختلف فيه الأُمّة منه بعد نبيّهم، ولذا قرنه به وجعله خليفته في أُمّته ثقة به واعتماداً عليه بكونه عالماً بما فيه من المحكم والمتشابه والعامّ والخاصّ والناسخ والمنسوخ والتأويل والتنزيل والسور وآياته وقراءاته ومعانيه ومبانيه وتفسيره وما فيه من البطون وغير ذلك علماً يقينيّاً كان يخبر عن مراده تعالى، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبر عن مراده، وما كانت معرفته بتنزيله وتأويله استنباطاً ولا استخراجاً كما لم تكن معرفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك كذلك، وقد أخبر هو عليه السلام بذلك حيث قال: «والله، ما نزلت من آية في برّ أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار إلّا وأنا أعلم فيمن منزلت وفي أيّ شيء نزلت»[1] لا أنّ ذاته الشريف وعنصره اللطيف هو هذا الكلام الّذي من سنخ العرض، لكونه مؤلّفاً من الحروف والأصوات المتصرّمة المتجدّدة. فتبيّن أنّ هذا الكلام لا يدلّ على كونه عليه السلام أفضل من القرآن.

وأمّا ما قالوا في مقام الدلالة من الفرق بين الناطق والصامت فمبنيّ على جعلهم الناطق صفة له عليه السلام بعد جعلهم الكلام محمولاً عليه حملاً حقيقيّاً وهو ممتنع، كما مرّ، بل هو وصف للكلام، كما سيأتي بعون الله الملك العلّام.

ويدلّ على ما حملنا الخبر عليه زائداً على ما ذكرناه ما رواه عليّ بن إبراهيم في تفسيره ـ في حديث طويل ـ عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[2].

---

١. الطرائف، ج ٢، ص ٥١٧؛ بحارالأنوار، ج ١، ص ١٨٦.

٢. المائدة: ١١٩.

قال عليه السلام بعد كلام طويل: «فيقول الله لمحمّد صلى الله عليه وآله: يعني إذا كان يوم القيامة وحشر الناس للحساب فهل استخلفت في أُمّتك من بعدك من يقوم فيهم بحكمتي وعلمي ويفسّر لهم كتابي ويبيّن لهم ما يختلفون فيه من بعدك حجّة لي وخليفة في الأرض؟

فيقول محمّد: نعم يا ربّ! قد خلّفت فيهم عليّ بن أبي طالب أخي ووصيّي ووزيري وخير أُمّتي، ونصبته علماً لهم في حياتي، ودعوتهم إلى طاعته، وجعلته خليفتي في أُمّتي»[1]، الحديث.

هذا، وقال المدقّق الخفريّ: المتبادر والمشهور في استعمال الكلام إنّما هو العبارات والألفاظ الدالّة، وهذا علامة كونه حقيقة فيها، ولذا قال المصنّف ـ يعني به نصير الملّة والدين الطوسيّ قدّس الله روحه القدسيّ ـ في «شرح رسالة العلم»: الأصل في الكلام إنّما هو المؤلّف من الحروف المسموعة الدالّة بالوضع على ما قصد دلالته عليه لتحصيل التفاهم بين أشخاص النوع ووجوده لا يتحصّل إلّا بعد العلم بالمعاني وتقدير ترتيب أجزاء المؤلّف في الذهن حتّى يمكن أن يؤلّف الكلام منها، فبعض الناس ـ كالمنطقيّين ـ يطلقون اسم الكلام على ذلك التقدير في الذهن، وبعضهم يطلقون على ذلك العلم، والمتكلّمون يصفونه تعالى بالكلام، لورود الشريعة بذلك، إذ لولاه لما توهّم العوام الوحي، فمنهم من قال: إنّه هو العلم، ومنهم من قال: إنّه زائد على العلم قديم غير مؤلّف ولا مسموع، ومنهم من قال: إنّه زائد على العلم محدث، أو قديم مؤلّف ليس بمسموع، لكن يطابق المسموع، [و] منهم من قال: إنّه مؤلّف مسموع، والذين يقولون مع ذلك إنّه قديم لا يتفكّرون

---

١. تفسير القمي، ج ١، ص ١٩١؛ بحارالأنوار، ج ٧، ص ٢٨٢.

في معنى قولهم.

ثمّ قال الخفريّ: وأقول: قد أشار بقوله: «الأصل في الكلام» إلى أنّ معنى من المعاني المغائرة لهذا المعنى إذا استعمل فيه الكلام والكلمات، فإنّه مجازيّ كمعاني الألفاظ والموجودات العينيّة والعلم بالألفاظ، كما ورد في حقّ عيسى عليه السلام: ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾[1] وقال الله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾[2] وقال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: «أنا كلام الله الناطق»، وكما قيل: إنّ بسائط الموجودات صروف ومركّباتها كلمات، ... إلى آخر ما قاله هناك[3].

---

١. النساء: ١٧١.

٢. فاطر: ١٠.

٣. فهذا صريح في أنّهم عليهم السلام كانوا مفسّرين للقرآن بعد ما فسّره النبيّ لهم، وعالمين بما فيه بعد ما علّمهم وقرنهم به وكان علمهم به بهذا التعليم سبباً لشرافتهم ومنشأ لفضيلتهم على الغير، لأنّهم لم يحملوه كما حملوه، ولم يطيقوه كما أطاقوه، فكانوا من أكمل أفراد حامليه وأتمّهم وأفضلهم ولم يكونوا عينه ولا مصداقه إلّا مجازاً. (منه رحمه الله)

تنبيه

كونه عليه السلام عالماً بما في القرآن ومفسّراً له لا يعطي كونه أكبر منه وأعظم، بل لا يعطي المساوات، بل نقول: علمهم عليهم السلام بما فيه سبب لرفع درجتهم وسموّ مرتبتهم وكمال فضيلتهم ومكانتهم، فيكونون مستفيدين علومهم منه وذلك يدلّ على أكبريّته وأصغريّتهم، كما سيأتي.

وقال عليّ بن الحسين عليهما السلام في «الصحيفة الكاملة» في دعاء كان له عند ختم القرآن:

«اللّهمّ إنّك أنزلته على نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله مجملاً، وألهمته علم عجائبه مكملاً، وأورثتنا علمه مفسّراً، وفضّلتنا على من جهل علمه، وقوّيتنا لترفعنا فوق من لم يُطق حمله.

اللّهمّ فكما جعلت قلوبنا حملة، وعرّفتنا برحمتك شرفه وفضله فصلّ على محمّد الخطيب به وعلى آله الخزّان له»[1]، الدعاء.

وإذا كانت معرفة شرفه وفضله من محض رحمة الله ونعمته عليهم عليهم السلام خاصّة ولذلك عدّوها مفاخرهم ومناقبهم، وذلك يدلّ على أنّ غيرهم وإن بذل جهده وأفرغ وسعه لم ينل معرفة ذلك. فما أقول بعد ذلك في الفرق بين الشرافتين والتمييز

---

١. مصباح المتهجّد، ص ٥١٩؛ مصباح الكفعمي، ص ٤٦١؛ الإقبال، ص ٢٦٧.

بين الفضيلتين، وسيأتيك في ذلك كلام أوسع.

نقل كلام لتأكيد مقام: قال الشيخ البهائيّ ﷺ ـ بعد أن سُئل بهذه العبارة: هل يدلّ على أفضليّتهم على القرآن حديث صفّين: «هذا كتاب الله الصامت وأنا كتاب الله الناطق؟»[1] ـ وما الدلالة إذ ليس كلّ ناطق أفضل من القرآن وإلّا لكان كلّ إنسان كذلك، إلّا أن يقال: إنّ الناطق من حيث كونه ناطقاً أفضل من الصامت من حيث كونه صامتاً، فأميرالمؤمنين عليه السلام مساو للقرآن من حيث هو أيضاً كتاب الله، وأفضل منه من حيث اختصاصه بالنطق، وليس كذلك من ليس كتاب الله من الناطقين، ويثبت حينئذٍ أفضليّة النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً، لأنّه أفضل من عليّ عليه السلام، ويبقى الكلام عن باقي الأئمّة. لكن ما تقولون في هذا الخبر هل هو متواتر يقوم بحجّيّة ذلك أم واحد صحيح أم ضعيف؟

وجه الدلالة أنّه عليه السلام إنّما قال ذلك الكلام إزراء برأي مخالفيه لمّا انخدعوا برفع المصاحف على الرماح ومالوا عنه، فغرضه أنّ الميل إليه هو الصواب وهو يعطي الأفضليّة.

لكن لقائل أن يقول: لعلّ غرضه عليه السلام أنّ القرآن لا يدعوكم إلى نفسه في ذلك الوقت، بل هو ساكت عن ذلك، وأنا أدعوكم إلى نصرتي وأكون مع الفرقة الّتي أنا إمامهم فكيف تعرضون عمّن يدعوكم في هذا الوقت وتستنصرون من هو صامت عن دعوتكم؟ وعلى هذا فلا دلالة على الأفضليّة.

ثمّ قال: وهذا الخبر ليس متواتراً وإنّما هو آحاد ولا يحضرني كون سنده صحيحاً. انتهى.

---

١. العمدة، ص ٣٢٩؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ٢٧٠.

وفيه نظر، ولا شكّ أنّ القرآن أيضاً كان يدعوهم في هذا الوقت بأعلى صوته إلى نصرته وهو عين دعوته لهم إلى نفسه، لأنّه مع الحقّ والحقّ معه يدور حيثما دار، ولكنّهم لم يكونوا سامعين لتلك الدعوة ولا ناصرين للقرآن ولا عارفين بما فيه، ولذا كانوا محتاجين إليه عليه السلام في أن يسمعهم ذلك ويعرفهم، وهذا معنى كونه صامتاً وكونه ناطقاً.

فليس غرضه عليه السلام ما ذكره رحمه الله، بل غرضه أنّ الميل إلى القرآن هو الصواب، ولكن بشرطه عليه السلام من شرطه، لأنّه كما مرّ أُنزل مجملاً فلابدّ له من مبيّن ومفسّر وهو عليه السلام يدلّ عليه قوله في كلام له مذكور في «نهج البلاغة»:

إنّا لم نحكّم الرجال وإنّما حكّمنا القرآن إنّما هو مسطور بين الدفّتين لا ينطق بلسان ولابدّ له من ترجمان، وإنّما ينطق عنه الرجال.

وهذا بعينه معنى قوله: «هذا كتاب الله الصامت وأنا كتاب الله الناطق»[1].

وعلى هذا فلا يعطي الأفضليّة. ولا حاجة في الجواب عنه إلى ما ذكره من الوجه البارد.

والحاصل: أنّ غرضه عليه السلام أنّ كتاب الله صامت لا يخبركم بحقيقة حال مخالفيكم وبواطن أمرهم وأنّهم برفعهم المصاحف بما كرونكم ويخادعوكم وأنا ناطق يخبركم بذلك ويرشدكم إلى ما فيه صلاحكم وسدادكم في أمر الدين والدنيا موافقاً لما في كتاب الله فأطيعوه في أمره ترشدوا وتهتدوا.

يدلّ عليه قوله عليه السلام في آخر كلام له للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة: «ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكراً

---

١. نفسه.

وخديعة: إخواننا وأهل دعوتنا! استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم، والتنفيس عنهم. فقلت لكم: هذا أمر ظاهره إيمان وباطنه عدوان، وأوّله رحمة وآخره ندامة، فأقيموا على شأنكم، والزموا طريقتكم، وعضّوا على الجهاد بنواجذكم. ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق: إن أُجيب أضلّ، وإن تُرك أذلّ»[1].

وهم وتنبيه:

قال الفاضل المجلسيّ قدّس الله روحه القدسيّ في كتابه الفارسيّ المسمّى بـ«مشكاة الأنوار» ما حاصله:

أنّ القرآن لمّا كان مثالاً عمّا نقش فيه نقش القرآن وكان قلبه عليه السلام محلّاً للفظ القرآن ومعناه، وقد ظهر فيه القرآن ظهوراً تامّاً ونقش فيه نقشاً تماماً قال: «أنا كلام الله الناطق».

والظاهر منه أنّه حمله على ظاهره ثمّ وجّه التخصيص بما ذكره من غاية ظهوره فيه صوتاً ومعنى، ولكن في تعريفه القرآن بما عرفه به ـ وهو أصل أساس هذا الحمل ـ نظر ظاهر، لأنّه على هذا لا يبقى فرق بين القرآن وحامليه، وهو مع كونه مخالفاً لصريح الأخبار وما ذهب إليه جميع الأخبار، لأنّ منهم من عرفه بأنّه كلام منزل للإعجاز بسؤال منه، ومنهم من قال هو ما نقل بين دفّتي المصحف تواتراً إلى غير ذلك ممّا سبق في مقدّمة الرسالة مخالف لما مرّ منه في أوائل هذا الكوكب الّذي ذكر هذا الكلام فيه، حيث قال بعد أن ذكر أقسام حاملي القرآن بثلاثتها: فالحامل الحقيقيّ للقرآن من حمل ألفاظه ومعانيه واتّصف بصفاته الحسنة وتخلّق

---

١. نهج البلاغة (محمّد عبده)، ج ١، ص ٢٢٦؛ بحارالأنوار، ج ٣٣، ص ٣٦٩.

لأخلاقه المرضيّة.

فإنّ المناسب لكلامه هذا وما سيذكره بعده في مقام عرضيّة القرآن واختلاف مراتب ظهوراته في محالّ مختلفة بصور متفاوتة إلى أن ينتهي إلى النبيّ وأهل بيته الطاهرين، فيظهر فيهم أتمّ ظهوراته، ولذا ورد في وصف النبيّ صلى الله عليه وآله إنّه كان خلقه القرآن أن يحمل هذا الخبر على حذف المضاف أي: أنا محلّ كلام الله ومظهره، ثمّ يوجّه التخصيص بما مرّ من غاية ظهوره فيه صوتاً ومعنى، بل هذا هو المناسب لما ذكره قبيل نقل هذا الخبر، حيث قال: إنّهم عليهم السلام محالّ للفظ القرآن ومعناه أخلاقه.

ولعلّه ذهب عنه الفرق بين المصحف والقرآن، فوضع أحدهما موضع الآخر، وخلط بينهما، لأنّ ما ذكره إنّما هو معنى المصحف، فإنّه عبارة عمّا كتب فيه القرآن ونقش فيه نقشه، وأمّا القرآن فهو ما نقل بين دفّتيه تواتراً، كما تعرّفت.

وبالجملة، إنّه عليه السلام كان حاملاً للقرآن كسائر حامليه ولم يكن عينه ولا فرداً منه ولا مصداقه إلّا مجازاً، وإنكار ذلك جهل وسفه وغرور، بل غلوّ في الدين، فيا أيّها الذين آمنوا لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا إلّا الحقّ، ألا ترون إلى قول سيّدكم وسيّدنا زين العابدين وفخر الساجدين:

«اللّهمّ فكما جعلت قلوبنا حملة وعرفتنا برحمتك شرفه وفضله»[1].

وقوله قبيل ذلك: «وقوّيتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله»[2].

فإنّه يظهر من تقديم الظرف أنّهم عليهم السلام كانوا بعد النبيّ من أكمل أفراد حامليه وأتمّها، ولذا قال عليّ عليه السلام: «أنا كلام الله الناطق»[3] مبالغة وإيماء إلى كمال ظهوره

---

١. الصحيفة السجاديّة، ص ١٧٤؛ مصباح المتهجّد، ص ٥١٩؛ مصباح الكفعمي، ص ٤٦١.

٢. نفسه.

٣. بحارالأنوار، ج ٣٠، ص ٥٤٦.

فيه لفظاً ومعنى، وهذا أمر بيّن مكشوف لا سترة فيه.

فعليك بالتأمّل الموفور في كلام هذا الفاضل المشهور بعد المراجعة، فإنّ كلامه في هذا المقام لا يخلو عن اضطراب وتشويش، كما لا يخفى على من تأمّل فيه وأجاد ثمّ راجع إلى ما حصل له منه واستفاد.

تنبيه

قد علم ممّا ذكرنا أنّ هذا الكلام وهو قوله عليه السلام: «أنا كلام الله الناطق»[1] مبنيٌّ على حذف المضاف، إذ الكلام كان في الأصل محفوفاً مضافاً إليه لفظ المفسّر والمبيّن ونحوهما، فلمّا حذفت هي وأُقيم هو مقامها أعرب بإعرابها، والدليل عليه عدم استقامة الكلام بدونه، كما تعرّفت، فالعقل دلّ على الحذف، والعرف على تعيين المحذوف كالمفسّر والمبيّن والمحلّ والحامل والمثل وأمثالها المناسبة للمقام.

وكذلك كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾[2] وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾[3] وأمثالها، وهذا باب معروف بين علماء الأُصول وكذا المعاني والبيان، وبذلك يعرف أنّ الناطق في الحديث المذكور صفة لكلام الله العزيز لا له عليه السلام، كما توهّمه كثير من الأقوام وتوصيفه به باعتبار وضوح دلالاته وظهور بيّناته وتفصيل آياته وكونه فارقاً بين الحقّ والباطل.

وأمّا توصيفه بالصمت فباعتبار عدم تنطقه بلسان ظاهريّ حقيقيّ، ولذا قال عليّ عليه السلام في خطبة له مذكورة في «نهج البلاغة»: «فالقرآن آمر زاجر وصامت

---

١. نفسه.

٢. المائدة: ٣.

٣. النساء: ٢٣.

ناطق، حجّة الله على خلقه أخذ عليهم ميثاقه »[١].

وفي خطبة أُخرى: « وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه »[٢].

وفي موضع آخر منها: « وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض »[٣].

وسيأتي للحديث المذكور محمل آخر مبنيّ على التشبيه، ذكره صاحب « الوافي » في « الوافي » فانتظره.

شبهة أُخرى مدروءة:

في « الكافي » عن الباقر عليه السلام ـ في حديث طويل ـ: « يا سعد! تعلّموا القرآن.

وساق الكلام عليه السلام... إلى أن قال: ثمّ يتجاوز حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة فيخرّ تحت العرش فيناديه تبارك وتعالى: يا حجّتي في الأرض وكلامي الصادق الناطق! إرفع رأسك وسل تُعْطَ واشفع تُشْفَع.

فيرفع رأسه فيقول تعالى: كيف رأيت عبادي؟

فيقول: يا ربّ! منهم من صانني وحافظ عليّ ولم يضيّع شيئاً، ومنهم من ضيّعني واستخفّ بحقّي وكذّب بي وأنا حجّتك على جميع خلقك »[٤]، الحديث.

ومنه ومن أمثاله يظهر أنّ كنه حقيقة القرآن الدالّ عليه الحدّ غير معلوم لنا، ويؤيّده ما في صريح كثير من الأخبار أنّه يجيء يوم القيامة في صور مختلفة:

تارة في صورة النبيّين والمرسلين.

---

١. نهج البلاغة، ص ٢٦٥؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ٢٠.

٢. نهج البلاغة، ص ١٩١؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ٣٢.

٣. نهج البلاغة، ص ١٩٢؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ٢٢.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٥٩٦؛ بحارالأنوار، ج ٧، ص ٣١٩.

وأُخرى في صورة الملائكة المقرّبين، فيجاوز صفوف أهل المحشر حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة ويتكلّم معه بكلام طويل.

فيقول الجبّار: وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني! لأكرمنّ اليوم من أكرمك، ولأهينّ من أهانك[1].

وظاهر أنّ هذه وأمثالها لا يتصوّر بالنسبة إلى هذه الحروف والأصوات إلّا أن يصار إلى القول بأنّ سنخ الشيء وحقيقته أمر مغاير لصورته المتجلّى بها على المشاعر الظاهرة، وأنّه تختلف ظهوره في تلك الصورة بحسب اختلاف النشئات فيلبس في كلّ نشأة لباساً.

وأمّا الأصل الّذي تتوارد عليه هذه الصور ويعبّرون عنه تارة بالسنخ، ومرّة بالوجه، وأُخرى بالروح فلا يعلمه إلّا علّام الغيوب، فلا بعد في كون الشيء في موطن عرضاً وفي آخر جوهراً، ولذا ذهب كثير من الحكماء إلى وجود الأشياء أنفسها في الذهن وكونها أعراضاً ما دامت فيه، فإذا وجدت في الأعيان كانت الصور الجوهريّة منها جوهراً لا في موضوع فاختلفت الصور باختلاف الظروف، ألا يرى إلى الشيء المبصر فإنّه إنّ يظهر لحسن البصر إذا كان محفوفاً بالجلابيب الجسمانيّة ملازماً لوضع خاصّ وتوسّط بين القرب والبعد المفرطين وأمثال ذلك، وهو يظهر في الحسّ المشترك عرياً عن الأُمور الّتي كانت شرط ظهوره لذلك الحسّ، وكذا أُصول العلم في اليقظة أمر عرضيّ، ثمّ إنّه يظهر في النوم بصورة اللبن، فالظاهر في الصورتين حقيقة واحدة ظهرت في كلّ ظرفة بصورة ويسمّى في كلّ مكان باسم، فقد تجسّم في مقام ما كان عرضاً في آخر.

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٢، ح ١٤.

وهذا المذهب قد ذهب إليه كثير من أهل الإسلام ويـؤيّده ظـاهر كـثير مـن الآيات والروايات. منها، رواية قيس بن عاصم وأبياته المشهورة الّتي منها:

تـخيّر خـليطاً مـن فـعالك إنّـما قرين الفتى في القبر ما كان يفعل[1]

هذا؛ وأمّا تأويل القرآن المذكور في حديث سعد وأمثاله إلى الأئمّة المـعصومين سلام الله عليهم أجمعين، كما ظنّه الفاضل المجلسيّ ﷺ في «المشكاة» فممّا لا معنى له، كما علمت ولا تحتمله أيضاً ألفاظ تلك الأخبار، كما لا يخـفى عـلى النـاظر فـيها بالتأمّل.

وبالجملة، لا معرفة لنا بالثقلين زادهما الله شرفاً وقدراً إلّا بالوجه أو الرسم إلّا أنّه وردت أخبار كثيرة تدلّ على أكبريّة أحدهما من الآخر وأفضليّته منه، فوجب علينا من باب التسليم أن نؤمن بها وأن نعزل العقل بالكلّية، إذ العمدة فيما لا سبيل إليه للعقل هي الأخبار وهي ـ كما تعرّفت ـ صريحة فيما قلنا.

والحاصل: أنّ تفضيل أمر على أمر لا يطّلع عـليه ولا عـلى مـقداره وحـقيقة استحقاقه إلّا علّام الغيوب، أو من يطلق عليه، لأنّ قولنا: القرآن أفضل مـن آل محمّد عليهم السلام معناه أنّه أعظم قدراً وأفخم شأناً عند الله منهم. وهذا أمر لا يطّلع عليه إلّا هو، وإذا أردنا معرفة ذلك فلا طريق لنا إلّا ما ورد به النصّ إمّا في آية، أو رواية من قبل النبيّ صلى الله عليه وآله، لأنّ الله تعالى اطّلعه على الغيب، لقوله: ﴿ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[2].

وإذا كان المرجع في ذلك إلى ما يرد من النصوص من قبل النبيّ صلى الله عليه وآله فقد قـال

---

١. الخصال، ج ١، ص ١١٥؛ بحارالأنوار، ج ٧٤، ص ١١٣.

٢. الجنّ: ٢٦ ـ ٢٧.

مخبراً عن ذلك بهذه الأخبار الواردة في هذا الباب فوجب تسليمها والإيمان بها، كما في سائر الأبواب، ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[1].

وبما قرّرناه يندفع ما توهّمه بعض الناقصين من أنّ أحد الثقلين عرض والآخر جوهر فيكون أشرف منه، وفيه مع ما مرّ وكونه كلاماً في مقابل النصّ الصريح والخبر الصحيح أنّ أشرفيّة الجوهر من العرض مطلقاً غير مسلّم؛

أمّا أوّلاً، فلأنّ غاية الأمر أنّ له علّيّة وتقدّماً عليه بالطبع، وهو الّذي يعبّرون عنه بأنّ وجوده متوقّف على وجوه، وهذا القدر لا يقتضي كونه أشرف منه وأفضل، وإلّا لزم كون هيئة السرير الّتي هي جزء منه أشرف منه، لكونها متقدّمة عليه بالطبع والتزام ذلك يهدم أساس أصل الدعوى، كما لا يخفى، بل ممتنع وجوب كون العلّة التامّة أشرف من المعلول، وسنده أنّ الحكماء لمّا قالوا لا يجوز أن يكون المحويّ علّة للحاوي، لأنّه أخسّ منه، وهو لا يكون سبباً للأشرف أورد عليهم أنّه خطائيّ لا عبرة به في المقامات البرهانيّة، لجواز أن يكون الأخسّ علّة وسبباً للأشرف [و] لابدّ لنفيه من دليل وليس فليس.

وأمّا ثانياً، لأنّ الصور النوعيّة المنوّعة للأجسام أعراض، كما هو الحقّ من مذهب المتكلّمين والإشراقيّين القائلين ببساطة الأجسام، المنكرين للصور النوعيّة الجوهريّه، فتلك الأعراض داخلة في الأنواع ومحصّلة لوجودها في الخارج ومتقدّمة عليها بالطبع، ضرورة تقدّم الجزء على الكلّ، وتركّب الجسم من الجوهر والعرض في الخارج ـ كما في الكرسيّ ـ غير ممتنع على هذا المذهب، كما بيّن

---

١. آل عمران: ٥٣.

في محلّه، فيلزم أن تكون تلك الأعراض بناء على هذا الوهم أشرف من هذه الأجسام، وفي التزامه أيضاً تخريب لبنيان أصل الدعوى، كما لا يخفى.

وأمّا ثالثاً، فلأنّ وجود الجوهر مع كونه عرضاً أشرف منه، لأنّه مع قطع النظر عن ووده وصفاته التابعة للوجود لا شرافة له أصلاً، إذ لا شرف للعدم وإنّما يصير شريفاً بآثاره المطلوبة منه المترتّبة على وجود ذاته لا على ذاته وهو ظاهر.

وأمّا رابعاً، فلأنّا وإن سلّمنا أنّ طبيعة الجوهر بما هي طبيعة أشرف من طبيعة العرض بما هي طبيعة ولكنّا لا نسلّم أنّ جميع أفراده أشرف من جميع أفراده وذلك كما يقال: الرجل خير من المرأة، ولا يلزم منه أن يكون تمام أفراده خيراً من تمام أفرادها.

هذا؛ وأنت بفطرتك السليمة وقريحتك القويمة المستقيمة إذا تحقّقت وتيقّنت الأُصول والمقدّمات المتقدّمة والمتأخّرة قدرت على دفع كلّ اعتراض يورد على هذه المسألة بعد أن كنت من المتأمّلين، فخذ فطانتك بيدك وكن من الشاكرين

الخاتمة

فيما نختم به الكتاب شاكرين لله الوهّاب ومصلّين على أشرف من أُوتي فصل الخطاب محمّد وعترته المعصومين الأطياب.

اعلم أنّ الثقل ـ بالتحريك ـ هو الشيء النفيس المصون، كذا في «الوافي».

وفي «مجمع البيان»: كلّ ما له وزن وقدر فهو ثقل، ومنه قيل لبيض النعام: ثقل، وإنّما سمّيت الإنس والجنّ في قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾[1] ثقلين، لعظم شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من الحيولات ولثقل وزنهما بالعقل والتمييز، ومنه قوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين»، سمّاهما ثقلين، لعظم خطرهما وجلالة قدرهما. انتهى.

وسئل أبوالعبّاس ثعلب «عن معنى قوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين» لم سمّيا بالثقلين؟ قال: لأنّ التمسّك بهما ثقيل»[2]، كذا في «معاني الأخبار» للصدوق ﷺ.

وفيه دلالة على أنّ الكتاب أكبر ثقلاً وأصعب تمسّكاً، لأنّ من تمسّك به فلابدّ له أن يتمسّك بالآخر وإلّا فلا يتمّ تمسّكه به على وجه يؤدّي إلى صلاح المعاش والمعاد، فقول من قال: حسبنا كتاب الله، من الأدلّة الفاضحة والأغلاط الواضحة.

---

١. الرحمن: ٣١.

٢. معاني الأخبار، ص ٩٠؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٣١.

وقوله: «طرف بيد الله وطرف بأيديكم»[١] إشارة إلى ما في حديث آخر: «القرآن حبل الله المتين»[٢]، وفي آخر: «حبل ممدود من السماء إلى الأرض»[٣].

قال ابن الأثير: «أي: نور ممدود. أي: نور هداه، والعرب يشبه النور الممتدّ بالحبل والخيط، وقيل: عهده وأمانه الّذي يؤمن من العذاب، والحبل: العهد والميثاق»[٤].

وقوله: «أحدهما أكبر من الآخر»[٥] أي: أعظم وهو من الكبر ـ بالكسر ـ وهو العظمة، ويجيء بمعنى الأفضل أيضاً.

قال ابن الأثير: وفي حديث الدفن: ويجعل الأكبر ممّا يلي القبلة أي: الأفضل، فإن استووا فالأسنّ، وقد تكرّر في الحديث[٦].

وكلام الشيخ المحقّق في الاستدلال بهذا الحديث على أفضليّة القرآن من آل محمّد عليهم السلام مبنيّ على المعنى الثاني، لكنّ الأظهر أنّ الأكبر فيه بالمعنى الأوّل وهو الأعظم بقرينة مقابلته بالأصغر، ولمّا صرّح به في حديث آخر وأحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله، ولكن قوله في حديث عليّ عليه السلام: أحدهما أفضل من الآخر، يؤيّد ما قاله الشيخ رحمه الله، وقد مرّت الإشارة إلى أنّ مآل المعنيين فيما نحن فيه واحد؛ فتذكّر! ثمّ تدبّر!

---

١. الأمالي للمفيد، ص ١٣٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٢، ص ٤٧٥.
٢. بحارالأنوار، ج ٦٥، ص ٢٣٣.
٣. كمال الدين، ج ١، ص ٢٤٠؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٨٣.
٤. بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ٢٠ مع اختلاف في النقل.
٥. صحيفة الرضا عليه السلام، ص ٥٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٢، ص ٣١١.
٦. النهاية في غريب الحديث، ج ٤، ص ١٤١.

والعترة في اللغة: قطّاع المسلك الكبار في النافجة، والريقة العذبة وشجرة تنبت على باب جحر الضبّ.

قال ابن الأعرابيّ: «إذا خرجت الضبّ من وجارها تمرّغت على تلك الشجرة فهي لذلك لا تنمو»[١].

ثمّ قال: «والعترة: ولد الرجل وذرّيّته من صلبه، ولذلك سمّيت ذرّيّة محمّد صلى الله عليه وآله من عليّ وفاطمة عليهما السلام عترة محمّد صلى الله عليه وآله. وقد قيل: إنّ العترة أصل الشجرة الّتي تنبت من أُصولها وعروقها»[٢].

وقال الصدوق: العترة عليّ بن أبي طالب وذرّيّته من فاطمة وسلالة النبيّ، وهم الذين نصّ الله عليهم بالإمامة على لسان نبيّه، وهم اثنى عشر: أوّلهم عليّ وآخرهم القائم[٣].

وقد فسّر عترته بأهل بيته، والأهل شامل للذرّيّة من ولد الرجل وولد أبيه وجدّه، فعليّ عليه السلام داخل في العترة، وإلّا لما كان ممّن لا يفارقه الكتاب ولا ممّن إن تمسّكنا به لن نضلّ، ولكان الحسنان عليهما السلام أعلم من أبيهما وقت مضي رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يقول بشيء من ذلك أحد منّا.

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله: «إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي»، من العترة؟

فقال: أنا والحسن والحسين والأئمّة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديّهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتّى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٤٨.

٢. نفسه.

٣. بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٤٩.

حوضه»[١].

عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين ـ وضمّ بين سبّابتيه ـ.

فقام إليه جابر بن عبدالله الأنصاريّ فقال: يا رسول الله! ومن عترتك؟

قال: عليّ والحسن والحسين والأئمّة من ولد الحسين إلى يوم القيامة»[٢].

إلى هنا منقول من «إكمال الدين» مختصراً.

وفي «معاني الأخبار» عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «من آل محمّد؟

قال: ذرّيّته.

فقلت: من أهل بيته؟

قال: الأئمّة الأوصياء.

قلت: ومن عترته؟

قال: أصحاب العباء.

قلت: فمن أُمّته؟

قال: المؤمنون الذين صدّقوا بما جاء من عند الله المتمسّكون بالثقلين الذين أُمروا بالتمسّك بهما: كتاب الله وعترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهما الخليفتان على الأُمّة بعد صلى الله عليه وآله وسلم»[٣].

فما توهّمه بعض الناقصين أنّ عليّاً أميرالمؤمنين عليه السلام ليس من العترة، كما توهّمه

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٥٧؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٤٧.

٢. كمال الدين، ج ١، ص ٢٤٠؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٤٧.

٣. معاني الأخبار، ص ٩٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٢١٦.

أيضاً كثير من المخالفين فتلك الأخبار لا تدلّ على كون القرآن أفضل منه عليه السلام ليس بشيء، ومع قطع النظر عن ذلك، فقوله معاشر الناس: «إنّ عليّاً والطيّبين من ولده هم الثقل الأصغر والقرآن هو الثقل الأكبر» يدفعه هذا.

وقوله: «وإنّ أحدهما أقدم من الآخر» أي: أسبق رتبة وشرفاً ونبلاً، أو يكون معنى الأقدم نفسه أحد هذه المعاني، كما يظهر من «القاموس» و«نهاية» ابن الأثير.

والحاصل: إنّ الأقدميّة هنا ليست بالمكان والزمان ولا بالعلّيّة والطبع ولا بالذات على ما ذهب إليه المحقّقون من المتكلّمين، فتعيّن أن تكون بالشرف والفضل.

هذا؛ والّذي يعلم من صدر المقالة الرابعة من «الهيّات الشفاء» أنّ القدر المشترك بين المقدّمات هو أن يكون للمتقدّم من حيث هو متقدّم شيء ليس للمتأخّر ولا يكون ذلك الشيء للمتأخّر إلّا وهو موجود للمتقدّم. فهذا المعنى مشترك بين جميع المقدّمات على سبيل التشكيك وهم ما لا يطلقون التقدّم على المعنى الأعمّ وأُخرى على المعنى الأخصّ أي: خصوص كلّ قسم من الأقسام المذكورة.

فإن قلت: هذا الحديث ونظائره مجملة، لأنّه كما يحتمل أن يكون المراد بأحدهما فيها هو القرآن فكذلك يحتمل أن يكون المراد به هو العترة، فلا تكون ناصّة بالباب فكيف يستدلّ بها على المطلوب؟

قلنا: هذه الأخبار ناصّة في دلالتها على أقدميّة أحدهما أو أكبريّته أو أفضليّته أو أوّليّته أو أعظميّته من الآخر، وظاهرة في أنّ ذلك المتقدّم ونظائره إنّما هو القرآن، كما ستأتي إليه الإشارة، بل سيجيء له البيان. وعلى تقدير كونها مجملة بالنسبة إلى

تعيين المتقدّم ونظائره لا منافاة بينهما، فإنّه قد يتّفق اجتماع النصّ والمجمل باعتبارين، كما قالوا في كريمة: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[1] أنّها ناصّة في دلالتها على الاعتداد ومجملة بالنسبة إلى قدر العدّة وتعيين المعتدّة.

ولكن سائر الأخبار المفصّلة المذكورة في الفصل الأوّل تدلّ على أنّ المراد به هو القرآن والمجمل يحكم عليه المفصّل، كما دلّت عليه الأخبار وصرّحت به الأخيار، وبذلك يثبت المطلوب بكلا جزئيه.

---

١. البقرة: ٢٢٨.

أوهام وتنبيهات

وبما أصّلناه تبيّن فساد ما قاله الشيخ البهائيّ ﷺ بعد أن سُئل بما حاصله: أنّ قوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[1] الحديث بظاهره يدلّ على أفضليّة القرآن، وهو حديث متواتر المعنى فما تقولون فيه؟ رأيت في كلام بعض قدمائنا أنّه ﷺ وآله لم يصرّح في هذا الحديث بأنّ أيّهما أكبر، بل أبهم الأمر وأخفاه، ولعلّ ذلك إخفاة مصلحة كإخفاء ليلة القدر والصلاة الوسطى وما يتراآى من وجوب حمل الحديث على اللفّ والنشر المرتّب وهو يقتضي أفضليّة الكتاب على العترة، فهو محلّ بحث، إذ اللفّ والنشر المعكوس شايع واقع في كلام البلغاء متداول في النظم والنثر، وذلك لأنّ هذه الأخبار مع كثرتها وشهرتها ليس في أكثرها إبهام، بل فيه تصريح بأنّ المراد بالأكبر هو القرآن، كما في رواية عليّ القمّيّ والسيّد الرضيّ والفاضل العيّاشيّ والمولى الطبرسيّ وغيرهم من الخاصّة والعامّة.

والعجب منه أنّه كيف قلّد بعض من سبقه وحمل الحديث على ما حمله عليه مع كونه مرجوحاً من غير داع يدعو إليه وأغمض العين عن هذه الأخبار الصحيحة الصريحة بالمطلوب، وليس الغرض من هذا الكلام القدح في ذلك الشيخ العلّام.

---

١. رجال الكشي، ص ٢١٩؛ بحارالأنوار، ج ١٠، ص ١٥٩.

كلّا وحاشا، ثمّ كلّا وحاشا، فإنّه من الفضلاء الأجلّاء المعتمد عليهم والموثوق بهم، بل الغرض منه أن لا يعتمد على قوله هذا، لكونه مخالفاً لكثير من الروايات.

وكيف يمكن القول باللف والنشر المعكوس في قوله ﷺ، فأمّا الأكبر فكتاب ربّي، وأمّا الأصغر فعترتي أهل بيتي وقوله: «معاشر الناس إنّ عليّاً والطيّبين من ولده هم الثقل الأصغر والقرآن هو الثقل الأكبر».

وقوله: «كتاب الله الثقل الأكبر والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي».

هذه وأمثالها في أخبار كثيرة قد مرّت ولعلّه نظره في هذا الوقت كان مقصوراً على الحديث المذكور في السؤال، فقلّد فيه من قلّد وقال فيه ما قال، ونعم ما قال من قال: حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء.

ولكنّه يبعده تسليمه تواتر هذا الحديث الدالّ على ثبوت تواتره عنده أيضاً، وذلك لأنّ السؤال كان مشتملاً على أمرين:

الأوّل: أنّ ظاهر هذا الحديث يدلّ على أفضليّة القرآن من العترة.

والثاني: أنّه حديث متواتر المعنى.

والشيخ سلّم تواتره ومنع الدلالة بما أوّله إليه من غير إمعان النظر زعماً منه أنّه بذلك يدفع الإشكال، وقد تعرّفت حقيقة الحال على أنّ الظاهر المتبادر من الحديث المذكور في السؤال ومن نظائره الكثيرة هو اللفّ والنشر المرتّب، كما لا يخفى على من نظر فيها وأجاد ثمّ أنصف من نفسه وقال بما استفاد.

فالحمل على اللفّ والنشر المعكوس الخلاف الظاهر من هذه الأخبار بل المخالف للأصل، ولذا سمّي بالمشوّش، لكونه سبباً لتشويش الذهن وانتشاره، وهذا يدلّ على كونه مرجوحاً وكون المرتّب راجحاً محتاج إلى الدليل الموجب للحمل عليه والصرف عن الظاهر المتبادر وليس فليس، مع قطع النظر عمّا نقلناه

من الأخبار المفصّلة المصرّحة فيها بأنّ المراد بالأكبر هو القرآن، يظهر من الخبر المذكور ونظائره أفضليّة الكتاب من العترة، كما ادّعاه الفاضل السائل وهو لم يدّع كونها ناصّة في الأفضليّة حتّى يجب حملها على اللفّ والنشر المرتّب فمنع وجوب حملها عليه، كما فعله المجيب ـ لا يجديه نفعاً. كيف ومدار الاستدلال من السلف إلى الخلف على الظاهر المنساق إلى الأذهان، وقد بيّن ذلك في أُصولهم، فجوابه هذا ـ مع قطع النظر عمّا أوردناه عليه ـ لا يقابل السؤال، فإنّ الممنوع غير المدّعى، والمدّعى غير ممنوع، لكونه مكابرة، ولذا أعرض عن منعه وتركه.

ثمّ لو ترقّينا إلى القول بالوجوب لم يكن في ذلك بعد، فإنّ من الواجب أن يحمل الكلام على ظاهره إلى أن يصرفه عنه صارف من العقل أو النقل، ولذا تراهم يمنعون أن يخاطب الحكيم بشيء يريد به خلاف ظاهره من دون البيان، وإلّا لزم الإغراء بالجهل، لأنّ المخاطب يعتقد أنّه يريد به ظاهره فإذا لم يردّه مع اعتقاده إرادته له كان ذلك إغراء له على ذلك الاعتقاد الجهل.

وأمّا حديث اللفّ والنشر المعكوس الشائع في كلامهم نظماً ونثراً فقد عرفت أنّه لكونه خلاف الأصل والظاهر إنّما يصحّ إذا كانت هناك قرينة صارفة عن الحمل على اللفّ والنشر المرتّب الموافق للأصل والظاهر، كعدم صحّة المعنى ـ مثلاً ـ والكلام فيما نحن فيه ليس كذلك، وإذا ثبت وجوب الحمل على اللفّ والنشر المرتّب وهو ـ كما اعترف به المجيب ـ يقتضي أفضليّة الكتاب على العترة؛ ثبت ما ادّعاه السائل وسقط ما توهّمه المجيب من الإبهام والإخفاء، وجواز الحمل على اللفّ والنشر المعكوس المورث لهما وبذلك تثبت المقدّمة الممنوعة وإن لم تكن مدّعاة للسائل.

ثمّ لو كان إخفاة مصلحة ـ كما زعمه ـ فكيف يجوز التصريح بتفضيل العترة على

الكتاب، كما فعله فيما سبق منه، حيث قال: بل لو ترقّينا بتفضيلهم عليه لم تكن في ذلك شنعة.

وأيّة شنعة أشنع من قلب المصلحة مفسدة إلّا أن يقال: أصل العبارة كان بتفضيله، بإفراد الضمير العائد إلى النبيّ ﷺ فوقع الغلط من قلم الناسخ.

وعليه فخلاصة أجوبته أنّه يرجح أفضليّة النبيّ ﷺ ويتوقّف في الآل، كما هو مذهب بعض مشايخ العجم، فتأمّل في أجوبته بعد المراجعة.

هذا؛ وبما قرّرناه يظهر أيضاً فساد ما قاله بعض معاصرينا حين بلغته مسألتنا هذه وما جرى بيننا وبين إخواننا من المناظرة: إبهموا ما أبهم الله ولعلّ نظره أيضاً في هذا الوقت كان على ما قاله بعض القدماء، فقلّده كما قلّده الشيخ، ونعم ما قال بعض المحقّقين إنّه لم يبق للإماميّة مُفْتٍ على التحقيق، بل كلّهم حاكٍ.

ثمّ بما نقلناه هنا وذكرناه في صدر الفصل الأوّل من أسانيد هذا الخبر وفي مواضع الكتاب عن بعض علمائنا ظهر أنّ هذا الحديث المشتمل على هذا القيد ـ وهو أكبريّة أحدهما من الآخر ـ متواتر معنى، وبه يندفع ما توهّمه بعض معاصرينا من عدم تواتره، مع أنّه ليست له قدم راسخة في هذا الشأن وإنّما صدر عنه هذا القول عناداً وحسداً من غير تصفّح له وتتبّع في الأخبار، وإنّما كان منشأ ذلك أنّه بعد ما وصلت إليه رسالتنا هذه وكانت عند بعض أصحابنا جدّ وجهد في ردّها مدّة متطاولة فلم يخطر بباله شيء غير أنّ هذا القيد ليس متواتراً.

وهب إنّه كذلك ولكنّه قد ذكره الخاصّة والعامّة بألفاظ وعبارات شتّى تشترك في أكبريّة الكتاب من العترة، فوجب المصير إليه لإفادته الظنّ المتآخم للعلم.

وبالجملة، لا خلاف في كون أحدهما أكبر أو أفضل أو أعظم من الآخر، فإنّ الأخبار الدالّة على هذا المعنى من طرق المؤالف والمخالف متواترة معنى، وإنّما

الخلاف في تعيين أحدهما، فإذا دلّت الأخبار المفصّلة على تعيينه وأنّه القرآن ارتفع النزاع والخلاف من الإخوان وسقطت هذه التكلّفات الرسميّة الناشية من فضلاء الأعصار والأزمان.

نقل كلام لتوضيح المرام

قال صاحب «الوافي» في «الوافي» بعد نقل حديث الثقلين: ولعلّ السرّ في أصغريّتهم بالنسبة إلى القرآن استفادة علمهم من القرآن وتغذيتهم الروحانيّة به.

أقول: هذا وجه وجيه ظاهر يدلّ عليه ما مرّ من قوله عليه السلام: «وورثتنا علمه مفسّراً وفضّلتنا على من جهل علمه وقويّتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله»[1]، الدعاء.

وظاهر أنّه عليه السلام عنى بضمير المتكلّم الأئمّة المعصومين عليهم السلام، لأنّهم هم الذين أُورثوا علم الكتاب مفسّراً دون غيرهم، فيظهر منه اختصاصهم به لا غير.

أقول: ويمكن أن يقال: الوجه في أكبريّة القرآن أنّ الأُمّة بعد نبيّهم إذا تشاجروا فيما بينهم في أمر فلابدّ لهم من حاكم مسلّم حكمه فيما بينهم ليحاكموا إليه ويعرضوا فيما شجر بينهم من الخلاف عليه ليرفع نزاعهم ويحكم بينهم بالقسط، وما ذلك عند كلّ أُمّة الإجابة إلّا القرآن، ولذا قال أميرالمؤمنين عليه السلام في كتاب له إلى معاوية بن أبي سفيان: «وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله، ولسنا إيّاك أجبنا ولكنّا أجبنا القرآن إلى حكمه»[2].

---

١. الصحيفة السجاديّة، ص ١٧٤؛ مصباح المتهجّد، ص ٥١٩؛ مصباح الكفعمي، ص ٤٦١.

٢. نهج البلاغة، ص ٤٢٣؛ بحارالأنوار، ج ٣٣، ص ٣٠٨.

ولا شكّ أنّ الحاكم من حيث هو حاكم أكبر وأشرف من المحكوم عليه من حيث هو محكوم.

وفي كلام آخر له عليه السلام للخوارج: «فإنّما حكم الحَكَمان ليحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن، وإحياؤه الاجتماع عليه وإماتته الافتراق عنه، فإن جرّنا القرآن إليهم اتّبعناهم وإن جرّهم إلينا اتّبعونا فلم آتِ. لا أبا لكم فَجَراً ولا خَتَلْتُكم عن أمركم، ولا لبسته عليكم وإنّما اجتمع رأي ملأكم على اختيار رجلين أخذنا عليهما أن لا يتعدّيا القرآن فتاها عنه وتركا الحقّ وهما يبصرانه وكان الجور هواهما فمضيا عليه»[1].

ولعلّه عليه السلام لذلك لمّا جمعه أخرجه إلى الناس ليحتجّ به عليهم فلم يجيبوه إلى ذلك، فانصرف وهو يقول: «فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون»[2].

وبوجه آخر: إنّهم عليهم السلام كانوا محجوجين بالقرآن لقول عليّ عليه السلام:

«القرآن آمر زاجر وصامت ناطق، حجّة الله على خلقه، أُخذ عليهم ميثاقه، وارتهن عليهم أنفسهم، أتمّ به نوره، وأكرم به دينه قبض نبيّه وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به، فعظّموه منه سبحانه ما عظّم من نفسه، فإنّه لم يُخفِ عنكم شيئاً من دينه ولم يترك شيئاً رضيه أو كرهه إلّا وجعل له عَلَما بادياً وآية محكمة تزجر عنه أو تدعو إليه فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد، ... الخطبة[3].

ولقول القرآن ـ وقد مرّ في حديث سعد ـ: «ومنهم من ضيّعني واستخفّ بحقّي

---

١. نهج البلاغة، ص ١٨٤؛ بحارالأنوار، ج ٣٣، ص ٣٧٣.

٢. آل عمران: ١٨٧.

٣. نهج البلاغه، ص ١٤٨.

وكذّب بي وأنا حجّتك على جميع خلقك »[١]، الحديث.

فلمّا كانوا محجوجين به فلابدّ أن يكونوا منقادين لأمره ونهيه، والقول بأنّ ذلك انقياد لأمر الله ونهيه منقوض بأمرهم ونهيهم عليهم السلام، فإنّ ذلك أيضاً انقياد لأمر الله ونهيه، فكما أنّهم كانوا حجج الله وبيّناته على خلقه ووسائط بينه وبينهم بوساطة القرآن ولذلك قرنهم النبيّ صلى الله عليه وآله به وسأل الله أن لا يفرّق بينهما حتّى يوردهما عليه الحوض، فكذلك القرآن كان حجّة الله عليهم وعلى غيرهم وكان واسطة بينه تعالى وبينهم، فنسبته إليهم نسبتهم إلى غيرهم، فكما كانوا أفضل منهم فكذلك كان أفضل منهم، فكلّما يقال في هذا يمكن أن يقال في ذاك.

وأيضاً فبالقرآن تثبت النبوّة في كلّ زمان ومكان، لكونه باقياً محفوظاً على ما هو عليه إلى آخر الدهر، لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢] فتنقله الأُمّة فتحفظه عصراً بعد عصر إلى يوم القيامة فتتمّ به الحجّة على الجماعة من كلّ ما لزمته دعوة النبيّ بعد ثبوت النبوّة تثبت للأُمّة.

فأصل أساس الدين مبنيّ على القرآن المبين، ولذا كان أكبر الثقلين على أنّا لا حاجة بنا إلى بيان وجه الأصغريّة والأكبريّة، فإنّ كثيراً من الأخبار صريح في وجوب تسليم جميع ما هو منقول عنهم عليهم السلام إذا لم يكن مخالفاً لكتاب الله تعالى بعد أن عرض عليهم، لأنّ تحته أسرار أو دقائق لا يعقلها إلّا العالمون.

فإن ظهر لنا فيه وجه فحينئذٍ العقل والنقل متطابقان وإلّا فيجب قبوله من باب التسليم وهو أبلغ في الرقّ والعبوديّة فيه عزلاً للعقل عن تصرّفه وصرفاً له عن

---

١. نهج البلاغة، ص ٢٦٥؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ٢٠.

٢. الحجر: ٩.

محلّ أُنسه.

وبالجملة، أكثر علل الشرع والمصالح المعتبرة في نظر الشارع خفيّة عنّا، تعجز عن إدراكها عقولنا والواجب اتّباع النصّ من غير نظر إلى العلّة.

هذا؛ ثمّ قال صاحب «الوافي» في «الوافي» متّصلاً بما مرّ: وإن صاروا مثله بعد الكمال كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «أنا كلام الله الناطق»[1].

أقول: الوجه فيه أنّه حمله على التشبيه وأراد به أنّه عليه السلام مثله في الفرق بين الحقّ والباطل وفي الدعوة إلى الله والدلالة عليه إلى غير ذلك من الأحكام الحقّة والقضايا الصادقة، والمشبّه لا يلزم أن يكون مثل المشبّه به في جميع الوجوه، بل في أخصّ أوصافه.

فهذا الحديث بهذا الحمل أيضاً أدلّ دليل على ما قلناه، لوجوب كون المشبّه به أقوى من المشبّه، فهو عليه السلام في هذا الكلام بناء على هذا الحمل أيضاً صرّح بكون كلام الله الناطق أكبر الثقلين وأشرفهما وهو عين ما نطقت به الأخبار السالفة، مع أنّ الأظهر ـ كما مرّ ـ أنّه محمول على حذف المضاف. والدليل على هذا الحذف، أو التشبيه أنّ كلامه تعالى يطلق على معنيين:

أحدهما: التكلّم، والمراد به القدرة على إلقاء الكلام الدالّ على المعنى المراد إلى غير، لإعلامه وذلك بإيجاد حروف وأصوات في جسم لا يصحّ منه التكلّم عادة، وكلامه تعالى بهذا المعنى نفس ذاته القديم الواجب الوجود، فيكون قديماً بلا تعدّد القدماء.

وثانيهما: ما به التكلّم، وهو المنتظم من الحروف والأصوات، وكلامه تعالى

---

١. بحارالأنوار، ج ٣٠، ص ٥٤٦.

بهذا المعنى حادث، لكونه مؤلّفاً من أجزاء مترتّبة متعاقبة في الوجود، وظاهر أنّه عليه السلام ليس عين كلامه تعالى على أحد من المعنيين، فالحمل مجازيّ.

تنبيه:

لا يذهب عليك أنّ هذا الخبر على ما حمله عليه صاحب «الوافي» إنّما يدلّ على مماثلته عليه السلام بعد الكمال للقرآن دون غيره من العترة إلّا أن يثبت كونهم مثله في الدرجة والمرتبة ودون ثبوته خرط القتاد. كيف لا وهو عليه السلام ـ كما مرّ ـ أفضل من الحسنين عليهما السلام وهما من بواقي العترة على ما دلّت عليه الأخبار، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أنا سيّد الأنبياء وعليّ سيّد الأوصياء.

وعن الصادق عليه السلام: «[اعلم] أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام أفضل [عند الله] من كلّ الأئمّة وله مثل ثواب أعمالهم وعلى قدر أعمالهم فضّلوا»[1]، وله نظائر ذكرناها في «الذريعة».

فما ذكره من الدليل على مماثلتهم كلّهم بعد الكمال للقرآن أخصّ من الدعوى، كما لا يخفى هذا.

واعلم! أنّه رحمه الله بعد أن نقل في «الوافي» قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أُوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإنّي سألت الله تعالى أن لا يفرّق بينهما حتّى يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك»[2].

قال: أي: يودع علم الكتاب عندهم ولا يودع عند غيرهم. يعني: يجعل ألواح نفوسهم منتقشة بصور علم الكتاب، وأرواحهم خزانة لأسراره، كما أنّ ألواح

---

١. الكافي، ج ٤، ص ٥٨٠؛ كامل الزيارات، ص ٣٨؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ٩٢.

٢. الكافي، ج ١، ص ٢٨٦.

القرآن وروحه كذلك، ولا يعطى أحداً المعرفة بالكتاب كلّه من دون أن يعطيه درجتهم والمعرفة بفضلهم وعلمهم. فعلم الكتاب كلّه لا يوجد إلّا عندهم ولا يحصل إلّا بمعرفتهم ونيل درجتهم والمعرفة بهم، كما هم عليه لا يحصل إلّا من المعرفة بالكتاب كلّه.

فمن ادّعى المعرفة التامّة بأحدهما دون أن تكون له المعرفة بالآخر فقد كذب، لأنّه سبحانه أجاب دعوة الرسول في عدم الفرق بينهما، كما قال: «فأعطاني ذلك»، فهم المصدّقون بالكتاب والهادون إليه، والكتاب هو الهادي إليهم حتّى يوردهما الله على نبيّه الحوض.

أقول: ويصدّقه ما في «معاني الأخبار» عن سيّد العابدين عليه السلام أنّه قال: «الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فتعرف بها، فلذلك لا يكون إلّا منصوصاً.

فقيل: يابن رسول الله! فما معنى المعصوم؟

قال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[1]»[2].

ولا يذهب عليك أنّ هذا الخبر أيضاً صريح في ما قلناه سالفاً، لأنّ المراد باعتصامه به استفادته العلوم منه بالمداومة على النظر والتفكّر فيه والاعتبار بما يدلّ عليه ثمّ العمل بمقتضاه وما يأمر به وينهى عنه من ملازمة الطاعات والمداومة

---

١. الإسراء: ٩.

٢. معاني الأخبار، ص ١٣٢؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ١٩٤.

على العبادات والتخلّق بأخلاقه الحسنة والاتّصاف بصفاته المرضيّة والاجتناب عن الملكات الرديّة والتباعد عن المعاصي والانتهاء عن المناهي وهو المعنى بالعصمة[١].

فظهر أنّهم محتاجون إلى القرآن بالذات في استفادة علومهم منه، والقرآن محتاج إليهم بالعرض في كونهم مفسّرين له وعالمين بما فيه. وهذا معنى التلازم وعدم التفارق بينهما إلى يوم القيامة.

هذا؛ ثمّ اعلم! أنّ لكلّ شيء صورةً ومعنى وجسداً وروحاً، خلقاً كان أو عبادة أو غيرهما؛ فجسد القرآن ما به يتمثّل في النشأة الأُخرى تارةً على صورة النبيّين والمرسلين، وأُخرى على صورة الشاب والملائكة المقرّبين، وروحه ما به يبقى ذلك الجسد وبه يتحرّك ويتكلّم عند ربّه جلّ وعزّ فيشفع لقاريه وحافظيه فيقول: «يا ربّ! فلان بن فلان أظمأت هواجره وأسهرت ليله»[٢].

فيقول تبارك وتعالى: «أدخلهم الجنّة على منازلهم»، وقد مرّت الإشارة إلى ذلك فتذكّر هذا.

ثمّ قال ﷺ متّصلاً بما نقلناه عنه آنفاً: والحوض كناية عن علم النبيّ صلى الله عليه وآله المحيط بهما وبعلمهما، فعند ورودهما الحوض يصير علومهم كلّها مع علم النبيّ صلى الله عليه وآله علماً

---

١. العصمة على المشهور: كيفيّة نفسانيّة تبعث على ملازمة التقوى والامتناع على ارتكاب المعاصي مع القدرة عليه وإمكان صدور خلافهما عنه، لعدم جواز أن يكون المعصوم مقهوراً على فعل الطاعة، أو ترك المعصية وإلّا انتفى استحقاق الثواب والعقاب، فقول من زعم: إنّها القدرة على الطاعة، أو عدم القدرة على المعصية وأنّ المعصوم في بدنه أو نفسه مختصّ بخاصيّة تقتضي امتناع إقدامه على المعاصي باطل. (منه ﷺ)

٢. الكافي، ج ٢، ص ٦٠١.

واحداً، بل يصير العلم هناك عيناً والمعرفة مشاهدة، فلا يبقى للفرق مجال لاقتضائه كثرة وتعدّداً.

أقول: هذا ممّا ينكره العقل ولا يعضده النقل، ولكن عَمِلْنا بـ«خُذ ما صفي ودع ما كدر»[١]؛ أمّا الأوّل، فلأنّ القول بأنّ شيئاً ما يصير شيئاً آخر لا على سبيل الاستحالة من حال إلى حال آخر ولا على سبيل التركيب مع شيء آخر ليحدث منهما ثالث، بل على أنّه كان شيئاً فصار شيئاً آخر قول شعريّ غير معقول، بل مخيّل وبسبب تخيّله يظنّه عوام المتألّهة والمتصوّفة حقّاً، كما صرّح به رئيس الحكماء وأفضل المتكلّمين نصير الملّة والدين الطوسيّ قدّس الله روحه القدسيّ في مبحث العلم من الإشارات.

وأمّا الثاني فلورود أخبار كثيرة في طرق العامّة والخاصّة دالّة على أنّ المراد بالحوض هو نهر في الجنّة أعطاه الله نبيّه أشدّ بياضاً من اللبن وأشدّ استقامة من القدح حافتاه قباب الدرّ والياقوت، ترده طير خضر لها أعناق كأعناق البخت.

وفي «صحيح» مسلم: «أتدرون ما الكوثر؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: فإنّه نهر وعدنيه ربّي وعليه خير كثير، هو حوضي ترد عليه أُمّتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج القرون منهم فأقول: يا ربّ! أُمّتي.

فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[٢].

وقال الصدوق: «اعتقادنا في الحوض أنّه حقّ وأنّ عرضه ما بين أيلة وصنعاء

---

١. بحارالأنوار، ج ٥٨، ص ١٠٤.

٢. بحارالأنوار، ج ٨، ص ١٦.

وهو للنبيّ ﷺ وإنّ فيه الأباريق عدد نجوم السماء، وأنّ الوالي عليه يوم القيامة عليّ بن أبي طالب ﷺ يسقي منه أولياءه ويذود عنه أعداءه، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً»[1].

والأخبار في هذا المعنى في كتاب «الخصال» و«معاني الأخبار» و«روضة الكافي» وتفسير عليّ بن إبراهيم وكتاب «الاحتجاج» و«أمالي الصدوق» و«أمالي» شيخ الطائفة و«مناقب» محمّد بن شهرآشوب وغيرها أكثر من أن تحصى، ومع هذا فهؤلاء المفتعلة من الصوف بمثل هذا التأويل القبيح المستكره يضلّون ويضلّون.

ومن العجب أنّ هذا الرجل تارة يميل إلى التصوّف وأُخرى إلى التفلسف فهو مذبذب بين ذينك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فإنّ المتصوّفة القائلة بالاتّحاد لا ينكرون المعاد الجسمانيّ، لأنّهم معدودون في عداد فرق أهل الإسلام وإن لم يكونوا منهم وكلامه حيث أوّل الحوض إلى علم النبيّ مبنيّ عليه، ولعلّه مال في المقامين إلى ما يظنّه عوام المتألّهة المتفلسفة حقّاً من الاتّحاد والمعاد الروحانيّ فحسب.

وأعجب من ذلك أنّ رؤساء الفلاسفة القائلين بالمعاد الروحانيّ لا ينكرون المعاد الجسمانيّ، كما صرّح به الشيخان أبو نصر وأبو علي في تصانيفهما الحكميّة وإن لزمهم إنكاره على قولهم بتناهي الأبعاد الجسمانيّة ولا تناهي أفراد النفوس الإنسانيّة.

فليت شعري ما بال هذا الرجل يأوّل أمثال هذه الأخبار الشريفة بمثل هذه التأويلات الركيكة؟! فطوبى للّذين هم كما قال رسول الله ﷺ «يحمل هذا العلم

---

١. بحارالأنوار، ج ٨، ص ٢٧.

من كلّ خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين »[١].

هذا؛ ويمكن حمل قوله هذا على القول بتجسّم العرض، لأنّ الجنّة الصوريّة وهي الأبواب والجدران وما فيها من الأنهار والأشجار والحور والقصور وغيرها ـ بناء على هذا القول ـ صورة لأخلاق الحميدة والأقوال الحسنة والعلوم والآراء المطابقة للواقع، كما أنّ النار الصوريّة وما فيها من الحيّات والعقارب وغيرهما صورة لأضدادها من الأخلاق الذميمة والملكات الرديّة والأفعال القبيحة والعلم بالأشياء على خلاف ما هي عليه.

وقد سبق أنّ أصحاب هذا القول يقولون: إنّ صورة العلم في اليقظة أمر عرضيّ، ثمّ إنّه يظهر في النوم بصورة اللبن، فقد تجسّم في مقام ما كان عرضاً في آخره عليه فلا بعد في صيرورة علم النبيّ هناك عيناً يسمّى الحوض والكوثر، والقول بالاتّحاد لا ينافيه، لأنّ المتصوّفة القائلة به يقولون بهذا القول.

ولكن الحقّ عندي هو الإعراض عن أمثال هذه التأويلات، فإنّها جارية في أكثر المذاهب الباطلة، والتعرّض لها إنّما ينشأ من التعصّب المبرئ عنه أهل الحقّ.

---

١. اثنا عشر رسالة للمحقق الداماد: ج ٨، ص ٦١.

تذنيب

وممّا يقضي منه العجب أنّ بعضهم لمّا بلغه مسألتنا هذه وما جرى بيننا وبين إخواننا من المناظرة والمباحثة وتبيّن له أنّ الحقّ معنا والغلبة مع أنصارنا، وذلك بسبق كلمة الله العليا بأنّ عباده لهم المنصورون وإنّ جنده لهم الغالبون، ورأى أن لا ملجأ إلّا إلى الإقرار بحقّيّتها ـ كما هو الحقّ في نفسه ـ قال: إنّها قليلة الجدوى، بل هي ممّا لا جدوى له أصلاً.

ولعمر الحبيب! إنّ هذا القول من هذا الفاضل اللبيب من أعجب الأعاجيب وأغرب الأغاريب، لأنّ العلماء من السلف إلى الخلف قد تعرّضوا لبيان تفاوت مراتب الأنبياء وبيّنوا اختلاف درجات الأوصياء، ومسألة أفضليّة بني آدم من الملائكة، أو بالعكس من معارك الآراء ولم يقل أحد: إنّ ما تعرّضوا له قليل الجدوى، أو هو ممّا لا جدوى له أصلاً.

فليت شعري ما الفارق بين ما تعرّضوا له وبين ما تعرّضنا لبيانه مع كونه مسبوقاً بما تعرّفت في صدر الرسالة من السبب المقدّم لنا على ذلك، ولعلّ نظره إلى أنّها لقلّة جدواها لم يتعرّض لها بخصوصها أحد من السلف، أو الخلف.

لكنّه مجاب بما هو المشهور بين الجمهور: كم ترك الأوّل للآخر، على أنّ القول بعدم تعرّضهم لها في حيّز المنع، فإنّ الّذي يشهد به التأمّل والتتبّع أنّ أكثر السلف رضوان الله عليهم قد ذكروا هذه الأخبار في كتبهم مقتصرين عليه غير مصرّحين

بترجيح أحدهما على الآخر، كما كان دأبهم من الاقتصار على مجرّد نقل الأخبار والعمل بمضمونها، لأنّ أغلبهم كانوا أخباريّين عاملين بما في الأخبار، فحيثما وجدوا هذه الأخبار في أُصولهم ناطقة بأكبريّة الكتاب وأصغريّة العترة اقتصروا عليها ضابطين لها في أُصولهم وذاكرين إيّاها في فروعهم من غير نكير ولا تأوّل. وهذا أدلّ دليل على تلقّيهم إيّاها بالقبول، كما لا يخفى على متتبّعي آثارهم من ذوي الأحلام والعقول.

وبعضهم توقّف في الترجيح، كبعض مشايخ العجم من المتقدّمين والشيخ البهائيّ من المتأخّرين على احتمال قد عرفته، ولعلّه كان الوجه فيه أنّهم لم يعثروا على هذه الأخبار المفصّلة المصرّحة فيها بأكبريّة الكتاب من العترة، أو غفلوا عنها حين الفتوى، كما يصرّح به فتاويهم، وحملهم قوله عليه السلام: «أحدهما أكبر من الآخر» المذكور في بعض الأخبار المجملة على اللفّ والنشر المعكوس وقولهم بأنّه صلى الله عليه وآله لم يصرّح بأنّ أيّهما أكبر بل أيّهم الآمر، وأخفاه كما فعله بعض القدماء منهم والبهائيّ على ما مرّ، فإنّ ذلك ينادي بأعلى صوته على عدم وقوفهما بهذه الأخبار المفصّلة، أو غفلتهما عنها وقت الفتوى، وإلّا فلا معنى للإبهام ولا للّف والنشر المعكوس، بل ليس للتوقّف أيضاً مجال والحال هذه على ما نبّهت عليه سابقاً.

وبعضهم صرّحوا بتفضيل الكتاب كالشيخ عليّ وعليّ بن إبراهيم الثقة.

وبعض المتأخّرين منهم من حمل هذه الأخبار على أنّ العترة كانوا أصغر من الكتاب، لاستفادة علمهم منه، ولكن صاروا مثله بعد الكمال وذلك لدليل لاح، وقد عرفت عدم دلالته عليه، وعلى تقدير الدلالة فهو أخصّ ممّا ادّعاه.

وبعد اللتيّا واللتي فكون سنده صحيحاً غير معلوم، ولذا لا يكاد يوجد أحد من السلف إلى الخلف وقف على هذه الأخبار المفصّلة ثمّ تعرّض لتأويلها غير هذا

الرجل وهو على ما دلّ عليه ظاهر كلامه ذاهب إلى تساويهما بعد كمالهم عليهم السلام وهذا لكونه حملاً بارداً ركيكاً مخالفاً لمنطوق تلك الأخبار من غير ضرورة، فلا يعجبني، بل ظنّي أنّها صريحة في تفضيل الكتاب، ناصّة بالباب، ناطقة بالصواب، غير قابلة للتأويل ولا معارض لها؛ لا عقلاً ولا نقلاً يعتدّ به، فطرح جميعها يوجب رفع الثقة عن الأخبار.

والعجب كلّ العجب من هؤلاء القوم إنّهم كيف يقدمون على إنكارها ويشنّعون على من قال بموجبها ويبالغون في ذلك أشدّ المبالغة من غير أن يكونوا في ذلك على بيّنة من ربّهم، أو يتمسّكوا فيه بحجّة من رسولهم ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلظَّالِمِينَ * وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَن لاَ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾[1].

فيا عجبا! كيف جرأتهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وإقدامهم على الحقّ وأهله؟! فإنّ هذا الاعتراض وأمثاله ليس في الحقيقة اعتراضاً علينا، بل هو اعتراض على رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه لم بلّغ هذا في غدير خمّ وفي سائر المواقف ولاسيّما في آخر خطبة خطبها، مع كونه قليل الجدوى، أو منافياً لما يشتهيه هؤلاء الفضلاء؟

فإنّا ما ذكرنا في هذه المسألة إلّا ما اقتبسنا من مشكاة أنواره وأنوار الأصفياء من عترته ومن إفاضة أشعّة أضوائهم فالرادّ علينا هو الرادّ عليهم، والرادّ عليهم هو الرادّ على الله لأمره بتبليغه في يوم الغدير بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيكَ ﴾[2] الآية إلى قوله صلى الله عليه وآله في غدير خمّ بعد أن قال: «معاشر الناس! إنّ عليّاً

---

١. يونس: ٣٩ و ٤٠.

٢. المائدة: ٦٧.

والطيّبين من ولده هم الثقل الأصغر والقرآن هو الثقل الأكبر»، «ألا وقد أدّيت؟ ألا وقد أسمعت؟ ألا وقد أوضحت؟ ألا وإنّ الله عزّ وجلّ» قال وأنا قلت عن الله عزّ وجلّ»[١].

فهذا من جملة ما بلّغه في ذلك اليوم في هذا المشهد العام، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً؟

ثمّ إنّهم كيف يصدّقون بجميع ما جاء به النبيّ ﷺ ولا يصدّقون بهذا وهذا منه؟ ومع قطع النظر عن ذلك كيف يصدّقون بحديث الغدير ولا يصدّقون به وهو من تتمّته؟

أفيؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض؟

ثمّ ليت شعري ما السبب المقدم لهم على عدم قبول جميع هذه الأدلّه المتينة والبراهين القويّة الجليّة المحكمة المستفيضة، بل المتواترة المقطوع بها الّتي لا يشوبها شكّ ولا تعتريه شبهة؟

ثمّ ما لهم قد كثروا على المقالة في أمر هذه المسألة حتّى أشار إلى بعض أصحابنا بتركها للتقيّة فكدت أركن إليه شيئاً قليلاً، ثمّ راجعت إلى نفسي فقلت: إنّي لا أُبالي بأمثال هذه الأقاويل بعد ظهور الحقّ على أهله وزهوق الأباطيل.

إذا رضيت عنّي كرام عشيرتي فلا زال غضباناً على لئامها.

ولعلّ الباعث لهم على ذلك محبّة عليّ وذرّيّته الطيّبين عليهم السلام، وقد غلطوا في ذلك، لأنّ محبّتهم عليهم السلام عبارة عن طاعتهم وتصديقهم في جميع ما يجزون به عن الله، أو عن رسول الله ﷺ وكونه لا يعتريه فيه شكّ لا ولا توهّم غلط، لا مجرّد الميل القلبي

---

١. الاحتجاج، ج ١، ص ٦٠؛ بحارالأنوار، ج ٣٧، ص ٢٠٨.

المعروف بين الناس وإلّا لكان الغلاة والزيديّة وغيرهم أحقّ بها منهم، وهم عليهم السلام قد أخبروا في أخبار كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «القرآن أكبر الثقلين وأفضلهما» فالمحبّة الحقيقيّة الصادقة مقتضية لقبول ذلك، كيف لا وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1] فجعل أتباع عليّ وذريّته عليهم السلام من كمال الدين، فبدونه كان الدين ناقصاً.

فلمّا بالغ في ذلك قلت له: ألهم على ذلك برهان واضح أو نصّ قاطع؟

قال: لا، ولكن يغلب بعضهم التقليد، لقلّة المعرفة والألف بما نشأوا عليه من غير بصيرة، والبعض الآخر يشملهم مرض من عناد أو حسد أو نفاق ونحوها.

قال: وكفاك على ذلك دليلاً أنّ علمائهم وفقهائهم ومن يستندون إليه مذهبهم ومنهم المحمّدون الثلاثة: محمّد بن يعقوب الكلينيّ ومحمّد بن بابويه الصدوق القمّيّ والشيخ محمّد بن الحسن الطوسيّ رحمهم الله منعوهم أن يقولوا في الأذان: «أشهد أنّ عليّاً وليّ الله» وذلك لأنّهم نقلوا الأذان كما أذّن به جبرئيل ليلة المعراج، ثمّ صرّحوا بأنّ هذا هو الأذان الصحيح الّذي لا يزاد فيه ولا ينقص.

قالوا: والمفوّضة عليهم لعائن الله قد وضعوا أخباراً وزادوا في الأذان بعد «أشهد أنّ محمّداً رسول الله» «أشهد أنّ عليّاً وليّ الله» مرّتين.

قالوا: ولا شكّ أنّ عليّاً وليّ الله، ولكن ليس ذلك في أصل الأذان وهم مع ذلك كلّه لفرط جهلهم بأنّ التديّن والامتثال عبارة عن الأخذ بما أتى به صاحب الشريعة والانتهاء عمّا نهى عنه قد أصرّوا على ذلك وداوموا عليه وذمّوا وطعنوا على من تركه فيه وتسنّنوه وتبغّضوه واتّهموه بعدم طيب الولادة وتمسّكوا في ذلك

---

١. المائدة: ٣.

بقول بعض شعرائهم:

فتد چو مهرهٔ تسبيح بر گلوش گره مؤذّنی كه نگويد: علی ولیّ الله

إذ ليس لهم على ذلك دليل غير هذا، ولذا لمّا خاصمهم خصومهم وطالبهم على ذلك دليلاً ومستنداً عجزوا عنه وانقطوا لعدمه، فهذه كهذه، فالأولى ـ بل الواجب ـ تركها، لما قلناه من التقيّة.

قلت: أليس الله جلّ ذكره يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾[1]؟

قال: بلى.

قلت: فإنّي توكّلت على الله وهو حسبي ونعم الوكيل وسيجمع الله بيننا وبينهم في صعيد واحد هناك يرفع الله حجاب كلّ مكتوم ويعرف الظالم من المظلوم وإلى الله المشتكى في كلّ حال وعليه التوكّل في المبدأ والمآل.

وصيّة:

اعلم أنّ الأصل فيما لا دليل على وجوبه ولا امتناعه هو الإمكان العقليّ الّذي مرجعه الاحتمال، ومن هنا تسمعهم يقولون: كلّ ما قرع سمعك من الغرائب فذره في بقعة الإمكان ما لم يردّك عنه قائم البرهان.

فالعاقل كلّ العاقل من لا يؤمن بشيء ولا يكفر به حتّى يكون له عليه دليل عقليّ، أو شاهد نقليّ فمن تعوّد أن يصدّق من غير دليل فقد انسلخ عن الفطرة الإنسانيّة.

---

١. الطلاق: ٣.

فعليك ثمّ عليك بمتابعة ما يؤدّيك الله قائم البرهان ومخالفة ما تدلّ عليه المشهورات، أو المسلّمات، أو المشبّهات بالترك والهجران.

وإيّاك ثمّ إيّاك والإذعان بشيء بمجرّد حسن ظنّك به، أو بمن تسمعه منه إلّا أن يكون من خليفة الرحمان وإلّا فتنفع في مضيق الخطابة وترتبط بربقة التقليد وذلك هو الخسران، ومن الله الاستعانة في جميع الأُمور صعابها وسهالها وعليه الاعتماد والتكلان.

تعيين الثقل الأكبر: ٣

كشف الحجاب

في تفضيل العترة على الكتاب

تأليف

الشيخ مكّي بن صالح البحرانيّ

من أعلام القرن الثاني عشر

تصحيح و تحقيق

مؤسّسة شمس الضحى الثقافيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد للّه الذي أنزل على عبده الكتاب، وشرّف آياته بمدايح الآل، المتأدّبين بأحسن الآداب، الذين كشف لهم الغطاء والحجاب، وأُنيط بمخالفتهم العذاب والعتاب.

والصلاة والسلام على أوّل من يُدعى وأوّل من أجاب، محمّد وآله المفوّض إليهم أمر العباد، في المبدأ والمآب، ما تطنّبت الأطناب، وتسبّبت الأسباب.

أمّا بعد؛ فيقول أقلّ الخليقة في الحقيقة، مؤمِّل الاستقامة على الطّريقة، الراجي الظفر بالأماني في المبادي والمثاني، مكّيّ بن صالح البحراني: حيث وجّهني القدر والقضاء، المقرونان بالرضاء، إلى البلاد المطبوعة على اليمن والأمان، تاسعة الجنان اصبهان ـ صانها الله عن الهوان ـ عند إيابنا من التشرّف بزيارة ساداتنا ومواليـنا بالغريّ وكربلاء وسامرّاء وبغداد، فإذاً نحن بفوج من إخوان الدين، وطائفة من أهل اليقين، على اقتناص المعارف القدسيّة عاكفين، ومن رحيق زلالها شاربين، بيد أنّهم رفعوا عنهم غطاء الايتلاف، ونصبوا ساق الاختلاف، في مسألة مشكلة، وقضيّة معضلة هي أنّه: أيّ الثقلين أشرف وأفضل؟ كتاب الله المبين، أم حبل الله المتين، وسيّد الوصيّين، أميرالمؤمنين عليه السلام؟

فمنهم من رجّح الكتاب، وعمل رسالة في ذلك الباب، ومنهم من عكس المقال،

ولم ينشّط قلمه عن عقال.

فسألني عن وجه الإلحاف جمع من السادات الأشراف، وبعض من المتألّهين المروّجين سوق الإنصاف! أن أميط لهم عنها الشكوك، وأزيح الغمام عن شمسها قبيل الدلوك.

فنظرت فإذاً الطريق سحيق، والبحر عميق ـ مع أنّي كنت أشغل من ذات النّحيين[١]، بعوائق السفر في البين، ومنتصباً لجمع دستور يجمع أدلّة أهل التثنية[٢]

---

١. قال الميداني في مجمع الأمثال: «أشغل من ذات النّحيين» هي امرأة من تيم الله بن ثعلبة كانت تبيع السمن في الجاهليّة فأتاها خوّات بن جبير الأنصاري يبتاع منها سمناً فلم ير عندها أحداً فطمع فيها وساومها فحلّت نحياً فنظر إليه ثمّ قال: أمسكيه حتّى أنظر إلى غيره، فقالت: حلّ نحياً آخر، ففعل ونظر إليه، فقال: أُريد غير هذا فأمسكيه، ففعلت، فلمّا شغل يديها ساورها، فلم تقدر على دفعه حتّى قضى ما أراد وهرب، فقال:

وذات عيال واثقين بعقلها ... خلجتُ لها جا رأسها خلجاتِ
شغلت يديها إذ أردت خلاطها ... بنحيين من سمن ذوي عجرات
فأخرجته ريّان ينطف رأسه ... من الرامك المذموم بالمَقِراتِ
فكان لها الويلات من ترك سمنها ... ورجّعتها صفراً بغير تبات
فشدّت على النّحيين كفّاً شحيحة ... على سمنها والفتك من فعلات

ثمّ أسلم خوّات وشهد بدراً، فقال له رسول الله ﷺ: يا خوّات، كيف شراؤك ـ ويروى شرائك ـ؟ وتبسّم صلوات الله عليه، فقال: يا رسول الله، قد رزق الله خيراً، وأعوذ بالله من الخِوَر بعد الكور. وفي رواية حمزة: فقال له النبيّ ﷺ: ما فعل بعيرك أشرد عليك؟ فقال: أمّا منذ أسلمت أو منذ قيّده الإسلام فلا. وتدّعي الأنصار أنّه عليه السلام دعا له أن يسكن غلمته، فسكنت بدعائه.

وهجا رجل بني تيم الله فقال:

أُناس ربّة النّحيين منهم ... فعدّوها إذا عدّ الصميم

وزعموا انّ أُمّ الورد العجلانيّة مرّت في سوق من أسواق العرب فإذا رجل يبيع السمن ففعلت به ما فعل خوّات بذات النّحيين من شغل يديها ثمّ كشفت ثيابه وأقبلت تضرب شقّ استه بيدها وتقول:

* يا ثار ذات النّحيين *

٢. يحتمل أن يكون المراد من أدلّة أهل التثنية المجوس القائلين بإلهين اثنين: يزدان وأهرمن، أي خالق

من ذوي الأُصول، وأدلّة أهل التثليث من أهل الحديث، غير أنّي لحرصي على امتثال أمرهم، وعلمي بصلاح ظاهرهم وسرّهم، تجرّدت عمّا كنت أُزاول، وتمثّلت بقول القائل (شعر)[1]:

دع عنك نهباً صيح في حجراته ولكن حديثاً ما حديث الرّواحل

هذا، وحين وقفت على تلك الرسالة، ووجدت أدلّتها مختلّة الدلالة، كان

← النور وخالق الظلمة، إذ مبنى اعتقادهم على أصلين وهما إلهين: إله الخير وإله الشرّ، والمراد من أدلّة أهل التثليث من أهل الحديث النصارى وهم المعتقدون بالأقانيم الثلاثة: الأب والابن وروح القدس، أو الأب والأُم والابن، والمراد من الحديث الجديد إذ الإنجيل عندهم معروف بالعهد الجديد كما أنّ التوراة عندهم معروف بالعهد العتيق لكن هذا الاحتمال بعيد جدّاً، ويحتمل أن يكون المراد من أدلّة التثنية من ذوي الأُصول المذهبين المعروفين بالأشعريّة والمعتزلة في أُصول عقائدهم، والمراد من أهل التثليث الفرقة المحقّة الإماميّة المتفرّقة بثلاثة فرق: الأخباريّة المحضة، والأُصوليّة المحضة، والجامعين في العمل بالأحاديث والأدلّة الأُصوليّة.

١. هو مطلع قصيدة لامرء القيس بن حجر الكندي، قالها حين أغار على إبله رجل من بني جديلة اسمه باعث، فأذهب راعيه دثار برواحل حتّى يرجع الإبل المغار، فأغار باعث أيضاً رواحله فرجع دثار إلى امرء القيس فلحق بهم جار يقال له خالد فردّها ثمّ انتقل هو في بني ثعل، فقال امرء القيس الأبيات يخاطب بها راعيه دثار بن فقعس وبعده:

كأنّ دثاراً حلّقت بلبونه عقاب تنوقى لا عقاب القواعل
تلعّب باعث بذمّة خالد وأودى عصام في الخطوب الأوائل
وأعجبني مشي الخرقّة خالد كمشي أتان خلّيت بالمناهل

قوله: «دع» أمر بمعنى أُترك، والخطاب فيه لدثار بن فقعس راعي امرء القيس، والنهب ـ بالنون والموحّدة كفلس ـ الغارة، وصيح ـ بالصاد والحاء المهملتين بينهما ياء مجهول ـ أي فزعوا بها القوم، والحجرات ـ بالحاء والراء المهملتين بينهما جيم كعرصات ـ جمع حجرة بمعنى الناحية، والجملة صفة لقوله نهباً.
قوله: «حديثاً» أي حدّثني حديثاً وهو بمعنى الخبر، والرواحل ـ بالراء والحاء المهملتين ـ الإبل تحمل عليها الراحلة، يقول: دع جانب ذكر النهب الذي انتهبه باعث وحدّثني حديثاً عن الرواح التي أنت ذهبت ونهبت بها أيضاً.

كالعلّة الثانية لهذا الجمع، فقبلت التماسهم بالعين والسمع. ولمّا أن وجّهنا لذلك العزم بالرّمّة، وصوارف الدهر ملمّة، يسّر الله لنا من الجمع أقلّه بحيث أنّ أحداً لن يملّه، ثمّ تعجّلنا السفر، وأخذ بعضهم نسخة منه إليه، ومن تعجّل فلا إثم عليه[١].

ثمّ لمّا اطمأنّت بنا الديار، وشّمنا عرار القرار، أعدنا عليه ثاني النظر، ورصّعناه بغوالي الدرر، وخلّصناه من شوائب الكدر، فإن اتّفق حضور النسختين فالاعتماد على هذه، ورفض تلك من البين. ولنسمّي هذا الجمع بـ«كشف الحجاب في تفضيل العترة على الكتاب».

وترتّبه على مقدّمة، وثلاثة مقاصد، وخواتيم، سائلين من الله الكريم، ذي الفضل العميم، أن يثبّتنا فيه على الصراط المستقيم، وأن ينفعنا به حين يحيي العظام وهي رميم، وأن يوردنا به حوض سيّد الأوّلين والآخرين، ويروّي أفئدتنا بشربة من كفّ سيّد أوصياء النبيّين والمرسلين، إنّه بعباده رؤوف رحيم، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب[٢].

أمّا المقدّمة ففي بيان ما به التفاضل، ومعاني القرآن، وتفصيل منازله، وتشخيص المبحوث عنه في هذه الرسالة.

والمقصد الأوّل فيما يسّره الله لنا من الأدلّة على أفضليّة الوصيّ على الكتاب.

والمقصد الثاني في ذكر أدلّة صاحب الرسالة على أفضليّة الكتاب على الوصيّ بزعمه، والجوابات عن ذلك، إن شاء الله تعالى.

---

١. إشارة إلى آية ٢٠٣ من سورة البقرة: «وَاذْكُرُوا اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ ...» الآية.

٢. ذيل آية ٨٨ من سورة هود.

والمقصد الثالث في نقل مذاهب علمائنا وآرائهم في هذه المسألة.

والخواتيم في ذكر شيء من فضائل أئمّتنا عليهم السلام، وشيء من فضائل القرآن، وما جاء فيهم من القرآن، سالكين فيه طريق الإيجاز، ليقنع به سليم المزاج.

أمّا المقدّمة

ففيها أبحاث.

البحث الأوّل

اعلم أنّ التفاوت والتفاضل في الشرف إنّما يكون من مدارك العقل بالقياس إلى قوّة استعداد ألواح الأرواح والنفوس، وسائر القوابل لفيضان أنوار المعارف الربّانيّة وضعفها، وسرعة سبقها لاقتباس العلوم الربّانيّة والكمالات القدسيّة، والمزايا الشرعيّة وبطؤها، بعد تحلّيها بحلية الوجود، وقعودها مترتّبة على مائدة الجود، ومِن ثَمّ كان النور المحمّديّ ذي الكفّ الندي ﷺ أشرف من انتظم في سلك ذلك النظام، وأفضل من تسنّم سنام الإجلال والإكرام، وما ذاك إلّا لقبضه على أزمّة السبق، وتقدّمه للاستضاءة بأنوار الحقّ.

أمّا المبدأ فلقوله عليه السلام: «أوّل ما خلق الله نوري ـ أو روحي[1] ـ وأنا أوّل من أجاب»[2].

وأمّا في المعاد فلقوله ﷺ: «أنا أوّل من يُدعى يوم القيامة، وأنا أوّل وافد على

---

١. بحار الأنوار ٩٧/١ ح٧، و٢٤/١٥ ح ٤٤، و١٧٠/٥٧ ح١١٧. وقال المجلسيّ في ٣٠٩/٥٧: بيان: وفي بعض الأخبار العاميّة عن النبيّ ﷺ: «أوّل ما خلق الله روحي».

٢. بحار الأنوار ٣٥٣/١٦ ح٣٦ عن الكافي، و١٣٨/٤٥ ح١.

العزيز الجبّار»[١] وبعده شقيقه المشتقّ من نوره، المشارك له في بروزه وظهوره، أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ سائر العترة الطاهرة، ثمّ شيعتهم؛ المخلوقون من أشعّتهم، السائرون بسيرتهم، والمقتفون لأثرهم. (شعر)

فإن كنت تهوي القوم فاسلك طريقهم فما وصلوا إلّا بقطع العلائق

قال الله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[٢].

وفي الأمالي[٣]: عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سُئل عن هذه الآية فقال: «قال لي جبرئيل: ذلك عليّ وشيعته، هم السابقون إلى الجنّة، المقرّبون إلى الله بكرامته [لهم]».

وفي الكافي بإسناده إلى محمّد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: «يا محمّد، إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيّته، ثمّ خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف درهم، ثمّ خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقهم، وأجرى طاعتهم عليها، وفوّض أمرها[٤] إليهم ...» الحديث[٥].

وفي الحديث النبويّ[٦]: «كنت وعليّ نوراً بين يدي الرحمن قبل أن يخلق خلقه بأربعة عشر ألف عام، فلم نزل نتردّد في النور حتّى وصلنا إلى حضرة العظمة في ثمانين ألف سنة، ثمّ خلق الخلائق من نورنا؛ فنحن صنائع الله والخلقُ بَعْدُ صنائعٌ لنا».

---

١. بحار الأنوار ٣٤١/٣٨ ح١٧ عن كشف الغمّة، و٨/٤٠ ح١١٤ عن أحمد بن حنبل.

٢. الواقعة: ١٠ و١١.

٣. الأمالي للمفيد: ١٥٩ المجلس الخامس، طبعة نجف ١٣٦٧، عن ابن عبّاس، وعنه في بحار الأنوار ٣٣٢/٣٥ ح١.

٤. في الكافي: «أُمورها».

٥. الكافي ٤٤١/١، بحار الأنوار ١٩/١٥ و٣٤٠/٢٥ و١٢/٥٤ و٦٥/٥٤ و١٩٥/٥٤.

٦. بحار الأنوار ٢٤/١٥ و٢١/٢٥ و١٧٠/٥٤.

وفي حديث آخر[١]: «إنّ الله أوّل ما خلق محمّداً وعترته الهداة المهديّين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله». قلت: وما الأشباح؟ قال: «ظلّ النور، أبدان نورانيّة بلا أرواح، وكان مؤيّداً بروح واحد، وهي روح القدس».

أقول: الأخبار الناطقة بسبقهم جميع الخلق ـ حتّى القرآن ـ إلى التحلّي بحلية الوجود، والقعود على موائد الجود، قد سارت بها الركبان، وتحدّثت بها الصبيان، وتأيّدت بالقرآن، فلا ينكرها إلّا من لم يطمئنّ قلبه بالإيمان، ومتى ثبت لهم القبض على أزمّة السبق، كانوا أحرى بالشرف وأحقّ.

فائدة: يجب أن يعلم أنّ هذا القرآن من الأُمور المتجدّدة الوجود، المسبوقة بالغير بل بالعدم، لانعقاد الإجماع على حدوثه، واندراجه في سلك المخلوقين، والخلاف الواقع بين المعتزلة والأشاعرة إنّما هو في الكلام النفسيّ القائم بذاته تعالى، أمّا القرآن المقصود به المركّب من الأصوات والحروف فلا خلاف في حدوثه لقوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾[٢] فما ظنّك بالخطوط والنقوش التي هي مطرح البحث هنا؟!

وفي حديث زرارة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ الله تبارك وتعالى خلو من خلقه، وخلقه خلو منه»[٣].

وكلّما وقع عليه اسم شيءٍ ما خلا الله عزّ وجلّ فهو مخلوق، والله خالق كلّ شيء، وتبارك الذي ليس كمثله شيء.

وعن خيثمة عن أبي جعفر عليه السلام مثله.

---

١. الكافي ١/٤٤٢، بحار الأنوار ١٥/٢٥ و٥٤/١٩٧ و٥٨/١٤٢.

٢. الشعراء: ٥.

٣. الكافي ١/٨٢ و٨٣، بحارالأنوار ٣/٣٢٢ و٣٦٣ و٤/١٤٩ و١٦٠، التوحيد: ١٠٥ و١٤٢.

وعن أبي المغراء رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام مثله.

وفي حديث أبي هاشم الجعفري: «فأمّا ما عبّرته الألسن وعملت الأيدي فهو مخلوق، والله غاية من غاياته».

وأمّا ما جاء في شواذّ الأخبار من أنّ القرآن ليس بمخلوق، ومن أنّه لا خالق ولا مخلوق، فظاهر أنّه ممّا خالف الكتاب.

وفي الحديث: «كلّ حديث خالف كتاب الله فهو زخرف»[1].

اللهمّ إلّا أن يحمل على الكلام النفسيّ. وقيل معنى قوله: «ليس بمخلوق» أي ليس مفترى فلا منافاة، وفيه منافرة مقابلته بالخالق.

البحث الثاني

القرآن مصدر كالبرهان والغفران، قيل: هو مشتقّ من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته له، وجمعت بينهما، ومنه حجّ القران، فالنون على هذا أصليّة، ومِن ثَمّ لم يهمزه ابن كثير وإن خالف الكثير، فوزنه فِعال عنده، وعندهم فُعلانٍ، أو من قريَت الماء في الحوض إذا جمعته فيه، أو من قرأت الكتاب قراءةً وقراءً وقرانـاً إذا تلوته، فالنون على هذين زائدة والهمزة أصليّة، سمّي به التنزيل المقرون بالتحدّي، أو المجموع، أو التلوّ إمّا ابتداءً أو بعد جعله بمعنى المفعول أو الفاعل نظراً إلى أنّه جامع للقصص والوعد والوعيد؛ ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[2].

وأظهريّة الأخيرين معارضة بتوحّد المجاز في الأوّل لتعدّده فيهما، مع أنّه فيهما

---

١. الكافي ٦٩/١، وسائل الشيعة ١١١/٢٧، مستدرك الوسائل ٣٠٤/١٧، بحار الأنوار ٢٤٢/٢، تفسير العيّاشي ٩/١، المحاسن ٢٢٠/١.

٢. الأنعام: ٣٨.

مجاز لغويّ وفيه عقليّ من قبيل: وإنّما هي إقبال وإدبار، لكثرة تلاوته.

وبهذا يظهر ما في عبارة صاحب المطوّل من القصر والقصور، وقيل بعدم الاشتقاق فيه بل هو اسم الكتاب العزيز، كما أنّ التوراة والإنجيل والزبور أسماء للكتب المعلومة.

ثمّ إنّه قد تشعّبت الآراء، واختلفت الأهواء في المعنى المقصود منه والموضوع له، فمنهم من قال: هو المعاني القائمة بذاته تعالى، وإن أُطلق على غير ذلك فعلى وجه المجاز؛ وعليه الأشاعرة.

قال المفسّر النيشابوري: «القرآن إنّما يُطْلَق على المحفوظ والمتلوّ والمكتوب بالمجاز من حيث أنّها دالّة على الكلام القائم بذات الله تعالى» انتهى.

ومنهم من قال: هو الموجود في العبارة والتلاوة؛ وعليه الأكثر.

ومنهم المعتزلة حيث عرّفوه بالكلام المؤلّف المنتظم من الحروف المسموعة المفتتح بالتحميد المختتم بالاستعاذة، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾[1] وغيرها من الآيات.

ومنهم من قال: هو المكتوب المسطور من غير اعتبار المحلّ؛ كالغزاليّ ومن حذا حذوه، حيث قال في تعريفه: هو ما نقل بين دفّتي المصحف تواتراً، ويشهد له قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾[2] على بعض الوجوه، وقوله عليه السلام: «القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين الدفّتين»[3]، وفي الحديث:

---

١. الأعراف: ٢٠٤.

٢. الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

٣. بحار الأنوار ٣٣/٣٧٠، الاحتجاج ١/١٨٥، أعلام الدين: ١٠٣، شرح نهج البلاغة ٨/١٠٣، نهج البلاغة: ١٠٨.

«لو كان هذا القرآن في إهاب لما مسّته النار»[١]، وفي بعض النسخ «من إهاب»، وعليه يكون القرآن والمصحف مترادفين.

وعلى هذا يسقط اعتراض صاحب الرسالة على المجلسيّ ﷺ حيث سمّى قرآن المؤمن قلبه لقيام تلك النقوش الشريفة به. لكن في كلام عمر لعليّ عليه السلام: إن كان عندك قرآن فهذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن؛ إمّا إطلاق القرآن على القوالب المرتسمة منه في القلوب بالأقلام الروحانيّة والإلهامات الرحمانيّة فممّا لا ريبة فيه ولا شكّ يعتريه لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[٣].

ولا يذهب عليك أنّ النزاع إنّما يتّجه على تقدير صحّة مذهب الغزاليّ، وحمل ما استشهد به له على الحقيقة، إذ لو عدلنا عنه إلى تعريف القوم وحملنا شواهده على المجاز جاز سلب القرآن عمّا أراده به، وحينئذٍ لا وجه لتفضيل ما ليس بقرآن حقيقة على المتخلّق بأخلاق القرآن الأصليّ، الذي ظهرت فيه آثار القرآن غاية الظهور، وسمّاه الله قرآناً غير مرّة في الكتاب المسطور، بل ولا على آحاد المؤمنين الذين أسهروا طرفهم بالقرآن، وتجافت جنوبهم به عن المضاجع والناس نيام، وحينئذٍ يندفع الريب عن الحديث القائل بأنّ المؤمن أشدّ حرمةً من القرآن، أي النقوش.

وتحقيق المقام يستدعي بسطاً في الكلام، فنقول:

القرآن هو كلام الله الذي لا يثبت سماعه عرش ولا ثرى فضلاً عن عقول الورى، ومِن ثَمّ ستر الله تعالى جماله بكسوة الأصوات وقوالب الحروف صوناً

---

١. عوالي اللآلي ٤/١١٢.

٢. المجادلة: ٢٢.

٣. الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤.

للعقول عن الخسوف والكسوف، فمن صادفه بلا وقاء يخرّ منه صعقاً.

وفي الحديث: «إنّ الله يتجلّى لخلقه في كلامه ولكن لا يشعرون»[١] وله مظاهر متفاضلة، ومنازل متفاوتة، وقوالب متخالفة، ومقامات مترتّبة، فأوّل مظاهره وأعظمها اللوح المحفوظ لأنّ الحرف منه فيه على ما روي أعظم من جبل قاف، ثمّ نزل في الليلة المباركة إلى البيت المعمور، ثمّ نزل به الروح الأمين على قلب سيّد الأوّلين والآخرين.

وكيف كان، فأشرف منازله القلب لأنّه بيت الربّ، وفي الحديث: «قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمان»[٢]، وفي الحديث القدسيّ: «يا موسى، فرّغ لي بيتاً أسكن فيه. قال: يا ربّ، أنت منزّه عن البيوت. قال: فرّغ لي قلبك».

وأشرف القلوب قلب النبيّ ثمّ قلب الوليّ وهكذا. فالقلوب كلّها منزلة واحدة وإن تفاوت فيها بتفاوت ظهوره، واقتباسها من نوره، وأدنى منها منزلة ظهوره في التلاوة والعبارة وإن تفاوت فيها بتفاوت الطلاقة والفصاحة، وأدنى الكلّ منزلة ظهوره في الكتابة وإن تفاوت فيها بتفاوت التقرمط والإظهار. وبذلك تعلم أنّ القرآن واحد بالنوع وتطّلع على خائنة في تعاريف القوم.

وحينئذٍ لا ريب في وجوب تفضيل بعض أشخاص النوع على البعض فضلاً عن جوازه. وأيضاً الواحد بالشخص يجوز أن يفضّل على نفسه باعتبارين كما تسمع أرباب النحاة يقولون: ما رأيت رجلاً أحسن في عينه الكحل منه في عين زيد. ووزانه وزان قولك: ما رأيت جسماً أحسن في سطحه القرآن منه في سطح

---

١. بحار الأنوار ١٠٧/٨٩، عوالي اللآلي ١١٦/٤.

٢. بحار الأنوار ٣٩/٦٧، عوالي اللآلي ٤٨/١ و٩٩/٤.

قلب المؤمن.

فإن قيل: حاصل الدعوى تفضيل بعض الإنسان على القرآن، وحاصل ما ذكرتم تفضيل القرآن على نفسه باعتبارين فأيّ فائدة في هذا التمهيد؟

قلنا: الغرض من إيراد مسألة الكحل وإن كان هو تفضيل الكحل على نفسه باعتبارين ليصحّ رفعه بأفعل التفضيل. إلّا أنّ مفادّها على ما صرّح به أهل الفنّ تفضيل زيد على جميع الرجال، الذين وجد في عينهم الكحل وعلى الكحل نفسه. وذلك لأنّ الكحل الذي في عينه إنّما فضّل على الكحل الذي في غير عينه، لاستفادته من عينه حسناً بديعاً لا يمكن حصوله له لو كان في غير عينه، مضافاً إلى حسنه في نفسه.

ولا ريب أنّ زيداً الجامع لحسن تلك العين مجرّدةً عن الكحل وحسنها مع الكحل وحسن الكحل البالغ نهاية الحسن أحسن من كلّ كحل وجد في عين غير عينه قطعاً.

وأظهر منه أحسنيّته على نفس الكحل المجرّد عن جميع الأعين، وأحسن من كلّ رجل وجد في عينه الكحل أيضاً من هذه الجهة.

وعلى هذا القياس بعينه القرآن في قلب المؤمن، والقرآن في القرطاس، فإنّ القرآن يستفيد من ذلك القلب الذي هو بيت الربّ حسناً لا يمكن حصوله له لو كان في القرطاس مضافاً إلى حسنه في نفسه. فالمؤمن الجامع لحسن القلب مجرّداً عن القرآن وحسنه معه، وحسن القرآن البالغ أعلى درجات الحسن أحسن من القرآن الكائن في أدنى مراتب الحسن المحتجب بالظلمات الثلاث، ظلمة الحروف، وظلمة المداد، وظلمة الجماد وهو القرطاس. فظهر صحّة الحديث القائل: «إنّ المؤمن أشدّ حرمة من القرآن» ومن كان له طبع سليم، لا يحتاج بعد هذا إلى تقويم.

البحث الثالث

ينبغي أن لا يرتاب في أنّ القرآن وسائر كلمات الله تعالى من الأعراض الشريفة المتعدّدة الوجود، القائمة بالمحالّ المتفاوتة في النحوس والسعود، على وجه يكون لمحالّها قوّة استفادة واكتساب من شرفها وحسنها، كما أنّ هي أيضاً لها قوّة الاستفادة والاكتساب من شرف محالّها ومواردها، وكذلك سائر المعارف الربّانيّة والعلوم الملكوتيّة، فقد جاء في صحيح الحديث: «إنّ محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابيّ» رواه في الكافي[١].

وفي الحديث: «إنّ لكلّ شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن»[٢].

وفي الحديث النبويّ: «حسّنوا القرآن بأصواتكم فإنّ الصوت الحسن يزيد في القرآن حسناً» وقرأ: ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾[٣]؛ رواه في العيون مسنداً.

وفي حديث أبي بصير، قال: «يا با محمّد، اقرأه قراءة بين القرائتين، تُسمع أهلك، ورجّع بالقرآن صوتك فإنّ الله عزّ وجلّ يحبّ الصوت الحسن يرجّع به ترجيعاً»[٤].

وحديث عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام: إذا وقفت بين يديّ فقف موقف الذليل الفقير، وإذا قرأت التوراة فأسمعنيها بصوت حزين»[٥].

---

١. الكافي ٣٩/١.

٢. الكافي ٦١٥/٢، وسائل الشيعة ٢١١/٦، مستدرك الوسائل ٢٧٣/٤، بحار الأنوار ١٩٠/٨٩، جامع الأخبار: ٤٩.

٣. فاطر: ١.

٤. الكافي ٦١٦/٢، وسائل الشيعة ٢١١/٦.

٥. الكافي ٦١٥/٢، وسائل الشيعة ٢٠٨/٦، مستدرك الوسائل ٢٧٠/٤، بحار الأنوار ٣٥٨/١٣، أعلام الدين: ١٠١، الدعوات: ٢٣.

وفي حديث آخر: «لكلّ شيء ربيع وربيع القرآن شهر رمضان»[١].

وفي الحديث: «ما من عبدٍ من شيعتنا يتلو القرآن في صلاته قائماً إلّا وله بكلّ حرف مأة حسنة، ولا قرأه في صلاته جالساً إلّا وله بكلّ حرف خمسون حسنة، ولا في غير صلاته إلّا وله بكلّ حرف عشر حسنات، وإنّ للصامت من شيعتنا لأجر من قرأ القرآن»[٢].

ولا ريب أنّ الصوت الحسن بالقرآن أحسن منه بالأشعار، وربّما استفاد القرآن خسّة من خسّة الصوت ولو كان الصوت حسناً كما لو كان بألحان الفسوق فما ظنّك بمنكر الأصوات. فظهر معنى الحديث: «ربّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه»[٣].

البحث الرابع

ينبغي أن يعلم أنّ مطرح البحث في القرآن هنا هو ما قصده منه صاحب الرسالة وصرّح به في مقدّمتها وهو ما جعله النبيّ ﷺ أحد الخليفتين المعبّر عنهما بالثقلين، وتركه بين الأُمّة حيث قال عليه السلام: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[٤].

---

١. الكافي ٢/٦٣٠، وسائل الشيعة ٦/٢٠٣ و١٠/٣٠٢، بحار الأنوار ٨٩/٢١٣ و٩٣/٣٨٦، أعلام الدين: ٣٦٨، الأمالي للصدوق: ٥٩، ثواب الأعمال: ١٠٣، روضة الواعظين ٢/٣٤٠، معاني الأخبار: ٢٢٨، المقنعة: ٣١٢.

٢. الكافي ٨/٢١٤، وسائل الشيعة ٦/١٨٩، بحار الأنوار ٦٥/٨١، تأويل الآيات: ٢٥٣، مصباح الكفعمي: ٤٥٤.

٣. مستدرك الوسائل ٤/٢٤٩، بحار الأنوار ٨٩/١٨٤، جامع الأخبار: ٤٨.

٤. مستدرك الوسائل ٧/٢٥٤ و١١/٣٧٢، بحار الأنوار ٢/٢٢٥ و٥/٢٠ و٢٣/١٠٩ و٢٣/١١٢ و٢٣/١٣٣

←

ولعلّ الظاهر المتبادر منه هو هذا المكتوب بالفعل في هذه المصاحف الموجود فيما بين الصحابة. بناءاً على ما ارتضاه المرتضى ﷺ وجماعة من أنّ القرآن كان مجموعاً مؤلّفاً على عهده ﷺ على ما هو عليه الآن.

قال المفسّر النيشابوري: ومن زعم أنّ القرآن بهذا النحو من ترتيب عثمان فقد أخرج القرآن عن كونه معجزاً.

أو المكتوب بالقوّة القريبة المتكاملة الأسباب على رأي غيرهم لقوله ﷺ في مرض موته لعليّ ﷺ: «لا تخرج ثلاثة أيّام حتّى تؤلّف كتاب الله كيلا يزيد الشيطان فيه شيئاً ولا ينقص منه»[1].

والحاصل أنّ إرادة النقوش والحروف من أحاديث الثقلين كيف كان هو الذي يتسارع إلى الأفهام، وهو الذي جرى عليه صاحب الرسالة حيث قال في موضع منها عند ذكره لبعض تلك الأخبار:

وظاهر أنّ المراد بالقرآن فيه وفي أمثاله هو المنقول في هذه المصاحف تواتراً، انتهى.

ولم يتعرّض للشواهد على ذلك.

وقد يستشهد عليه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ

← و٣١/٣٧٥ و٣٥/١٨٤ و٣٦/٣٣١ و٣٦/٣٣٨ و٩٧/٢٩٠، الاحتجاج ١/١٤٩ و٢/٤٥٠، الأمالي للطوسي: ٥٤٧، التحصين لابن طاوس: ٦٣٥، تفسير القمّي ٢/٣٤٥، دعائم الإسلام ١/٢٧، روضة الواعظين ٢/٢٧٣، الطرائف ١/١١٦ و١/١٢٠، كتاب سليم: ٦٤٦، كشف الغمّة ١/٤٣، كفاية الأثر: ١٣٦ و١٦٢، كمال الدين ١/٦٤ و١/٢٣٤ و١/٢٣٩ و١/٢٧٩.

١. بحار الأنوار ٢٣/٢٤٩.

﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[١] على وجه.

وبروايتي أبي نعيم والخطيب في الأربعين كما في البحار بالإسناد عن السدّي، عن عبد خير، عن عليّ عليه السلام قال: «لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقسمت ـ أو حلفت ـ أن لا أضع ردائي عن ظهري حتّى أجمع بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتّى جمعت القرآن»[٢].

وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام: «إنّه آلى على نفسه أن لا يضع ردائه عن عاتقه حتّى يؤلّف القرآن ويجمعه، فانقطع عنهم مدّةً إلى أن جمعه، ثمّ خرج إليهم به في إزار ـ وهم مجتمعون في المسجد ـ فأنكروا مصيره بعد انقطاعه مع التيه، فقالوا: الأمر ما جاء به أبوالحسن، فلمّا توسّطهم وضع الكتاب بينهم ثمّ قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي[٣]، وهذا الكتاب وأنا العترة، فقام إليه الثاني فقال: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله فلا حاجة لنا فيكما[٤]. ثمّ انصرف وهو يقول: فنبذوه وراء ظهورهم»[٥]، إلى هنا رواية البحار.

أقول: وحينئذٍ يجب أن يحمل قوله عليه السلام: «لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[٦]

---

١. الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

٢. بحار الأنوار ١٥٥/٤٠ و١٨٠/٤، كشف الغمّة ١١٨/١، كشف اليقين: ٦٥.

٣. بحار الأنوار ١٥٥/٤٠ و٥٢/٨٩، المناقب ٤١/٢.

٤. بحار الأنوار ١٥٥/٤٠ و٥٢/٨٩، المناقب ٤١/٢.

٥. بحار الأنوار ٦٤/٢ و١١/٨ و٩/٩ و١٩٢/٩ و٢١١/٩ و١٧٤/١٥ و١٥٦/٤٠ و٢٢٣/٥٨ و٩٤/٦٩ و٥٢/٨٩ و١٢٦/٩٠، الاحتجاج ٢٥٧/١ و٤٣٦/٢، إرشاد القلوب ١٥/١، تفسير العيّاشي ٣٠٢/٢، تفسير القمّي ١٢٨/١ و٢٨٨/١، الصراط المستقيم ٣٠٥/١، مجموعة ورّام ٢١٤/٢، المناقب ٤١/٢.

٦. الكافي ٤١٤/٢، وسائل الشيعة ٣٣/٢٧، مستدرك الوسائل ٢٥٤/٧، بحار الأنوار ٩٩/٢،

←

على عدم المفارقة في الأحكام، وإلّا لو حملنا لفظ الكتاب في أخبار الثقلين على المعاني القائمة بقلبه عليه السلام الغير المنفكّة عنه لقرينة عدم الافتراق، كان البحث ساقطاً من أصله؛ فتدبّر.

ولو خصّصناه بالذي جمعه هو عليه السلام كما يشعر به قول عليه السلام: «هذا الكتاب وأنا العترة»[1] كان فضل العترة على ما في أيدينا واضحاً، وعليه يكون فهم صاحب الرسالة ضائعاً، بل فاضحاً.

← الاحتجاج ١/ ٦٠، الإرشاد ١/ ١٧٦، إرشاد القلوب ١/ ١٣١، إعلام الورى: ١٣٢، الإفصاح: ٢٢٣، الإقبال: ٤٥٤، الأمالي للصدوق: ٤١٥، الأمالي للطوسي: ٢٥٥، بشارة المصطفى: ٢٢٨، بصائر الدرجات: ٤١٣، بناء المقالة: ١٩٨، تأويل الآيات: ١٢٢، التحصين لابن طاوس: ٥٨٢، تحف العقول: ٤٢٥، تفسير القمّي ١/ ١٧١، تقريب المعارف: ١٢٥، الجمل: ٤١٨، الخصال ١/ ٦٥، دعائم الإسلام ١/ ٢٧، سعد السعود: ٦٤، الصراط المستقيم ١/ ١٨٧، الطرائف ١/ ١٠٢، العُدد القويّة: ٦٧، العمدة: ٦٨، عيون الأخبار ١/ ٢٢٨، الغيبة للنعماني: ٤٢، الفصول المختارة: ١٧٣، القصص للراوندي: ٣٥٥، كتاب سليم: ٦١٦، كشف الغمّة ١/ ٣٠، كشف اليقين: ١٨٦، كفاية الأثر: ٩١، كمال الدين ١/ ٦٤، كنز الفوائد ١/ ٣٢٩، اللهوف: ١٦، متشابه القرآن ٢/ ٥٤، معاني الأخبار: ٩٠، المناقب ١/ ٢٨٥، نهج الحق: ٢٢٥، اليقين: ٣٥١.

١. بحار الأنوار ٤٠/ ١٥٥ و٨٩/ ٥٢، المناقب ٢/ ٤١.

المقصد الأوّل

في الأدلّة الناطقة بأفضليّة الوصيّ على الكتاب

وفيها مطلعان:

المطلع الأوّل: في الآيات القرآنيّة

وهي كثيرة فلنقتصر منها [على] تسع آيات بيّنات:

الأُولى: قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[1].

ففي الكافي بإسناده إلى أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «هذه الآية: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ ثمّ قال: أما والله يابا محمّد، ما قال بين دفّتي المصحف». قلت: من هم، جعلت فداك؟ قال: «من عسى أن يكون غيرنا»[2].

أقول: هذه أوّل شهادة لنا من الله تعالى وأهل خاصّته بأنّ ما في السطور من القرآن لا يضاهي ما في الصدور، لظهور أنّ الغرض المسوق له الكلام مدح آيات الكتاب وبيان جهة استحقاقها لذلك من مسبّب الأسباب.

وظاهر أنّها ليست لكونها فيما بين الدفّتين؛ لما علمت من تراكم الحجاب على ما هناك من الكلمات، وأنّ مثله فيها كمن مثله في الظلمات، ومِن ثَمّ لم يقل: بين دفّتي

---

١. العنكبوت: ٤٩.

٢. الكافي ١/٢١٤، وسائل الشيعة ٢٧/١٨٠، مستدرك الوسائل ١٧/٣٢٨، بحار الأنوار ٢٣/٢٠٠، بصائر الدرجات: ٢٠٥.

المصحف، بل الجهة في ذلك هو كونها في الصدور، لكن ليس على الإطلاق بل صدور الذين أُوتوا العلم، لزهرتها هنالك بثمرة الغنم. فإذا لم نستحقّ الثناء إلّا بسكونها في ذلك البناء، الذي هو بيت الربّ وخزانته كان فضله عليها ممّا لا [ريب] فيه. وبهذا يظهر أنّ فضل ما في الصدور على ما في السطور كفضل النخيل ذات الأثمار على نفسها بعد الجمار.

وإلى ذلك أشار بقوله عليه السلام: «يأتي على أُمّتي زمان لم يبق من الإسلام إلّا اسمه، ومن القرآن إلّا رسمه»[١]، فإنّه عند غيبة الإمام يصف القرآن، وإذا كان صدر الإمام هو العلّة في تداني قطوف أثماره وأزهاره باحمراره واصفراره، وتجلّيه بأشعّة أنواره، واستيناسه بجانب طور ناره، كان فضله عليه في غاية الاستغناء عن بيانه وإظهاره.

الثانية: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾[٢].

محمّد بن يعقوب في الكافي، في باب أنّ الآيات التي ذكرها الله تعالى في كتابه هم الأئمّة عليهم السلام: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن أبي عمير أو غيره، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، إنّ الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ قال: «ذلك إليّ إن شئت أخبرتهم، وإن شئت لم أخبرهم». ثمّ قال: لكنّي أُخبرك بتفسيرها». قلت: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾؟ قال: فقال: «هي في أميرالمؤمنين صلوات الله عليه، كان أميرالمؤمنين صلوات الله عليه يقول: ما للّه عزّ وجلّ آية هي أكبر

---

١. الكافي ٣٠٧/٨، بحار الأنوار ١٠٩/٢ و١٤٦/١٨ و٣٢٠/٣٤ و٢٨٣/٣٦ و١٩٠/٥٢ و١٢٤/٩٠، الاحتجاج ٢٥٥/١، أعلام الدين: ٤٠٦، ثواب الأعمال: ٢٥٣، شرح نهج البلاغة ٢٩٩/١٩، العُدد القويّة: ٨١، غرر الحكم: ١١١، كفاية الأثر: ١٥، كمال الدين ٦٦/١، نهج البلاغة: ٥٤٠.

٢. النبأ: ١ ـ ٣.

منّي، ولا للّه من نبإٍ أعظم منّي»[١].

محمّد بن الحسن الصفّار في البصائر، وفي آخر روايته قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «ما للّه آية هي أكبر منّي، ولا للّه من نبإٍ أعظم منّي، ولقد فُرِضت ولايتي على الأُمم الماضية فأبت أن تقبلها»[٢].

وعنه: بإسناده عن عبدالرحمان بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ قال: «النبأ العظيم الولاية». وسألته عن قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾[٣]؟ قال: «ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام»[٤].

عليّ بن إبراهيم قال: حدّثني أبي، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في قوله: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ قال: «قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ما للّه نبإ أعظم منّي، وما للّه آية أكبر منّي، ولقد عرض فضلي على الأُمم الماضية ـ على اختلاف ألسنتها ـ فلم تقرّ بفضلي»[٥].

محمّد بن العبّاس، عن أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد بن يحيى، عن إبراهيم بن هاشم، بإسناده عن محمّد بن الفضيل قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾، قال أبو عبدالله عليه السلام: «كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: ما للّه من نبإ هو أعظم منّي، ولقد

---

١. الكافي ١/٢٠٧.

٢. تأويل الآيات: ٧٣٣.

٣. الكهف: ٤٤.

٤. الكافي ١/٤١٨ و٤٢٢، بحار الأنوار ٢٤/٣٥٢، تأويل الآيات: ٢٨٩.

٥. بحار الأنوار ٣٦/١، تفسير القمّي ٢/٤٠١.

عرض فضلي على الأُمم الماضية باختلاف ألسنتها»[١].

وعنه قال: حدّثنا أحمد بن هوذه، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبدالله بن حمّاد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ قال: «هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ليس فيه خلاف»[٢].

ابن بابويه في العيون: حدّثنا حمزة بن محمّد بن أحمد بن جعفر بن محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام بقم في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة قال: أخبرني عليّ بن إبراهيم بن هاشم ـ فيما كتب إليّ سنة سبع وثلاثمائة ـ قال: حدّثني أبي، عن ياسر الخادم، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن عليّ عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «يا علي، أنت حجّة الله، وأنت الطريق إلى الله، وأنت النبأ العظيم، وأنت الصراط المستقيم، وأنت المثلى الأعلى.

يا علي، أنت إمام المسلمين، وأميرالمؤمنين، وخير الوصيّين، وسيّد الصدّيقين.

يا علي، أنت الفاروق الأعظم، وأنت الصدّيق الأكبر.

يا علي، أنت خليفتي على أُمّتي، وأنت قاضي ديني، وأنت منجز عداتي.

يا علي، أنت المظلوم بعدي.

يا علي، أنت المفارق بعدي.

يا علي، أنت المهجور بعدي، أُشهد الله تعالى ومن حضر من أُمّتي أنّ حزبك

---

١. تأويل الآيات: ٧٣٢ ـ ٧٣٣.

٢. تأويل الآيات: ٧٣٤.

حزبي، وحزبي حزب الله، وأنّ حزب أعدائك حزب الشيطان»[١].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾[٢].

عليّ بن إبراهيم: «قال الله عزّ وجلّ: يا محمّد، ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني أميرالمؤمنين ﴿ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾»[٣].

محمّد بن الحسن الصفّار: بإسناده عن سدير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ قال: «الذين أُوتوا العلم الأئمّة، والنبأ الإمامة»[٤].

أقول: وجه الاستدلال بهذه الآية والتي قبلها أنّ النبأ كما يطلق لغة على الخبر والاطلاقه على القرآن الجامع للأخبار أحقّ وأحرى، كذلك يطلق على آية الله الكبرى، والمثل الأعلى، فأراد عليه السلام أن يبيّن مراد الله تعالى منه بقوله عليه السلام «ما للّه آية هي أكبر منّي، وما للّه من نبأ أعظم منّي» فمن ظنّ أو توهّم أنّ دلالة هذه الأخبار على نفي أعظميّة ما عداه عليه السلام بحيث يشمل القرآن من جهة العموم القابل للتخصيص فليتمّم فهمه فالقرآن وإن شارك الإمام في وصف العظمة، إلّا أنّ الإمام قد فاق القرآن فيها وزاد عليه من حيث تكرار ذكر العظمة في شأنه عليه السلام المعلوم من الآية الثانية لدلالة التنوين والتنكير فيها على عظمة الموصوف أوّلاً، ثمّ وصفه بمادّة العظمة ليعلم تناهيه عليه السلام في هذا الوصف إلى حدّ لا يلحقه لاحق ولا يسبقه سابق،

---

١. بحار الأنوار ١١١/٣٨، عيون الأخبار ٦/٢.

٢. ص: ٦٧ و٦٨.

٣. بحار الأنوار ١/٣٦، بصائر الدرجات: ٧٦، تأويل الآيات: ٤٩٦، تفسير القمّي ٢٤٣/٢.

٤. مستدرك الوسائل ٣٣٠/١٧، بحار الأنوار ٢٠٣/٢٣، بصائر الدرجات: ٢٠٧.

ولهذا قال عليه السلام: «والله ما للّه آية هي أكبر منّي، وما للّه من نبأ أعظم منّي»[١].

وأيضاً قد وصف الله تعالى الإمام في كتابه ثلاث مرّات بالعظمة، اثنتين في النبأ المنكّر، ومرّة في النبأ المعرّف كما عرفت. ووصف القرآن بها مرّة واحدة في قوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾[٢] على احتمال أن يكون المراد بالقرآن فيها هو الإمام عليه السلام أيضاً، لأنّه من جملة أسمائه عليه السلام كما يعلم ذلك من الآيات والأخبار الكثيرة.

وكيف كان فالمتّصف بالثلاث لا ريب أنّه أعظم وأشرف من المتصف بالواحدة ويعلم ارتفاع الوصيّ على القرآن بدرجتين، ويحصل الطباق بين آيات الله وبين قوله عليه السلام: «أنزلوهم بأحسن منازل القرآن»[٣] لظهور تعدّد منازل القرآن في هذا الكلام، وجواز انحطاط درجاته بعضها عن بعض، ووجود إنزال العترة في أعلاها، كما يتّضح لك ذلك في محلّه إن شاء الله.

وبهذا يندفع ما قيل: إنّ قوله عليه السلام: «ما لله آية أعظم منّي، وما للّه من نبإ أكبر»[٤] إنّما يدلّ على نفي الأعظم منه عليه السلام دون ما يساويه في العظمة؛ لظهور أنّ المراد نفي كلّ عظيمة فوقه، وكلّ عظمة في مرتبته. يدلّ على ذلك قول النبيّ صلى الله عليه وآله له: «أنت النبأ العظيم»[٥] ومعناه: أنت لا غيرك كما يقال: أنت الرجل، أي كامل في الرجوليّة لا غيرك كامل فيها.

---

١. تأويل الآيات: ٧٣٣.

٢. الحجر: ٨٧.

٣. بحار الأنوار ٢٠٩/٣٤، شرح نهج البلاغة ٣٧٢/٦، نهج البلاغة: ١١٩.

٤. بحار الأنوار ٣/٣٦، تفسير فرات: ٥٣٣، شواهد التنزيل ٤١٧/٢.

٥. بحار الأنوار ٤/٣٦ و١١١/٣٨، عيون الأخبار ٦/٢.

على أنّ الباعث لتطنيب هذا الإطناب، وتشييد هذه القباب إنّما هو هدم أساس الأدلّة الموهمة لأفضليّة الكتاب، التي لم يقل بها أحد من أُولي الألباب، وخفض مرفوع مشيّدها، والإتيان على قائمها وحصيدها، وهو بحمد الله حاصل، لا ينكره عاقل بل ولا جاهل.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾[١].

في الصافي عن القمّي قال: الآيات أميرالمؤمنين والأئمّة عليهم السلام، إذا رجعوا إلى الدنيا تعرفهم أعدائهم إذا رأوهم في الدنيا، قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «والله ما للّه آية أكبر منّي»[٢].

أقول: لعلّ في هذا القَسَم منه عليه السلام كفاية لمن له دراية، بأنّ كلّ آية للّه، ومعجزة للنبيّ صلى الله عليه وآله من قرآن وغيره منحطّ عن حضيض درجته، ومتقاصر عن سموّ مرتبته. ضرورة أنّ النكرة إذا وقعت في سياق النفي تفيد العموم، وإلّا فأيّ ذي مسكة يحكم بصحّة هذا القول المؤكّد بالقسم منه عليه السلام.

ألا ترى لو قال قائل: ما لزيد عبد أجمل من سعد، والفرض أنّ بين يديه ألف عبد وكلّ واحد منهم أجمل منه عدّ سفهاً وما ظنّك بالسبعة الآلاف.

وليس للخصم أن يخصّ التفضيل بالمجموع دون الأفراد لأنّه يحتجّ بحديث: «القرآن أفضل شيء بعد الله» وصدق القرآن على كلّ آية ممّا لا ريب فيه. نعم يكون الريب في هذا الحديث، لظهور أثر الوضع عليه كما سيجيء الكلام عليه في محلّه، إن شاء الله تعالى.

---

١. النمل: ٩٣.

٢. تفسير القمّي ١٣٢/٢.

ولو لم يكن إلّا مخالفته لكتاب، وشذوذه من بين أخبار الباب لكفى في وجوب الإعراض عنه، مع قطع النظر عن كثرة الأسباب، فتبصّر.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[١].

في تفسير عليّ بن إبراهيم في هذه الآية: عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أنا والله الإمام المبين»[٢].

وفي كتاب [الـ]صراط المستقيم مرفوعاً إلى الباقر عليه السلام: «لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ قيل: يا رسول الله، هي التوراة والإنجيل والقرآن؟ قال: لا، فأقبل عليّ عليه السلام، فقال: هذا الإمام المبين، الذي أحصى الله فيه كلّ شيءٍ»[٣].

وفي رواية ابن بابويه بإسناده إلى أبي الجارود، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، قال: «لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ قام أبوبكر وعمر عن مجلسهما فقالا: يا رسول الله، هي التوراة؟ قال: لا، قالا: هي الإنجيل؟ قال: لا، قالا: فهي القرآن؟ قال: لا، فأقبل أميرالمؤمنين عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو هذا، إنّه الإمام الذي أحصى الله فيه علم كلّ شيء»[٤].

وعن عمّار بن ياسر رضي الله عنه قال: كنت مع أميرالمؤمنين عليه السلام في بعض غزاته، فمررنا بوادٍ مملوّ نملاً، فقلت: يا أميرالمؤمنين، ترى يكون أحد من خلق الله يعلم كم عدد

---

١. يس: ١٢.

٢. بحار الأنوار ٣٥/٤٢٧، تفسير القمّي ٢/٢١٢.

٣. الصراط المستقيم ١/٢٧٠.

٤. الأمالي للصدوق: ١٧٠، تأويل الآيات: ٤٧٧.

هذا النمل ؟ قال : «نعم يا عمّار ، إنّي أعرف رجلاً يعلم كم عدده ، وكم فيه من ذكر ، وكم فيه من أُنثى» . فقلت : من ذلك الرجل يا مولاي ؟ فقال : «يا عمّار ، ما قرأت في سورة يس : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾» ؟ قلت : بلى يا مولاي . قال : «أنا ذلك الإمام المبين»[١] .

أقول : قد ثبت بالآية والرواية أنّ كلّ علم في القرآن فهو في الإمام ، ولا ينعكس كلّيّاً ، ومتى فاقه علماً فاقه فضلاً . وستسمع الجواب عمّا عسى يرد على ذلك في المطلع الثاني مفصّلاً إن شاء الله تعالى .

السادسة : قوله تعالى : ﴿ وَلَاتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[٢] .

في كتاب [الـ]صراط المستقيم : أسند إبراهيم الثقفيّ [عن] الأسلمي قول النبيّ ﷺ عند نزول هذه الآية : «سألت الله أن يجعلها لعليّ [ففعل]»[٣] . وقد علم من الأخبار أنّ النبيّ ﷺ لم يسأل شيئاً للوصيّ من الله إلّا استجاب له فيه ما عدا سؤاله من الله له أن يجمع عليه الأُمّة بعده حيث أبى عليه سرّ لا يعلمه إلّا هو .

وقد تكرّر في الأخبار أنّه عليه السلام سبيل الله ، ووجهه الذي لا يؤتى إلّا منه ، ومتى ثبت أنّه سبيل الله الذي نهى في كتابه عن متابعة كلّ سبيل سواه ، ثبت شرفه على القرآن ، لأنّه من جملة تلك السبل التي وقع النهي عنها من دون توسّطه عليه السلام .

فإن قيل : كيف يتصوّر صحّة النهي عن متابعة سبيل القرآن وقد ورد : «إنّ فيه الهدى ، وفيه النور»[٤] ، وفي الحديث : «إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح

---

١. الأمالي للصدوق : ١٧٠ ، تأويل الآيات : ٤٧٧ .

٢. الأنعام : ١٥٣ .

٣. تأويل الآيات : ١٧٣ ، روضة الواعظين ١/١٠٦ ، الصراط المستقيم ١/٢٨٤ ، المناقب ٣/٧٢ .

٤. خصائص الأئمّة : ٧٢ .

الدجى»[١]، وعن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنّه شافع مشفّع، وماحل مصدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل»[٢].

قلنا: لعلّ المراد بالقرآن في هذا وأضرابه معانيه المنيرة المقتبسة من الناطق به كالنبيّ والوصيّ وسائرالراسخين في العلم، الذين نزل القرآن على قلوبهم وفي بيوتهم، وقرن الله بينهم وبينه إلى يوم القيامة، وليس الكلام فيه.

وأمّا القرآن المنقوش في هذه الكواغيذ المحجوب بالظلمات الثلاث كما عرفت سابقاً فقد تكرّر النهي عن متابعته صريحاً في الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة عموماً وخصوصاً.

أمّا العامّ فما رواه في العيون عن أبي أسد عبدالصمد بن عبد شهيد الأنصاري بسمرقند قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا أحمد بن إسحاق العلويّ الموسويّ قال: حدّثنا أبي قال: أخبرني عمّي الحسن بن إسحاق قال: سمعت عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول: حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن أميرالمؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من دان الله بغير سماع ألزمه الله تعالى التيه إلى الفناء، ومن دان بسماع من غير الباب الذي فتحه الله عزّ وجلّ لخلقه فهو مشرك، والباب المأمون على وحي الله تعالى محمّد وآله صلوات الله عليهم»[٣].

وأمّا الخاصّ فكقوله عليه السلام: «إنّا لم نحكّم الرجال وإنّما حكّمنا القرآن، وهذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين الدفّتين لا ينطق بلسان، ولابدّ له من ترجمان، وإنّما تنطق

---

١. الكافي ٢/٦٠٠، وسائل الشيعة ٦/١٧٠.

٢. وسائل الشيعة ٦/١٧١.

٣. عيون الأخبار ٢/٩.

عنه الرجال»[١].

وقوله عليه السلام عند رفع المصاحف: «هذا كتاب الله الصامت وأنا كتاب الله الناطق».

وظاهر أنّ هذا الكلام ينادي بأنّ الميل معه دون زبر القرآن هو الحقّ الذي لا يشوبه الباطل، وأنّ زبر القرآن لا يشفي علّة الجاهل.

ومِن ثَمّ وقع اللوم على الرجال الذين أكثروا الجدال، وتقاعدوا في ذلك المجال.

وممّا يؤكّد ذلك ما أورده في الكافي في حديث هشام حيث قال للشاميّ: ربّك أنظر لخلقه أم هم أنظر لأنفسهم؟ قال: بل هو أنظر لهم. قال: فما نظره؟ قال: أقام لهم الحجّة وأزال عنهم العلّة. قال: فما الحجّة؟ قال: الرسول، قال: فبعده؟ قال: كتابه وسنّته، قال: أأزالا عنك الاختلاف اليوم؟ قال: لا. قال الشاميّ: ألا فمن؟ قال: هذا الجالس يعني الصادق عليه السلام[٢].

وفي الكافي بإسناده عن الحسن بن العبّاس بن الحريس، عن أبي جعفر الثاني قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «بينا أبي يطوف بالكعبة إذاً رجل معتجر قد قبض له فقطع عليه أُسبوعه حتّى أدخله إلى دار الصفا ـ إلى أن قال: ـ أرأيت إن قالوا: حجّة الله القرآن؟ قال: إذاً أقول لهم: إنّ القرآن ليس بناطق يأمر أو ينهى، ولكن للقرآن أهل يأمرون وينهون»[٣].

ومن العامّ أيضاً ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يا عمّار، إذا رأيت عليّاً قد سلك وادياً، وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع عليّ ودع الناس»[٤].

---

١. الاحتجاج ١/١٨٥، الإرشاد ١/٢٧٠، أعلام الدين: ١٠٣، شرح نهج البلاغة ٨/١٠٣، نهج البلاغة: ١٨٢.

٢. الاحتجاج ٢/٣٦٦، الإرشاد ٢/١٩٤، الصراط المستقيم ١/٨٩، كشف الغمّة ٢/١٧٥.

٣. الكافي ١/٢٤٥، بحار الأنوار ٢٥/٧٦.

٤. بحار الأنوار ٣٨/٣٨.

وهذا عامّ لكلّ واحدٍ حتّى وادي زبر القرآن، فالحديث طباق الآية، فثبت عموم النهي عن اتّباع كلّ سبيل سوى سبيل الله وبابه ولسانه المعبّر عنه في خلقه.

السابعة: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِبِينَ﴾[١].

أجمع المفسّرون من الفريقين على أنّ المراد بالأبناء الحسنان، وبالنساء أُمّها فاطمة الزهراء، وبالأنفس أميرالمؤمنين وخيرة الوصيّين.

أمّا أنّه نفس الرسول ﷺ فأمر تلقّته العقول بالقبول وسدّ الأسماء والطلول، وقد تكرّر القول من النبيّ الأُمّيّ: «أنا من عليّ وعليّ منّي»[٢].

وفي رواية عبدالرحمان بن سمرة: «إنّ عليّاً روحه روحي وطينته طينتي»[٣].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ في الجنّة شجرة يقال لها طوبى، ما في الجنّة دار ولا قصر ولا شجرة ولا بيت إلّا وفيه غصن من تلك الشجرة، وإنّ أصلها في داري»، ثمّ أتى عليه ما شاء الله، ثمّ حدّثهم يوماً آخر فقال: «إنّ في الجنّة شجرة يقال لها طوبى، ما في الجنّة قصر ولا بيت ولا دار إلّا وفيه من تلك الشجرة غصن، وإنّ أصلها في دار عليّ».

فقام إليه عمر فقال: يا رسول الله، أوليس حدّثتنا عن هذه الشجرة فقلت أصلها في داري ثمّ حدّثتنا ثانياً فقلت أصلها في دار عليّ؟! فرفع النبيّ رأسه فقال: أوما علمت بأنّ داري ودار عليّ واحد، وحجرتي وحجرة عليّ واحدة، وقصري

---

١. آل عمران: ٦١.

٢. تأويل الآيات: ٢٣٢.

٣. كمال الدين: ٢٥٧، روضة الواعظين: ١٠٠، العُدد القويّة: ٩٠.

وقصر عليّ واحد، ودرجتي ودرجة عليّ واحدة، وسرّي وسرّ عليّ واحد؟ فقال عمر: إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله كيف يصنع؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا أراد أحدنا أن يأتي أهله ضرب الله بينه وبيني حجاباً من نور، فإذا فرغنا من تلك الحاجة رفع الله عنّا ذلك الحجاب». فعرف عمر حقّ عليّ[١].

ومتى ثبت أنّه نفس النبيّ صلى الله عليه وآله من الكتاب والسنّة والإجماع لزم من تفضيل القرآن عليه عليه السلام تفضيله على الرسول، وذلك ممّا يفضي إلى الكفر والجحود، والعياذ بالله كيف لا وقد صحّ في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام قال: «فضل أميرالمؤمنين عليه السلام ما جاء به أخذ، وما نهي عنه انتهى عنه، جرى له من الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، المتقدّم بين يديه كالمتقدّم بين يدي الله ورسوله، والمتفضّل عليه كالمتفضّل على رسول الله». ثمّ قال في آخر الحديث: «ولا يتقدّمني أحد إلّا أحمد»[٢]؛ رواه الكافي.

وستطّلع على ما طويناه منه في المطلع الثاني إن شاء الله تعالى، وأنت تعلم ما فيه من الوعيد بالتقدّم على الله اللازم من التقدّم على النبيّ والوليّ فأين القرآن من عليّ؟

الثامنة: قوله تعالى: ﴿هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ...﴾[٣] الآية.

قد تكرّر وثبت في الرواية عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أنا أوّل من يجثو بين يدي الله للخصومة»[٤].

ومن المعلوم انّ القرآن من جملة المخاصمين بين يدي الله تعالى ذلك اليوم.

---

١. بحار الأنوار ١٤٨/٨، جامع الأخبار: ١٧٤.

٢. الكافي ١٩٧/١، بصائر الدرجات: ١٩٩ و٢٠٠.

٣. الحج: ١٩.

٤. تأويل الآيات: ٨٤٠، كامل الزيارات: ٣٣٤.

فعن ابن بطريق في المستدرك من كتاب الفردوس على ما في البحار بالإسناد عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء يوم القيامة ثلاثة: المصحف والمسجد والعترة، يقول المصحف: يا ربّ، حرّقوني ومزّقوني، ويقول المسجد: يا ربّ، خرّبوني وعطّلوني، وتقول العترة: يا ربّ، قتلونا وطردونا وشردونا، وجثوا باركين للخصومة، يقول الله تبارك وتعالى: ذلك إليّ وأنا أولى بذلك»[١].

وعن أبي الزبير عن رسول الله ﷺ مثله.

ولا يذهب عليك أنّ هذا المصحف المخاصم هو بعينه أحد الثقلين الذي تركه النبيّ ﷺ بين الأُمّة، وحثّ على التمسّك به، والذي يرد عليه الحوض مقروناً بالعترة من غير سبق لأحدهما على الآخر لأنّه هو الذي وقع فيه التحريف والتمزيق باعتراف خصمه الممزّق والمحرّف له عند سؤال الرسول له عنه حيث قالوا: أمّا الأكبر فحرّفناه ومزّقناه.

أقول: دلّت الآية على وقوع التخاصم بين يدي الله بقول مطلق، والرواية على تخصيصها بوقوع ذلك على الترتيب وتقدّم الأشرف على غيره كيف لا والسبق في يوم السباق من أظهر الشواهد على ذلك بالاتفاق: ﴿ وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾[٢].

التاسعة: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[٣].

روى ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكلينيّ في الكافي بإسناده عن سعد الخفّاف، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «يا سعد، تعلّموا القرآن فإنّ القرآن يأتي يوم القيامة في

---

١. بحار الأنوار ٢٤/١٨٤.

٢. النساء: ١٠٧.

٣. العنكبوت: ٤٥.

أحسن صورة». ثمّ قال في آخر الحديث: «يا سعد، أُسمعك كلام القرآن؟» قال سعد: فقلت: بلى صلّى الله عليك. فقال: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فالنهي الكلام، والفحشاء رجال، ونحن ذكر الله، ونحن أكبر»[1].

أقول: هذه شهادة من القرآن نفسه بأكبريّة العترة بقول مطلق.

ولا ريب أنّ أحد القرينين المتصاحبين المتلازمين على وجه يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر إلى أن يردا على النبيّ صلى الله عليه وآله الحوض إذا فضّل أحدهما دون الآخر بقول مطلق انصرف إلى تفضيله على قرينه وصاحبه لأنّه أقرب حضوراً في البال من الغير بسبب ذكر القرين، فإنّ الضدّ إنّما طبت له هذا الحكم بسبب استحالة اجتماعه مع ضدّه، فما ضنّك بما ثبت له التلازم واستحالة الانفكاك، وهذا ظاهر لا سترة فيه.

وإن شئت قلت: معناه: ولذكر الله أكبر أي من الصلاة لتقدّم ذكرها لفظاً. وعلى هذا يكون تفضيلهم عليهم السلام على القرآن بالطريق الأولى، لأنّ القرآن بل أُمّ القرآن جزء الصلاة، والتفضّل على الكلّ يستلزم التفضّل على الجزء بوجه أظهر.

ومن عجائب الخطوات الشيطانيّة ما خطر ببال صاحب الرسالة هنا، وكتبه في بعض المراسلات التي وقعت بيننا وبينه في هذه الآية والرواية حيث قال: معناه: ونحن أكبر أي من تلك الرجال المعبّر عنهم بالفحشاء.

قلت: لا يخفى ما فيه من الفحش إذ قد ثبت في الحديث عنهم عليهم السلام أنّ عدوّنا أصل الشرّ، والفحشاء فروعهم؛ وعلى هذا فلا أحد أكبر منهم إلّا من يفوقهم في الفحش والشرّ، وهذا نهاية الفحش والشرّ. فصحّ ما قيل: حبّك للشيء يعمي

---

١. الكافي ٢/٥٩٨.

ويصمّ.

وأنت خبير بأنّ تسميتهم بالذكر ممّا تكرّر في الكتاب، وتقرّر في أذهان أُولي الألباب: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ﴾[١].

وأمّا أفضليّة الذكر على القرآن فلا يرتاب فيه إلّا المبطلون سيّما بعد قوله: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[٢] وقوله عليه السلام: «نحن ذكر الله ونحن أكبر»[٣]، وقوله عليه السلام: «ما للّه آية هي أكبر منّي، وما للّه من نبأ أعظم منّي»[٤].

وقال بعض الأفاضل في بعض تعليقاته على هذا الحديث: ويحتمل أن يكون صورة القرآن في القيامة أميرالمؤمنين عليه السلام فإنّه حامل علمه والمتخلّق بأخلاقه كما قال عليه السلام: «أنا كلام الله الناطق»[٥] فإنّ من كمل فيه عمل أو صفة أو حالة فكأنّه جسد لتلك الصفة ومشخّص لها، فأميرالمؤمنين عليه السلام جسد للقرآن وللصلاة والزكاة ولذكر الله لكمالها فيه، فتطلق عليه هذه الأسامي في بطن القرآن، ويطلق على مخالفيه الفحشاء والمنكر والفسوق والعصيان لكمالها فيهم فإنّه أجساد لتلك الخصال الذميمة وتلك أرواحهم. كذا أفاض الله سبحانه في حلّ هذا الخبر، وبه تنحلّ كثير من غوامض الأخبار» انتهى.

لا يقال: جعل الإمام جسداً للقرآن يؤدّي إلى جعل القرآن روحاً له، والروح أفضل من الجسد.

---

١. طه: ١٢٤.

٢. العنكبوت: ٤٥.

٣. الكافي ٢/٥٩٨.

٤. الكافي ١/٢٠٧، تأويل الآيات ٧٣٣.

٥. بحار الأنوار ٣٠/٥٤٦ و٧٩/١٩٩.

لأنّا نقول: كون القرآن من قبيل الأعراض ممّا لا يرتاب فيه ذوو العقول السليمة من الأمراض، وإنّما عبّر عنه بالجسد إشارة إلى محلّ ذلك العرض، إذ لا قوام للعرض بدون المحلّ؛ ومِن ثَمّ استدلّ بعضهم على أفضليّة الإمام على القرآن بأنّ الإمام من مقولة الجوهر، والقرآن من مقولة العرض، ولا ريب أنّ الجوهر من حيث هو أشرف من العرض لتقدّمه عليه، وتوقّف وجوده على وجوده، ومن هنا تسمع الحكماء يقولون: لا يجوز أن يكون المحويّ علّة للحاوي، لأنّه أخسّ منه، والأخسّ لا يكون سبباً للأشرف.

وما يقال في دفعه بجواز انقلاب العناصر والماهيّات بعضها إلى بعض بسبب تفاوت العوالم، كما يكون العلم في عالم الرؤيا لبناً، فدعوى لم تصحّ ببرهان. ولو سلّم فاطّراده على وجه يشمل صورة النزاع ممنوع، مع أنّه يؤدّي إلى جواز انقلاب القرآن إلى الأخسّ لجواز انقلابه ظلمة بعد أن كان نوراً، أمّا انقلاب الإنسان فلم يتصوّر في الأذهان ولم يقم عليه برهان، بل إنّ أدلّة إعادته بحاله ممّا تنادي على إبطاله.

وما يتوهّم من أنّ القرآن عرض، والتزام الانقلاب يستدعي صيرورته جسداً وجوهراً ليحصل النقل من مقولة إلى غيرها، مع أنّ في وصفه بالصورة الحسنة في هذا الخبر شهادة بذلك فتوهّم بارد لأنّه حينئذٍ يحتاج إلى روح تخرجه من خسّة الموت إلى شرف الحياة، فإن كان هو الإمام لأنّه لسان الله وكتابه الناطق ثبت المطلوب، وإن كان غيره فلابدّ من بيانه حتّى نتكلّم عليه.

هذا ولو قيل بسدّ باب الانقلاب مطلقاً نظراً إلى ظاهر قوله تعالى: «لاَ تَبْدِيلَ

لِخَلْقِ اللَّهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ»[١] لكان أقرب إلى الصواب، ويشهد له دليل الأصل والاستصحاب، والقرآن البارز يوم القيامة في أحسن صورة لا يبعد أن يراد به الوصيّ المطلق كما صرّح به ذلك الفاضل.

المطلع الثاني: في الأخبار الناصّة على المدّعى في هذا الباب

فمنها: قوله عليه السلام في نهج البلاغة في الخطبة الكائنة بعد الخطبة المسمّاة بالغرّاء: «فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم، وهم أزمّة الحقّ، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورد الهيم العطاش»[٢].

أقول: المراد بالمنازل على ما فسّرها به الشارح العالم الربّانيّ الشيخ ميثم البحرانيّ: مراتب الإجلال والتعظيم الحاصلة في القلب، وقد دلّت صيغة الجمع على تعدّدها وتبدّدها، وصيغة أفعل التفضيل على تفاوتها في الحسن والفضل، ونسبة المنازل للقرآن على جواز التجاوز به من القصوى إلى الدنيا وما بينهما، وصيغة الأمر على وجوب إنزال العترة في الفضلى منهنّ وتحريم التجاوز بهم إلى ما سواها بخلاف القرآن.

فإن أُريد من الجمع أقلّه وهو الثلاث، وجب انحطاط القرآن عنهم عليهم السلام بدرجتين فيطابق الآيات القرآنيّة المشتملة على وصف التعظيم لهذين الثقلين ـ كما شرحناه سابقاً ـ. وإن أُريد به الكثرة، وجب ارتفاع شأن العترة على القرآن إلى حدّ لا يعرفه إلّا الله فيطابق الحديث النبويّ المشهور: «لا يعرف الله إلّا أنا وأنت،

---

١. كذا، والموجود في المصحف آيتان، الأُولى الآية ٣٠ من سورة الروم: «لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم»، والثانية الآية ٦٤ من سورة يونس: «لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم».

٢. أعلام الدين: ١٢٧، شرح نهج البلاغة ٣٧٢/٦، نهج البلاغة: ١١٩.

ولا يعرفني إلّا الله وأنت، ولا يعرفك إلّا الله وأنا»[١].

كم يدّعي حبّها من ليس يعرفها إلّا بأسمائها في ظاهر الكتب

وكيف كان فهو نصّ في الباب، حتّى لو حملنا الأمر فيه على الاستحباب مع مخالفته الظاهر التي لا يضرى بها الماهر، لأنّ حاصله حينئذٍ أنّ ترجيح العترة على الكتاب ممّا صدر من الشارع، فظهر أنّ العكس والقلب إنّما نشأ من فساد الفؤاد والقلب.

ومنها: ما رواه أبو محمّد الحسن بن أبي الحسن بن محمّد الديلميّ في كتاب إرشاد القلوب عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعليّ بن أبي طالب، وعليّ بن أبي طالب أفضل لكم من كتاب الله»[٢].

لا يقال: المدّعى تفضيله عند الله وفي نفس الأمر، والتقييد بالمخاطبين يمنع من ذلك.

لأنّا نقول: الغرض الأصليّ والمطلب الكلّيّ من إنزال الكتب وبعثة الرسل، وإقامة الأوصياء والخلفاء مقامهم إنّما هو إيصال الخلق إلى الحقّ، وإرشادهم لما يوجب لهم الفوز بالنعيم الأبد، بالإقبال على الله والإعراض عن الدنيا، لأنّه لا يجتمع حبّ الله وحبّ الدنيا في قلب.

ولا ريب أنّ كلّ من كان تمشّى هذا الأمر منه أوفى وأعمّ كان شرفه على من يقصر عنه أوفر وأتمّ. ولا ريب أنّ الإرشاد التامّ، وإراءة سبل السلام، وجذب الأنام على قدر الأفهام إنّما يتأتّى بعد النبيّ ﷺ من الإمام عليه السلام.

---

١. تأويل الآيات: ١٤٥ و٢٢٧.

٢. إرشاد القلوب ٢/٣٧٨.

ففي الحديث: «يا عليّ، أنت قائد أُمّتي إلى الجنّة»[١].

والقرآن إنّما هو خطّ مسطور بين الدفّتين لا ينطق بلسان، وإنّما تنطق عنه الرجال، فالإشارة بقوله: «لكم» لهذه النكتة، وهي بحمد الله لنا لا علينا كما لا يخفى [على] من سلك سبيل الإنصاف.

وناهيك شاهداً على عموم الانتفاع به عليه السلام دون القرآن الموجب لفضله عليه بقوله عليه السلام: «لو ثنّيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم»[٢].

ومنها: ما رواه ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب في الكافي بإسناده عن أبي الصلت الحلواني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «فضل أميرالمؤمنين عليه السلام ما جاء به أخذ به، وما نهي عنه انتهى عنه، جرى له من الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما لرسول الله صلى الله عليه وآله، والفضل لمحمّد، المتقدّم بين يديه كالمتقدّم بين يدي الله ورسوله، والمتفضّل عليه كالمتفضّل على رسول الله، والرادّ عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله، فإنّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله باب الله الذي لا يؤتى إلّا منه، وسبيله الذي من سلكه وصل إلى الله عزّ وجلّ، وكان أميرالمؤمنين عليه السلام من بعده، وجرى للأئمّة واحداً بعد واحد، جعلهم الله عزّ وجلّ أركان الأرض أن تميد بأهلها، وعمد الإسلام، ورابطته على سبيل هداه، لا يهدي هادٍ إلّا بهداهم، ولا يضلّ خارج من الهدى إلّا بتقصير عن حقّهم، أُمناء الله على ما أهبط، من علم أو عذر أو نذر، والحجّة البالغة على من في الأرض، يجري لآخرهم من الله مثل الذي جرى لأوّلهم، ولا يصل أحد إلى ذلك إلّا

---

١. الخصال ١/٢١٤، صحيفة الرضا عليه السلام: ٤٨، عيون الأخبار ١/٢٧٧ و٢/٣٠.

٢. شرح نهج البلاغة ١٢/١٩٧، المسائل العكبريّة: ١٢٣.

بعون الله»[١].

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: «أنا قسيم الله بين الجنّة والنار، لا يدخلها داخل إلّا على أحد قسميّ، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا الإمام لمن بعدي، والمؤدّي عمّا كان قبلي، ولا يتقدّمني أحد إلّا أحمد صلى الله عليه وآله، وإنّي وإيّاه لعلى سبيل واحد، إلّا أنّه هو المدعوّ باسمه، ولقد أُعطيت الستّ: علم المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب، وإنّي لصاحب الكرامات، ودولة الدول، وإنّي لصاحب العصا والميسم، والدابّة التي تكلّم الناس»[٢].

إلى هنا رواية الكافي، وفيها من الهداية ما فيه الكفاية.

وأنت تعلم ما في التقدّم بين يدي الله ورسوله اللازم من التقدّم بين يدي الإمام من القدوم على أعلى درجات الكفر الموجب للخلود في أسفل الدرك من النار، وما في التقدّم والتفضّل على الرسول اللّازم من التقدّم على الوصيّ من الذلّ والصغار، وشمول الوعيد فيه لكلّ صامت وناطق في الديار.

ثمّ إنّ في قوله عليه السلام: «ولا يتقدّمني أحد إلّا أحمد»[٣] شهادة على بطلان تقدّم كلّ متقدّم عليه في الفضل غير النبيّ، وسدّ لباب الاستثناء بعد ذلك. فليس لأحد أن يقول: هذا عامّ قابل للتخصيص بل هو من قبيل التنصيص، فليس بعد الله إلّا النبيّ وليس بعد النبيّ إلّا الوصيّ.

فما جاء في ضعيف الأخبار من قوله عليه السلام: «القرآن أفضل شيء بعد الله»[٤]

---

١. الكافي ١/١٩٧.

٢. الكافي ١/١٩٧، بصائر الدرجات: ١٩٩.

٣. الكافي ١/١٩٧، بصائر الدرجات: ١٩٩ و٢٠٠.

٤. قد وردت الرواية في جامع الأخبار: ٤٠ و٤٦ هكذا: «القرآن أفضل من كلّ شيء دون الله».

فسبيله إمّا الوضع وإمّا الشذوذ، ولتكن على ذكر من قوله عليه السلام: «يجري لآخرهم مثل الذي جرى لأوّلهم»[١] لتنتفع به في عدّة من المواطن.

ومنها: الحديث المأثور عن النبيّ صلى الله عليه وآله وممّن نقله العالم الربّانيّ الشيخ ميثم البحرانيّ في شرح نهج البلاغة عند قوله عليه السلام: «عترته خير العتر، وأُسرته غير الأُسر»[٢].

حيث قال: ومصداق أفضليّة عترته قوله صلى الله عليه وآله: «سادة أهل المحشر سادة أهل الدنيا: أنا وعليّ وحسن وحسين وحمزة وجعفر»[٣].

ولا ريب أنّ القرآن من جملة أهل المحشر لأنّه مصاحب للعترة في الورود يوم القيامة على الحوض، ومن جملة أهل الأرض لأنّ الكلام فيما كان منه بين الدفّتين.

ومنها: ما رواه كنز الكراجكيّ بإسناده عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أظلّت الخضراء وما أقلّت الغبراء بعدي أفضل من عليّ بن أبي طالب، وإنّه إمام أُمّتي وأميرها، وإنّه لوصيّي وخليفتي عليها، من اقتدى به بعدي اهتدى، ومن اهتدى بغيره ضلّ وغوى، إنّي أنا النبيّ المصطفى، ما أنطق بفضل عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن الهوى، إن هو إلّا وحي يوحى، نزل به الروح المجتبى، عن الذي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى»[٤].

ولا ريب أنّ القرآن الكائن في الأوراق داخل تحت هذا النطاق، وكلّ من له ذوق سليم وطبع مستقيم يشهد بأنّ قوله صلى الله عليه وآله: «ما أظلّت الخضراء وما أقلّت

---

١. الكافي ١٩٧/١.

٢. شرح نهج البلاغة ٦٢/٧، نهج البلاغة: ١٣٩.

٣. شرح نهج البلاغة ٦٤/٧.

٤. التحصين لابن طاوس: ٦٢٣.

الغبراء»[١] من جملة المناطيق البالغة إلى الحدّ الذي لا تناله شوائب التخصيص المصرّحة بأفضليّته عليه السلام على جميع آحاد من فوق الأرض ومن تحت السماء بالتنصيص، ومِن ثَمّ أخرج نفسه الزكيّة بقوله صلى الله عليه وآله: «بعدي» حتّى لا يبقى شيءٌ له أهليّة الإخراج.

ومنها: ما رواه في كتاب بشارة المصطفى وغيره بالإسناد إلى عبدالعظيم بن عبدالله الحسنيّ، عن محمّد بن عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله خلق الإسلام، وجعل له عرصة، وجعل له نوراً، وجعل له حصناً، وجعل له ناصراً؛ فأمّا عرصته فالقرآن، وأمّا نوره فالحكمة، وأمّا حصنه فالمعروف، وأمّا أنصاره فأنا وأهل بيتي»[٢].

وأيضاً قد تكرّر في الأخبار أنّهم عليهم السلام دعائم الإسلام[٣].

ولا ريب أنّ أنصار الشيء وهو ما يكون علّة لبقائه، ودعائمه وهو ما يكون علّة لاستقامته وبقاء صورته وشكله أشرف من عرصته ومحلّته، إذ لا دخل لعرصة الشيء في قوامه ولا في مادّته ولا في صورته وشكله، فأين أحدهما من الآخر؟

ومنها: ما جاء في الأمثال عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح؛ من ركب فيها نجى، ومن تخلّف عنها غرق، ومثل القرآن كمثل الأجل المعقّلة؛ إن عقلها صاحبها أمسكها، وإن تركها ذهبت»[٤].

---

١. الاختصاص: ١٢، التحصين لابن طاوس: ٦٢٣.

٢. بشارة المصطفى: ١٥٧، الكافي ٢/٤٦١.

٣. إعلام الورى: ١، غرر الحكم: ١١٦، نهج البلاغة: ٣٥٧.

٤. الاحتجاج ٢/٣٨٠، بشارة المصطفى: ٨٨، بصائر الدرجات: ٢٩٧، جامع الأخبار: ١٨٢، شرح نهج ←

ومنها: ما صحّ روايته عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «أخي ووزيري وخير من أُخلّفه بعدي عليّ أميرالمؤمنين»[١].

وقد قال: «إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[٢].

ومنها: ما رواه ابن شاذان عن مجاهد قال: قيل لابن عبّاس: ما تقول في عليّ ابن أبي طالب؟ قال: ذكرت والله أجلّ الثقلين، سبق بالشهادتين، وصلّى القلبتين، وبايع البيعتين، وأُعطي السبطين فهو أبو السبطين الحسن والحسين، ردّت له الشمس مرّتين، وجرّد السيف تارتين، وصاحب الكرّتين، ومثله كمثل ذي القرنين، ذاك مولانا عليّ بن أبي طالب»[٣].

وهذا صريح في المدّعى، ولا يتوهّم أنّ المراد بالثقلين فيه الإنس والجنّ لأنّه حينئذٍ يعمّ الأنبياء والرسل، وابن عبّاس لا يقول بتفضيل عليّ عليه السلام عليهم، فالتوهّم إنّما نشأ من اشتراك اللفظ في المورد، والغفلة عن المصلح والمفسد.

ومنها: ما أرشد إليه كلام أميرالمؤمنين وسيّد الوصيّين عليه السلام في نهج البلاغة حيث قال: «إنّ الله سبحانه أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشرّ، فخذوا نهج الخير تهتدوا، واصدفوا عن نهج الشرّ تقصدوا، والفرائض أدّوها إلى الله تردّكم إلى

← البلاغة ١/٢١٨، الطرائف ١/١٣٢، العمدة: ٣٥٩ و٣٦٠، الغيبة للنعماني: ٤٤، كشف اليقين: ٣٢٢، متشابه القرآن ٢/٥٧.

١. الأمالي للصدوق: ٣٤٧، الصراط المستقيم ٢/٧٠، كشف الغمّة ١/١٥٣ و١٥٧، المناقب ٣/٦٩.

٢. إعلام الورى: ٣٩٦، الأمالي للصدوق: ٥٢٢، بشارة المصطفى: ٢٢٨، تحف العقول: ٤٢٥، تقريب المعارف: ١٢٥، الصراط المستقيم ٢/١٠١، عيون الأخبار ١/٢٢٨، الغيبة للنعماني: ٢٩ و٥٤، الفصول المختارة: ١٧٣، كشف الغمّة ١/٢٥٦، كفاية الأثر: ٢١٠، كمال الدين ١/٢٤٤، متشابه القرآن ٢/٤٥، معاني الأخبار: ٩١.

٣. مائة منقبة: ١٤٣.

الجنّة، إنّ الله حرّم حراماً غير مجهول، وأحلّ حلالاً غير مدخول، وفضّل حرمة المسلم على الحرم كلّها ...»[١] إلى آخره.

وستسمع أنّ الكتاب والمؤمن من جملة حرمات الله في الأرض، وتعميم القول منه عليه السلام هنا مؤكّداً بأداة الشمول مع أنّه بصدد ذكر الكتاب الذي هو أحد الحرمات صريح في تفضيل آحاد المؤمنين عليه، فما ظنّك بأمير المؤمنين؟

ومنها: الحديث النبويّ المشهور: «حرمة المسلم فوق كلّ حرمة، دمه وعرضه وماله»[٢].

ومن هنا يتّضح صحّة ما نقله الفاضل المجلسيّ من الخبر القائل: «إنّ المؤمن أشدّ حرمة من القرآن»[٣].

ومنها: ما رواه العالم الربّانيّ، السيّد هاشم البحرانيّ في تفسيره بالإسناد عن أبي عيسى الضرير البجليّ، عن أبي الحسن عليه السلام في خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه، وفي الخبر: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ادعوا لي عمّي العبّاس» فدعي له فحمله وعليّ عليه السلام حتّى أخرجاه فصلّى بالناس وإنّه قاعد، ثمّ حمل فوضع على المنبر بعد ذلك فاجتمع جميع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار حتّى برزت العواتق من خدورها، فبين باكٍ وصائحٍ ومسترجع، والنبيّ صلى الله عليه وآله يخطب ساعة ويسكت ساعة، وكان فيما ذكر من خطبته وقال:

«يا معاشر المهاجرين والأنصار ومن حضر في يومي هذا وساعتي هذه من الإنس والجنّ، ليبلغ شاهدكم غائبكم، ألا وإنّي قد خلّفت فيكم كتاب الله، فيه

---

١. شرح نهج البلاغة ٢٨٨/٩، نهج البلاغة: ٢٤٢.

٢. شرح نهج البلاغة ٢٨٩/٩.

٣. قد روي في بحار الأنوار ٣٢٣/٧: «المؤمن أعظم حرمة من الكعبة والقرآن».

النور والهدى والبيان لما فرض الله تبارك وتعالى من شيء، حجّة الله عليكم وحجّتي وحجّة وليّي، وخلّفت فيكم العَلَم الأكبر، علم الدين، ونور الهدى وضيائه، وهو عليّ بن أبي طالب، وهو حبل الله ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾[1]»[2].

وإنّما ذكرنا الخطبة برأسها ولم نقتصر على موضع الحاجة ليعلم الواقف عليها أنّها كانت آخر خطبة خطبها عليه السلام كما يرشد إلى ذلك بروز العواتق من الخدور، وتقسيم الناس بين باكٍ وصائح ومسترجع، ونحو ذلك.

فما أتى في أخباره عليه السلام من وصف الكتاب بالأكبر، فهو إمّا منسوخ بهذه لقوله عليه السلام: «الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن»[3] أو محرّف عن مواضعه بوساوس الشيطان.

ثمّ إنّ تعرّضه عليه السلام لوصف الوصيّ بالعَلَم الأكبر مع تعرّضه لذكر الكتاب ساذجاً من أظهر الشواهد على اختصاصه بالأعظميّة والأكبريّة دونه، وإن اشتركا في أصل العظمة والكبر، ولمّا كان الغرض الكلّيّ من جعل الثقلين خليفتين إنّما هو تسهيل السير إلى ربّ العباد بإنارة سبيل الرشاد، وإراءة طرق السداد، الداعي إلى الفوز برضوان الله الأكبر في المعاد، لا جرم دعت الحاجة إلى رفع الإبهام، ونصب الأعلام.

ولمّا كان الوصيّ هو المرشد المطلق للخلق من الإنس والجِنّة، وقائد الأُمّة إلى الجنّة أثبت له اسم العلم الأكبر، حيث كان قيامه بذلك أشهر وأظهر، بل قد تكرّر

---

١. آل عمران: ١٠٣.

٢. بحار الأنوار ١٩/٣٦.

٣. الكافي ٦٤/١، وسائل الشيعة ١٠٨/٢٨، و٢٠٨/٢٧.

له اسم العلم في غير موضع من الأخبار الثابتة المنار كقول النبيّ ﷺ له: «يا عليّ، أنت العلم لهذه الأُمّة»[١].

وفي رواية ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: «أنت صاحب حوضي، وصاحب لوائي، ومنجز عداتي، وحبيب قلبي، ووارث علمي، وأنت مستودع مواريث الأنبياء، وأنت أمين الله في أرضه، وأنت حجّة الله على رعيّته، وأنت ركن الإيمان، وأنت مصباح الدجى، وأنت منار الهدى، وأنت العلم المرفوع لأهل الدنيا؛ من تبعك نجا، ومن تخلّف عنك هلك، وأنت الطريق الواضح، وأنت الصراط المستقيم»[٢].

وفي المحاسن بإسناده عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ الله جعل عليّاً عَلَماً بينه وبين خلقه، ليس بينهم وبينه علم غيره؛ فمن تبعه كان مؤمناً، ومن جحده كان كافراً، ومن شكّ فيه كان مشركاً»[٣].

ومنها: ما رواه ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب في الكافي وصاحب بصائر الدرجات بإسنادهما إلى خيثمة، عن أبي جعفر عليه السلام ـ على ما في البصائر ـ وعن أبي عبدالله عليه السلام ـ على ما في الكافي ـ قال: «نحن شجرة النبوّة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر»[٤].

ومنها: ما رواه في البحار بإسناده عن زياد بن المنذر قال: سمعت أبا جعفر محمّداً عليه السلام يقول: «نحن شجرة أصلها رسول الله، وفرعها عليّ بن أبي طالب،

---

١. بشارة المصطفى: ١٨٠، تأويل الآيات: ١٨٩، تفسير فرات: ٢٦٥.

٢. الأمالي للصدوق: ٣٠٦، بشارة المصطفى: ٥٤.

٣. المحاسن ١/٨٩، ثواب الأعمال: ٢٠٩.

٤. الكافي ١/٢٢١، بصائر الدرجات: ٥٧.

وأغصانها فاطمة بنت النبيّ ﷺ، وثمرتها الحسن والحسين، والتحيّة والإكرام، وإنّا شجرة النبوّة وبيت الرحمة ومفتاح الحكمة ومعدن العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سرّ الله ووديعته، والأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال، وحرم الله الأكبر»[١].

أقول: قد دلّ هذا الحديث ونظائره على أنّ للّه تعالى حرمات متعدّدة إلّا أنّها متفاوتة في العظم والشرف بدلالة أفعل التفضيل، والعترة عليهم السلام هم الحرم الأكبر الذي لا تحوم حول حضيضه سائر الحرمات، والنور الذي لا تثبت لإشراقه مبهمات الظلمات.

وأمّا دلالته على ارتفاع شأنهم على القرآن فلأنّه من جملة تلك الحرمات المنجية من النقمات.

ففي الكافي بإسناده عن عليّ بن شجرة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «للّه عزّ وجلّ في بلاده خمس حرم: حرمة رسول الله، وحرمة آل الرسول، وحرمة كتاب الله عزّوجلّ، وحرمة كعبة الله، وحرمة المؤمن»[٢].

وفي بصائر الدرجات بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «دعا رسول الله ﷺ الناس بمنى ـ إلى أن قال: ثمّ قال: أيّها الناس، إنّي تارك فيكم حرمات ثلاث: كتاب ربّي عزّ وجلّ، وعترتي أهل بيتي، والكعبة البيت الحرام ...»[٣] الحديث.

وفي الأمالي والعلل بالإسناد عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

---

١. بحار الأنوار ٢٣/٢٤٤ و٢٦/٢٥٠.

٢. الكافي ٨/١٠٧.

٣. بصائر الدرجات: ٤١٣.

«للّه عزّ وجلّ حرمات ثلاث ليس مثلهنّ شيءٌ: كتابه وهو حكمته ونوره، وبيته الذي جعله قبلة للناس لا يقبل توجّهاً إلى غيره، وعترة نبيّكم ﷺ»[١].

أقول: وكان تأخّر ذكر الكتاب عن الآل أنسب بالحال وإن لم يكن مناط الاستدلال كما يشهد به الحديث الأوّل الذي عليه المعوّل، إلّا أنّه أتى بالعكس هنا تعميةً للأمر، لأنّه عند قوم أشدّ من القبض على الجمر، وناهيك شاهداً على ذلك بقول عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام: «وفضّل حرمة المسلم على الحرم كلّها»[٢]، وقول النبيّ ﷺ: «حرمة المسلم فوق كلّ حرمة»[٣] كما أوردناهما آنفاً، وعند انضمام هذين الخبرين إلى هذه الأخبار ينكشف الغبار، وتبدو الأسرار المخفيّة عن الأشرار، فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

وهنا سؤالان وجوابان:

أحدهما: أن يقال: إنّ الأكبريّة فيما تمسّكتم به من هذه الأخبار مطلقة في شأنهم عليهم السلام صالحة للتقييد بغير الكتاب لتخصيصه بها في الكثير من أخبار الخصم، وحمل المطلق على المقيّد شائع بين الفريقين، ويحصل العمل بالدليلين، ويرتفع التناقض من البين.

والجواب عن ذلك: أمّا أوّلاً فلأنّ حمل المطلق على المقيّد إنّما يصار إليه مع تكافؤ السند وهو مفقود، كيف لا وهذه الأخبار على ما عرفت ممّا قد اعتمدها الثقات الأخيار وأثبتوها في الكتب التي عليها المدار في هذه الأعصار، وقطعوا

---

١. الأمالي للصدوق: ٢٩١، معاني الأخبار: ١١٧.

٢. نهج البلاغة: ٢٤٢، شرح نهج البلاغة ٢٨٨/٩.

٣. شرح نهج البلاغة ٢٨٩/٩.

بورودها عن الأئمّة الأطهار، مع أنّ منها ما هو نصّ في المطلوب بحيث لا يحتمل هذا الوهم المقلوب كما لا يخفى على من له قلب موهوب.

وأمّا أخبراهم فجلّها مأخوذة من طرق القوم، ولا يأمن المتمسّك بها من اللوم، وكفاك شاهداً على ضعفها عدم وجود أثر منها في أُصولنا، ومخالفتها للكتاب والسنّة المقطوع بها كما عرفت سابقاً وتعرف لاحقاً، وما يدّعى فيها من التواتر مع تلك الزيادة فمحض مكابرة تعرف بالتأمّل، ولو بنذور ذي الزيادة بالنسبة إلى سعة دائرة المجردّ منها.

وأمّا ثانياً: فلأنّ حمل المطلق على المقيّد إلى الآن لم يثبت عندنا الإذن فيه من كتاب ولا سنّة، ومن ثَمّ نفاه بعض مشايخنا الثقات، وعذره واضح عند من له فكر راجح، بل طريق السلامة في الجمع بين المتعارضين في التمسّك بها مهّده لنا العالم عليه السلام وعلم وروده عنه كما في حديث زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته فقلت: جعلت فداك، يأتي عنكم الخبران أو الحديثان المتعارضان فبأيّهما آخذ؟ فقال عليه السلام: «يا زرارة، خُذ بما اشتهر بين أصحابك ودع الشاذّ النادر». فقلت: يا سيّدي، إنّهما مشهوران مرويّان مأثوران عنكم. فقال: «خُذ بما يقول أعدلها عندك، وأوثقهما في نفسك». فقلت: إنّهما معاً عدلان مرضيّان موثّقان. فقال: «أُنظر إلى ما وافق منهما مذهب القوم فاتركه وخُذ بما خالفهم، فإنّ الحقّ فيما خالفهم». فقلت: ربّما كانا معاً موافقين لهم أو مخالفين فكيف أصنع؟ فقال: «إذن خُذ بما فيه الحائطة لدينك واترك ما خالف الاحتياط». فقلت: إنّهما معاً موافقان للاحتياط أو مخالفان له فكيف أصنع؟ فقال: «إذن فتخيّر أحدهما فتأخذ به وتدع الآخر»[1]. رواه العالم الربّانيّ

---

١. مستدرك الوسائل ٣٠٣/١٧، بحار الأنوار ٢٤٥/٢.

محمّد بن أبي جمهور الإحسائيّ في آخر كتابه المسمّى باللآلي العزيزيّة عن العلّامة ﵀.

وأمّا الحديث المشهور المذكور في كلّ من التهذيب والكافي المرويّ عن عمر ابن حنظلة، فقد قدّم فيه ليس بمشهور، ثمّ ما وافق حكمه حكم الكتاب والسنّة وخالف العامّة، ثمّ ما خالف العامّة، ثمّ ينظر ما كان فقهائهم إليه أميل فيترك ويؤخذ بالآخر، ثمّ بالإرجاء حتّى يلقى الإمام ﷺ.

وفي بعض الأخبار: إنّ العامّ إذا ورد بعده ما يخالفه عمل بالمتأخّر.

والظاهر أنّ المراد بما يخالفه في العموم وهو الخاصّ، وذلك يدلّ [على] أنّ العامّ المخصوص لا يكون حجّة في الباقي كما عليه جماعة من الأُصوليّين وهو مع العلم بالتاريخ، وتأخير الخاصّ قويّ.

والحاصل أنّ أخبار هذا الباب مع كثرتها خالية من ذكر الجمع بحمل ما أُطلق على ما قُيِّد، بل قد جاء في بعضها أنّه ﷺ قال: «وما لم تجدوه في شيءٍ من هذه الوجوه فردّوا إلينا علمه فنحن أولى بذلك، ولا تقولوا فيه بآرائكم، وعليكم بالكفّ والتثبّت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتّى يأتيكم البيان من عندنا»[1].

وفي الحديث: «من دان الله بغير سماع ألزمه التيه إلى الفناء، ومن دانه بسماع من غير الباب الذي أوحى الله إليه فهو مشرك ...»[2] الحديث وقد تقدّم بتمامه.

وثانيهما: أن يقال: كيف ساغ لكم هنا التمسّك بلفظ الأكبر والاستدلال به على الأفضليّة والأعظميّة مع أنّكم فيما يأتي وسّعتم دائرة الاحتمالات فيه، ورجّحتم من

---

١. عيون الأخبار ٢/٢٠.

٢. الكافي ١/٣٧٧، الغيبة للنعماني: ١٣٤.

معانيه غيرها مع اتحاده المادّة واشتراك الجادّة ؟

والجواب : أنّ اللفظ المشترك إذا قامت قرينة على إرادة أحد معانيه وجب تخصيصه به ، ومع الإطلاق والخلوّ منها يحمل على الفرد الأكمل ، وهذا كما يقال أنّ العامّ قد تقوم قرينة على أحد أفراده ، ويصير كالخاصّ في قعر على ذلك الفرد ، وإلّا يحمل على أكمل أفراده ، ولا ريب أنّ لفظة الأكبر في تلك الأخبار قد اكتنفت بالقرائن القبليّة والبعديّة ـ كما ستعرف ـ الدالّة على إرادة معنى خاصّ فلا سبيل للتجاوز عنه بخلاف ما هنا .

وأيضاً لو حملناه على معنى الأفضليّة والأعظميّة في تلك الأخبار لوجب طرحها لمخالفتها للكتاب والسنّة المقطوع بها بخلاف ما لو حملناها على معنى غيرهما ليؤدّي إلى العمل بالدليلين ، ويرتفع التناقض من البين ، فإنّ الجمع أولى من الطرح كما تسمعه مفصّلاً .

فظهر أنّ لمح التخصيص إنّما نشأ من محض التيه والتعويض سيّما في قوله عليه السلام : «وخلّفت فيكم العَلَم الأكبر»[1] بعد ذكر الكتاب ساذجاً ، مع ظهور إرادة الأعظميّة فيه الصارف عن الاشتراك ، وإن صرف الله عنه قلوب الأتراك .

ومنها : الحديث المشهور المعلوم الورود ، وممّن رواه العيّاشي محمّد بن مسعود ، عن مصدّق بن صدقة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : «إنّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب ، عليها يستدير محكم القرآن ، وبها توهب الكتب ويستبين الإيمان ...»[2] الحديث .

---

١. خصائص الأئمّة : ٧٢ ، الصراط المستقيم ٣/١٣٥ .

٢. تفسير العيّاشي ١/٥ .

وسيأتي ما طويناه منه.

وقريب منه قوله عليه السلام: «جميع القرآن في باء بسم الله وأنا النقطة تحت الباء»[١].

ولا ريب أنّ قطب الشيء ملاكه وما به قوامه، الذي لولاه لتداعت أرجائه وعقم إنتاجه، وكسر رواجه. وأنت خبير بأنّ الشيء عدم عند عدم قطبه، وفقيد عند فقد ملاكه بدون العكس، فبين الثقلين بون بعيد لا يعرفه إلّا من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومنها: ما رواه البحار عن الحافظ أبو نعيم بإسناده إلى ابن عبّاس قال: ما أنزل الله سورة في القرآن إلّا كان عليّ عليه السلام أميرها وشريفها[٢].

أقول: إنّما سمّي عليّ عليه السلام بأميرالمؤمنين لأنّه أشرفهم وأعظمهم منزلةً عند الله حيث سمّاه بذلك الاسم في سمائه قبل أرضه، إذ كان هو القائد لهم إلى رضوان الله الأكبر، الذي هو الغاية القصوى من خلقهم، وكذلك يكون عليه السلام أمير كلّ سورة نزلت في القرآن، إذ كان هو القائد لها إلى عقول البشر لاسيّما المؤمنين الذين كمل إيمانهم بالقرآن، ليحصل التعبّد به على طبق إرادة المعبود، وهو عين الغاية القصوى من إنزال القرآن.

ولا ريب أنّ القائد للشيء وأميره الموصل له إلى غايته والمخرج له من طور البعث أجلّ منه وأحقّ بالشرف.

وأيضاً إذا كان عليّ عليه السلام أمير كلّ من كمل فيه الإيمان، وكمال الإيمان منوط بالقرآن ينتج أنّ أميرالمؤمنين أمير القرآن، فإنّ أمير الكلّ أولى بأن يكون أمير

---

١. نور البراهين ٤/٢، ينابيع المودّة ٢١٢/٣.

٢. بحار الأنوار ٣٥٢/٣٥.

الجزء وإلّا لزم تخصيص الإمارة بالقاصرين، وتلك مقالة الحاسدين بل الجاحدين.

وإنّما قال: «وشريفها» لأنّ شرف كلّ سورة منه إنّما يكون بإنزالها أشرف المنازل للقرآن، وقد عرفت سابقاً أنّ أشرف منازل القرآن القلب لأنّه بيت الربّ، وليس لأحد أن ينزّله ذلك المقام إلّا عليّ عليه السلام لأنّه النائب المطلق للنبيّ في كلّ مقام، فكان أميرالمؤمنين عليه السلام هو الذي أفاد القرآن ذلك الشرف بإنزاله إيّاه تلك الغرف التي ليس فوقها غرف.

فكلّما سمعت في شأن الثقلين بأنّ أحدهما أعظم من الآخر، وأفضل من الآخر، وأقدم من الآخر من جميع الأخبار، الصحيح والضعيف فالمراد به الأمير والشريف، ولتكن على ذكر من قوله عليه السلام: «يجري لآخرهم مثل الذي جرى لأوّلهم»[1] وقد تبيّن لكم كيف فعلنا بهم.

ومنها: ما رواه العالم الربّاني السيّد السند هاشم البحراني في تفسيره الكبير نقلاً عن ابن بابويه بإسناده عن مفضّل بن عمر قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل خلق الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمّد صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام فعرضها على السماوات والأرض والجبال، فغشيها نورهم، فقال الله تبارك وتعالى للسماوات والأرض والجبال: هؤلاء أحبّائي وأوليائي وحججي على خلقي وأئمّة بريّتي، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منهم، لهم ولمن تولّاهم خلقت جنّتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري، فمن ادّعى منزلتهم منّي ومحلّهم من عظمتي عذّبته عذاباً لا

---

١. الكافي ١/١٩٧، بصائر الدرجات: ١٩٩.

أُعذّبه أحداً من العالمين، وجعلته مع المشركين في أسفل درك من ناري ...»[١].

والحديث طويل فلنقتصر منه على هذا القدر حذراً من التطويل المفضي إلى الضجر. ودلالته على المدّعى أظهر من أن تحتاج إلى تصوير في الخيال، وكفى الله المؤمنين القتال.

ومنها: ما انتشر واشتهر عن أميرالمؤمنين عليه السلام في مكالمته لسلمان الفارسي وأبي ذر رضي الله عنهما لمّا سألاه عن معرفته عليه السلام بالنورانيّة، فقال عليه السلام: «يا سلمان ويا جندب»، قالا: لبّيك يا أميرالمؤمنين، قال عليه السلام: «معرفتي بالنورانيّة معرفة الله عزّوجلّ، ومعرفة الله معرفتي بالنورانيّة، وهو الدين الخالص الذي قال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[٢] يقول: ما أُمروا إلّا بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وهو الدين المحمّديّة السمحة، ويقيمون الصلاة، فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلاة، وإقامة ولايتي صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان؛ فالملك إذا لم يكن مقرّباً لم يحتمله، والنبيّ إذا لم يكن مرسلاً لم يحتمله، والمؤمن إذا لم يكن ممتحناً لم يحتمله».

قلت: يا أميرالمؤمنين، ومن المؤمن وما نهايته وما حدّه حتّى أعرفه؟ قال عليه السلام: «المؤمن الممتحن هو الذي لا يرد إليه شيء من أمرنا إلّا شرح صدره ولم يشكّ ولم يرتدّ. اعلم يا أباذر، أنا عبد الله عزّ وجلّ وخليفته على عباده، لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنّكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته، فإنّ الله عزّ وجلّ

---

١. معاني الأخبار: ١٠٨.

٢. البيّنة: ٥.

قد أعطانا أكبر وأعظم ما لم يصفه وصفكم ولم يخطر على قلب أحدكم، فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون»[١].

ومنها: قوله عليه السلام في موضع آخر من مكالمته لهما: «يا سلمان ويا جندب، أنا أمير كلّ مؤمن ومؤمنة ممّن مضى ومن بقي، وأُيِّدْتُ بروح العظمة، إنّما أنا عبد من عبيد الله، لا تسمّونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنّكم لن تبلغوا من فضلنا ما جعله الله لنا ولا معشار العشر، لأنّا آيات دلائله وحجج الله وخلفائه، وأُمناء الله وأئمّته، ووجه الله وعين الله ولسان الله، بنا يُعذِّب الله عباده، وبنا يثيب، ومن بين خلقه طهّرنا واختارنا واصطفانا، ولو قال قائل: لم وكيف وفيم؟ لكفر وأشرك لأنّه لا يُسئل عمّا فعل وهم يُسئلون.

يا سلمان ويا جندب، من آمن بما قلت وصدّق بما بيّنت وفسّرت وشرحت وأوضحت ونوّرت وبرهنت فهو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام، وهو عارف مستبصر قد انتهى وبلغ وكمل، ومن شكّ وعند وجحد ووقف وتحيّر فهو مقصّر وناصب»[٢].

ومنها: الحديث المشهور المأثور عن الصادق عليه السلام أنّه قال عليه السلام: «اجعلوا لنا ربّاً نؤوب إليه ثمّ قولوا في فضلنا ما شئتم»[٣].

أقول: قد يظنّ أو يتوهّم من لم ينشرح صدره للإسلام وتحيّر فيما يسمع من فضل الأئمّة عليهم السلام أنّ هذا وأمثاله من مقالة الغلاة المولّين عن سبيل النجاة، وتلك لعمري من أعظم العثرات وأقبح الورطات، إذ الغالي لم يجعل ربّاً لربّه وإلّا لزم

---

١. بحار الأنوار ١/٢٦.

٢. بحار الأنوار ٥/٢٦.

٣. بحار الأنوار ٢٨٣/٢٥.

إقراره بكذبه، فلا تكن من الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

ومن الشواهد على ذلك: أنّ الإمام عليه السلام قد جمع علوم الأوّلين والآخرين بواسطة سيّد المرسلين، وعلم التوراة والإنجيل والزبور، وعلم القرآن، وصحف إبراهيم والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام والصحيفة التي يقال لها: العبيط، ما على العرب أشدّ منها، مع أنّه عليه السلام يزداد في كلّ جمعة علماً، كما علم ذلك من الأخبار الصحيحة، وحينئذٍ يكون كلّ ما في القرآن فهو في الإمام ولا ينعكس كلّيّاً فيكون فضله عليه فضل الكلّ على الجزء.

لا يقال: إنّ الآيات الناطقة والأخبار الصادقة تنادي بأنّ القرآن سيّد الكتب، جامع لكلّ ما كان أو يكون حتّى أنّه ورد في الخبر: «إنّ للقرآن نجوماً وعلى نجومه نجوم»[١]، ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[٢]، «فيه تبيان كلّ شيء»[٣] فلعلّ الجفر والجامعة ممّا يتوصّل بها الإمام إلى معرفة بطون القرآن وغوامض نجومه.

لأنّا نقول: هذا بظاهره مناف لكثير من ظواهر الأخبار المستقيمة المنار كرواية مصحف فاطمة عليها السلام، قال فيها: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: «مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد». قال: قلت: هذا والله العلم[٤].

ورواية الحسين بن أبي العلاء، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ عندي

---

١. مضمون قطعة من رواية طويلة لرسول الله صلى الله عليه وآله في وصف القرآن، وفي أكثر المصادر: «تخوماً وعلى تخومه تخوم».

٢. الأنعام: ٣٨.

٣. دعائم الإسلام ١/٩٢، شرح نهج البلاغة ١/٢٨٨، كشف اليقين: ١٨٩، نهج البلاغة: ٦١.

٤. الكافي ١/٢٣٨، تأويل الآيات: ١٠٨.

الجفر الأبيض»، قال: قلت: وأيّ شيء فيه؟ قال: «زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم، والحلال والحرام ومصحف فاطمة، ما أزعم أنّ فيه قرآناً ...»[١] الحديث.

ويمكن الجمع بأن تخصّ تلك الأخبار المطلقة بكلّ شيءٍ تحتاج إليه الأُمّة كما يفهم من رواية عمر بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: «إنّ الله لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأُمّة إلّا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله»[٢].

أو بكلّ شيءٍ يقع فيه الاختلاف كما يفهم من رواية المعلّى بن خنيس: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله»[٣].

والجواب الحقّ الذي لا معدل عنه أن يقال: المراد بالكتاب المحيط بالأشياء على وجه الإجمال والتفصيل، والقرآن الجامع للتفيل والقطمير هو عليّ أمير المؤمنين كما نطق بذلك الكتاب المبين، وأخبار الأئمّة الطاهرين، ولو لم يكن إلّا قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٤].

ففي الحديث: سُئل عليه السلام عن هذه الآية هي التوراة والإنجيل والقرآن؟ قال: «لا». فأقبل عليّ عليه السلام، فقال: «هذا هو الإمام المبين الذي أحصى الله فيه كلّ شيءٍ»[٥].

وعن عليّ بن إبراهيم بن هاشم عند تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا

---

١. الكافي ١/ ٢٤٠، بصائر الدرجات: ١٥٠.

٢. بحار الأنوار ٨٩/ ٨٤.

٣. الكافي ١/ ٦٠ و٧/ ١٥٨، التهذيب ٩/ ٣٥٧، المحاسن ١/ ٢٦٧، مشكاة الأنوار: ٢٤٩.

٤. يس: ١٢.

٥. الصراط المستقيم ١/ ٢٧٠.

رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[١] بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «الكتاب عليّ لا شكّ فيه»[٢].

وفي موضع آخر: «﴿ حم ﴾[٣] محمّد ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾[٤] أمير المؤمنين عليه السلام، و ﴿ لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾[٥] فاطمة عليها السلام»[٦].

وفي البصائر ومنتخبه: إبراهيم بن هاشم، عن عليّ بن معبد، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته فقلت: قوله: ﴿ الرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾[٧] قال: «إنّ الله علّم القرآن». قال: قلت: ﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[٨]؟ قال: «ذاك أمير المؤمنين عليه السلام علّمه بيان كلّ شيءٍ ممّا يحتاج إليه الناس»[٩].

وعن الصفواني في الإحَن والمحن، عن الكلبي، قال: ﴿ حم ﴾ اسم من أسماء الله، ﴿ عَسَقَ ﴾ علم عليّ سبق كلّ جماعة وتعالى كلّ فرقة[١٠].

وفي تفسير العيّاشي على في البحار: الحسين بن خالد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿ مَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ

---

١. البقرة: ١ و٢.
٢. بحار الأنوار ٤٠٢/٣٥.
٣. الدخان: ١.
٤. الدخان: ٢.
٥. الدخان: ٣.
٦. بحار الأنوار ٩٨/٢٥.
٧. الرحمن: ١ و٢.
٨. الرحمن: ٣ و٤.
٩. بصائر الدرجات: ٥٠٥.
١٠. المناقب ٢٨/٢.

رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[١] ؟ فقال : «الورق السقط يسقط من بطن أُمّه قبل أن يهلّ الولد» . قال : قلت : «ولا حبّة» ؟ قال : «يعني الولد في بطن أُمّه إذا أهلّ وسقط قبل الولادة» . قال : قلت : قوله : «ولا رطب» ؟ قال : «يعني المضغة إذا سكنت في الرحم» . قال : قلت : قوله : «ولا يابس» ؟ قال : «الولد التامّ» . قال : قلت : «في كتابٍ مبين» ؟ قال : «في إمامٍ مبين»[٢] .

وعن عليّ بن إبراهيم كما في البحار بإسناده إلى أبي السفاتج ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى : ﴿ ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾[٣] ؟ «يعني أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام» . ﴿ قُلْ مَايَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[٤] «يعني في عليّ بن أبي طالب أميرالمؤمنين»[٥] .

والاخبار في هذا المعنى أكثر من أن تحصى .

قال بعض الأفاضل : وإطلاق الكتاب على الإنسان الكامل شائع في عرف أهل الله وخواصّ أوليائه .

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام (شعر) :

«دواءك منك وما تشعر ... وداءك فيك وما تبصر

وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المظهر

وتزعم أنّك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر»

---

١. الأنعام : ٥٩ .

٢. بحار الأنوار ٤/٩٠ .

٣. يونس : ١٥ .

٤. تتمّة الآية ١٥ من سورة يونس .

٥. بحار الأنوار ٩/٢١٣ و٣٦/٧٩ ، تفسير القمّي ١/٣١٠ .

وقال الصادق عليه السلام: «الصورة الإنسانيّة هي أكبر حجّة الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده ...»[١] الحديث.

وفي البحار: روى البختريّ من ستّة طرق، وابن المفضّل من عشرة طرق، وإبراهيم الثقفيّ من أربعة عشر طريقاً، منهم عديّ بن حاتم، والأصبغ بن نباتة، وعلقمة بن قيس، ويحيى بن أُمّ الطويل، وزرّ بن حبيش، وعباية بن ربعي، وعباية بن رفاعة، وأبوالطفيل: أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال بحضرة المهاجرين والأنصار ـ وأشار إلى صدره ـ «وكيف ملأ علماً، سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا ما زقّني رسول الله زقّاً، فاسألوني فإنّ عندي علم الأوّلين والآخرين، أما والله لو ثنّيت لي الوسادة ثمّ جلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم حتّى ينادي كلّ كتاب بأنّ عليّاً حكم في حكم الله»[٢]. وفي روايةٍ: «حتّى ينطق التوراة والإنجيل»[٣]، وفي رواية: «حتّى يزهر التوراة»[٤] وهكذا الباقي.

وأيضاً: القرآن الجامع للعلوم ليس هو الزبر والخطّ ضرورة امتناع قيام العلم بها كيف ما فسّر، وإنّما يقوم بالقلوب والصدور لقوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ

---

١. تفسير الصافي ٩٢/١، تفسير قرآن كريم مصطفى خميني ٣٤٥/٢.

٢. الاحتجاج ٢٥٨/١، الاختصاص: ٢٣٥، إرشاد القلوب ٣٧٤/٢، أمالي الصدوق: ٣٤١، التوحيد: ٣٠٤، روضة الواعظين ١١٨/١، الصراط المستقيم ٢١٧/١، كشف الغمّة ١١٦/١، كشف اليقين: ٥٥، المناقب ٣٨/٢.

٣. روة الواعظين ١١٨/١، مسائل العكبريّة: ١٢٤، مناقب آل أبي طالب ٣١٧/١، الغدير ١٩٤/٦، المناقب للخوارزمي: ٩١.

٤. قد روي في المناقب ٣٨/٢: «حتّى يزهر كلّ كتاب من هذه الكتب».

فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[١].

ولقول النبيّ ﷺ: «ما العلم إلّا ما حواه الصدر»[٢].

فظهر أنّ الاشتباه إنّما وقع من جهة الاشتراك في الاسم.

ومن الشواهد على ذلك: أنّ القرآن غير الزبر والخطّ علم كلّه وفضله لا يخفى، والتصديق القلبيّ المسمّى بالإيمان إسلام كلّه.

وقد ورد في الحديث: «لا شرف إلّا بالإسلام».

وقد جمعهما الله تعالى لعليّ عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ ﴾[٣] فما ظنّك بالزبر والخطّ.

وفي مناقب ابن شهر آشوب كما في البحار، عن سفيان بن جريج، عن عطا، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ ﴾ قال: قد يكون مؤمناً ولا يكون عالماً، فوالله لقد جمع لعليّ كلاهما، العلم والإيمان[٤].

ومن الشواهد على ذلك: أنّ الجنب يحرم عليه الدخول في بيت فيه الإمام بخلاف البيت الذي فيه المصحف الجامع لكلّ آيات القرآن فضلاً عن بعضها.

أمّا الحكم الأوّل فلما رواه صاحب البصائر عن أبي طالب ـ يعني عبدالله بن الصلت ـ عن بكر بن محمّد قال: خرجنا من المدينة نريد منزل أبي عبدالله عليه السلام فلحقنا أبو بصير خارجاً من زقاق ـ وهو جُنُب ـ ونحن لا نعلم حتّى دخلنا على أبي عبدالله عليه السلام، قال: فرفع رأسه إلى أبي بصير فقال: «يابا محمّد، أما تعلم أنّه لا

---

١. العنكبوت: ٤٩.

٢. عوالي اللآلي ١/٢٩٦.

٣. الروم: ٥٦.

٤. المناقب ٢/٢٨.

ينبغي للجنب أن يدخل بيوت الأنبياء ؟» قال : فرجع أبو بصير ودخلنا[١].

وعن المفيد في الإرشاد كما في الوسائل ، عن أبي بصير قال : دخلت المدينة وكان معي جويرية لي فأصبت منها ثمّ خرجت إلى الحمّام ، فلقيت أصحابنا الشيعة وهم متوجّهون إلى أبي عبدالله ، فخشيت أن يفوتني الدخول عليه ، فمشيت معهم حتّى دخلت الدار ، فلمّا مشيت بين يدي أبي عبدالله عليه السلام نظر إليّ ثمّ قال : «يا أبا بصير ، أما علمت أنّ بيوت الأنبياء وأولاد الأنبياء لا يدخلها الجنب ؟» فاستحييت وقلت: إنّي لقيت أصحابنا فخشيت أن يفوتني الدخول معهم ولن أعود إلى مثلها وخرجت»[٢].

وعن عليّ بن عيسى في كشف الغمّة من كتاب الدلائل لعبدالله بن جعفر الحميريّ كما في الوسائل عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام وأنا أُريد أن يعطيني من دلالة الإمامة مثل ما أعطاني أبو جعفر عليه السلام ، فلمّا دخلت ـ وكنت جُنباً ـ قال : «يا أبا محمّد ، ما كان لك فيما كنت فيه شغل ، تدخل وأنت جنب ؟» فقلت : ما عملته إلّا عمداً ، قال : «أولم تؤمن ؟» فقلت : ليطمئنّ قلبي . فقال : «يا أبا محمّد ، قم فاغتسل» ، فقمت واغتسلت وصرت إلى مجلسي ، وقلت عند ذلك : إنّه إمام[٣].

وعن سعيد بن هبة الله الراونديّ في الخرائج والجرائح عن جابر الجعفي ، عن زين العابدين عليه السلام قال : قال : «أقبل أعرابيّ إلى المدينة ليختبر الحسين عليه السلام لما ذكر له من دلائله فلمّا صار بقرب المدينة خضخض ودخل المدينة ، فدخل على

---

١. بصائر الدرجات : ٢٤١ ، دلائل الإمامة : ١٣٧ ، قرب الإسناد : ٢١ .

٢. الإرشاد ١٨٥/٢ ، إعلام الورى : ٢٧٥ .

٣. وسائل الشيعة ٢١١/٢ ، كشف الغمّة ١٨٨/٢ .

الحسين عليه السلام فقال له أبو عبدالله الحسين عليه السلام: أما تستحي يا أعرابيّ أتدخل على إمامك وأنت جنب؟ وقال: أنتم معاشر العرب إذا خليتم خضخضتم، فقال الأعرابيّ: قد بلغت حاجتي فيما جئت فيه، فخرج من عنده واغتسل ورجع إليه فسأله عمّا كان في قلبه»[1].

وعن محمّد بن عمر بن عبدالعزيز الكشيّ في كتاب الرجال كما في الوسائل، عن حمدويه، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن أبي الحسن المكفوف، عن رجل، عن بكير قال: لقيت أبا بصير المرادي فقال: أين تريد؟ فقلت: مولاك، قال: أنا أتّبعك، فمضى فدخلنا عليه وأحدّ النظر إليه وقال: «هكذا تدخل بيوت الأنبياء وأنت جنب؟» فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضبك، وقال: أستغفر الله ولا أعود[2].

قال مؤلّف هذا الكتاب: ليس لأحد أن يقول: إنّ الحديث الأوّل إنّما قال فيه: «لا ينبغي» وهو ليس صريحاً في التحريم، فلعلّ الحكم من المكروهات، لأنّه مناف لظواهر سائر الأخبار لما فيها من الإنكار سيّما الحديث الأخير المنبئ عن غضب الله وغضب وليّه وهو لا يكون إلّا في المحظور، ولفظة «لا ينبغي» كثيراً ما يستعمل في التحريم.

وأمّا الثاني: فلتصريحهم عليهم السلام بالإذن في قرائة الجنب والحائض للقرآن مطلقاً أو ماسوى العزائم الأربع، فما ظنّك بدخول بيت فيه القرآن؟

ففي صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: الحائض والجنب هل

---

١. الخرائج ٢٤٦/١، وسائل الشيعة ١٩٣/٢.

٢. رجال الكشّي: ١٧٠، وسائل الشيعة ٢١٢/٢.

يقرءان من القرآن شيئاً؟ قال: «نعم ما شاء الله إلّا السجدة ويذكران الله على كلّ حال»[١].

وصحيحة عبدالله بن عليّ الحلبيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أتقرأ النفساء والحائض والجنب والرجل يتغوّط القرآن؟ فقال عليه السلام: «يقرؤون ما يشاءوا»[٢].

والأخبار بذلك كثيرة ولا نطول بذكرها، ولو سلّمنا منعهم من قراءته لكن دخولهم بيتاً هو فيه ممّا لا خلاف فيه، وبه يمتاز فضل أحدهم على الآخر.

فإن قيل: الآية والرواية صريحتان في منع المحدث من مسّ القرآن بخلاف مسّ الإمام إذ لم يرد فيه نهي، وقد ورد عنهم عليهم السلام: «كلّ شيء مطلق حتّى يرد فيه نهي»[٣] وذلك يقتضي فضل القرآن على الإمام فكيف التوفيق؟

قلنا: لا نسلّم صراحة الحكم من آية المسّ لأنّها كما تحتمل المسّ الجسمانيّ والطهارة المبيحة للعبادة ولفظة «لا» للنهي كذلك تحتمل المسّ العقلاني والطهارة من الآثام ولفظة «لا» للنفي سواء كان مرجع الضمير الكتاب المشار به إلى اللوح المحفوظ أو القرآن، ويكون وزانه وزان قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[٤] وبذلك يترجّح الثاني على الأوّل.

وأمّا الرواية في هذا الباب وإن تعدّدت إلّا أنّها مشتركة في الضعف المانع من التمسّك بمثلها ولو سلّم فقصاراه الكراهة كما عليه الجماعة، وحينئذٍ يكون دليلاً لنا على منع مسّ الإمام وحرمته فضلاً عن الكراهة لأنّه إذا ثبت كراهة مسّ كتابة

---

١. الاستبصار ١/١١٥، علل الشرائع ١/٢٨٨.

٢. الاستبصار ١/١١٤، وسائل الشيعة ١/٣١٣ و٢/٢١٧.

٣. الفقيه ١/٣١٧، عوالي اللآلي ٣/١٦٦ و٣/٤٦٢.

٤. آل عمران: ٧.

القرآن لأنّه كلام الله فما ظنّك بلسان الله المعبّر عنه، وعينه الناظرة، وأُذنه السامعة، وقلبه الواعي، ووجهه الذي منه يؤتى، ويده المبسوطة في عباده وبلاده كما نطقت بذلك الأخبار الكثيرة الصحيحة والاوثار الصريحة، وسنذكر لك شطراً منها.

وناهيك شاهداً على ذلك بالحديث النبويّ ﷺ: «عليّ ممسوس في ذات الله»[١] ومعناه محسوس في ذات الله تعالى، فمن أحسّ بذات الله فقد أحسّ بعليّ، ومن أحسّ بعليّ فقد أحسّ بذات الله تعالى.

وقد جاء في الحديث: «لا يعرف الله إلّا أنا وأنت، ولا يعرفني إلّا الله وأنت، ولا يعرفك إلّا الله وأنا»[٢].

ولعلّه ﷺ أشار بذلك إلى أنّ ما تأدّى إلى حسّه من برودة اليد التي أحسّ بها عند وصوله قاب قوسين، وغلبة الحرارة الغريزيّة عليه هو بعينه ما تأدّى إليه من قدم عليّ عليه السلام لمّا صعد كتفه لتكسير الأصنام كما قال حسّان:

والنبيّ المصطفى قال لنا ... ليلة المعراج لمّا صعده

وضع الله بكتفي يده ... فأحسّ القلب أن قد برده

وعليّ واضع أقدامه ... في محلّ وضع الله يده

أو هو إشارة إلى أنّ ما تأدّى إلى حاسّة سمعه من الصوت الإلهيّ عند رفع الحجاب هو بعينه ما تأدّى إليها من صوت عليّ عليه السلام وقت الخطاب.

ومِن ثمّ قال عليه السلام: «أنت يا ربّ تخاطبني أم عليّ»[٣].

---

١. المناقب ٣/٢٢١ و٣/٢٨٤.

٢. تأويل الآيات: ١٤٥ و٢٢٧.

٣. الصراط المستقيم ١/٢٠٧.

وعنه عليه السلام إنّه قال: «يا سلمان ويا جندب، إنّ معرفتي بالنورانيّة معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي»[١].

فإذا كان عليّ عليه السلام بهذه المثابة كيف يصحّ مسّه ممّن لا يكون له أهليّة القيام بين يدي الله، مضافاً إلى قوله عليه السلام مشيراً للعترة: «أنزلوهم بأحسن منازل القرآن»[٢]، وقد علمت أنّها منازل الإجلال والإعظام. فظهر أنّ إنكار ورود النهي إنّما نشأ من قصر الباع وعدم السماع، وحبّ الشناع ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[٣].

ومن الشواهد على ذلك: ما صحّ وثبت أنّ الدعاء والمسألة من ربّ الأرباب سيّما ممّن كشف لهم الغطاء والحجاب أفضل من تلاوة الكتاب، ولا ريب أنّ الصلاة على محمّد وآله أفضل من الدعاء أضعافاً مضاعفة لأنّها توجب القربة والمشافهة.

ففي صحيحة معاوية بن عمّار، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: رجلين افتتحا الصلاة فتلا هذا القرآن فكانت تلاوته أكثر من دعائه، ودعا هذا فكان دعائه أكثر من تلاوته، ثمّ انصرفا في ساعة واحدة أيّهما أفضل؟ قال: «كلّ فيه فضل، كلّ حسن». قلت: إنّي قد علمت أنّ كلّاً حسن وأنّ كلّاً فيه فضل. فقال: «الدعاء، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٤] هي والله أفضل، أليست هي العبادة؟ هي والله

---

١. بحار الأنوار ١/٢٦.

٢. نهج البلاغة: ١١٩، شرح نهج البلاغة ٦/٣٧٢.

٣. الصفّ: ٨.

٤. غافر: ٦٠.

العبادة، أليست هي أشدّهنّ؟ هي والله أشدّهنّ، هي والله أشدّهنّ»[١].

وأمّا أنّ الصلاة على محمّد وآله أفضل من الدعاء فالأخبار به عند أهل الخبرة أكثر من أن تحصى:

ومن ذلك ما رواه في الكافي بسند صحيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كلّ دعاء يدعى الله عزّ وجلّ به فهو محجوب عن السماء حتّى يصلّى على محمّد وآل محمّد»[٢].

وفي حسنة محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: «ما في الميزان أثقل من الصلاة على محمّد وآل محمّد، وإنّ الرجل لتوضع أعماله في ميزانه فيميل به فيخرج صلى الله عليه وآله الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح»[٣].

وما ذاك إلّا للعلاوة من محمّد وآله على القرآن الموجود في التلاوة كما يشهد به السّليم من الغباوة، فما ظنّك بالموجود في النقوش.

ومنها ما رواه في الكافي بإسناده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٤]؟ فقال: «رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر وعليّ الهادي، يا أبا محمّد، هل من هاد اليوم؟» قلت: بلى جعلت فداك، ما زال منكم هادٍ بعد هادٍ حتّى دفعت إليك. فقال: «رحمك الله يا أبا محمّد، لو كانت إذا نزلت آية على رجل ثمّ مات ذلك الرجل مات الآية مات الكتاب، ولكنّه حيّ يجري فيمن بقي كما جرى في من مضى»[٥].

---

١. التهذيب ٢/١٠٤، عدّة الداعي: ٤١، فلاح السائل: ٣٠.

٢. الكافي ٢/٢٩٣، وسائل الشيعة ٧/٩٢.

٣. الكافي ٢/٤٩٤، عدة الداعي: ١٦٥.

٤. الرعد: ٧.

٥. الكافي ١/١٩١، تأويل الآيات: ٢٣٦.

قال الفاضل الكاشي في بيان هذا الحديث: يعني أنّ كلّ آية من الكتاب لابدّ أن يقوم تفسيرها والعلم بتأويلها بقيّم عالم راسخ في العلم حيّ، فلو لم يكن في كلّ زمان هاد عالم بالآيات لفقد المنفعة بها فمات الكتاب، ولكنّ الكتاب لا يجوز موته لأنّه الحجّة على الناس، انتهى.

وأنت خبير بأنّه إذا كان حياة الكتاب متوقّفة على حياة الهادي كان فضل الهادي على الكتاب فضل واهب الحياة لذي الحياة، فالكتاب بدون الهادي لا يسمن ولا يغني.

ومنها: ما رواه في الكافي في آخر الروضة في خطبة لأميرالمؤمنين عليه السلام، بإسناده عن محمّد بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه قال: خطب أميرالمؤمنين عليه السلام.. ورواه غيره بغير هذا الإسناد، وذكر أنّه خطب بذي قار، فحمد الله وأطنى عليه ـ إلى أن قال عليه السلام ـ: «وأهل الكتاب في ذلك الزمان في الناس، وليسوا فيهم، ومعهم وليسوا معهم، وذلك لأنّ الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا، وقد اجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة وقد ولّوا أمرهم وأمر دينهم من يعمل فيهم بالمنكر والنكر والرشاد والقتل كأنّهم أئمّة الكتاب، وليس الكتاب إمامهم، لم يبق عندهم من الحقّ إلّا اسمه، ولم يعرفوا من الكتاب إلّا خطّه وزبره»[1].

وهذا صريح في أنّ مجرّد الخطّ والزبر لا يسمن ولا يغني، وأنّ الحجّة البالغة إنّما هي معانيه المستنيرة بانعكاس أشعّة صدور الذين أُوتوا العلم عليها وهي بعينها خلقهم عليهم السلام لا ينفكّ أحدهم عن الآخر. وفي إضافة الخطّ والزبر إلى ضمير الكتاب شهادة واضحة على صدق سلب الكتاب عن المضاف فيهما تحقيقاً للإضافة

---

١. الكافي ٣٨٦/٨، نهج البلاغة: ٢٠٤.

لوجوب المغايرة بين المضاف والمضاف إليه، وامتناع إضافة الشيء إلى نفسه.

وأيضاً لو كان الخطّ هو الكتاب لزم من معرفة أحدهما معرفة الآخر فيكون الذمّ ضائعاً في اللوم لاغياً، وحينئذٍ كيف يتصوّر من ذوي الأحلام الركون إلى القول بتفضيل ما ليس بكتاب على من زهر مصباح الكتاب بسبب كونه في صدورهم وتمّ بدره بتاميّة علومهم او على آحاد المؤمنين بعد أن ورد: «إنّ من حفظ القرآن وهو شابّ اختلط القرآن بلحمه ودمه»[١]؛ فظهر أنّ الزبر والخطّ لا يقاس بالوصيّ قطّ.

ومنها: ما رواه في الكافي عن العدّة، عن محمّد بن عبدالله، عن عبدالوهّاب بن بشير، عن موسى بن قادم، عن سليمان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٢] قال: «إنّ الله تعالى أعظم وأعزّ وأجلّ وأمنع من أن يظلم ولكن خلطنا بنفسه، وجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته حيث يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[٣] يعني الأئمّة منّا»[٤].

ومنها: ما رواه في الكافي عن العدّة، عن أحمد، عن البزنطيّ، عن محمّد بن حمران، عن أسود بن سعيد، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأنشأ يقول ابتداءاً منه من غير أن أسأله: «نحن حجّة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه

---

١. الكافي ٦٠٣/٢، أعلام الدين: ١٠١.

٢. البقرة: ٥٧، الأعراف: ١٦٠.

٣. المائدة: ٥٥.

٤. الكافي ١٤٦/١.

الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده»[١].

وفي الكتاب المذكور بإسناده إلى البزنطيّ، عن حسّان الجمّال، عن هاشم بن أبي عمّار الجبنيّ، قال: سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: «أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا جنب الله، وأنا باب الله»[٢].

وفيه أيضاً بالإسناد عن الهيثم بن عبدالله، عن مروان بن صباح قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه في عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يؤتى منه، وبابه الذي يدلّ عليه، وخزّانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء، وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبِد الله، ولولا نحن ما عُبِد الله»[٣].

والأخبار في هذا المعنى لا تكاد تحصى، وإنّما اقتصرنا على النقل من الكتاب المذكور لعدم الريب فيه بين أُولي الألباب، ولو لم يكن فيها إلّا كونهم لسان الله عزّوجلّ، فإنّ الخطّ والزبر إنّما هو أثر من آثار اليد واللسان، فيكون فضلهم على ذلك فضل العين على الأثر فما ظنّك بالوجه والعين.

ومنها: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله حثّ على التمسّك بالعترة بالانفراد وأكّده في عدّة من الأخبار المتكرّرة في مجالس متعدّدة لا تكاد تحيط بها دائرة الإحصاء، ولم ينصّ على التمسّك بالكتاب وحده إلّا في أخبار نادرة وأحاديث شاذّة، وهو ممّا ينادي بزيادة الاهتمام بهم عليهم السلام دونه مع أنّهما صاحبان مؤتلفان،

---

١. الكافي ١/١٤٥، بصائر الدرجات: ٦١، الخرائج ١/٢٨٧.

٢. الكافي ١/١٤٥، بصائر الدرجات: ٦١، المناقب ٢/٣٨٥.

٣. الكافي ١/١٤٤.

ورفيقان متّفقان.

ومنها: اختصاصهم بشرف السبق للتحلّي بحلية الوجود على كلّ من قعد على موائد الجود، فما ظنّك بهذه النقوش المرتسمة بالعود، وليكن هـذا كـالختام لهـذا المقصد والمقام.

المقصد الثاني

في أدلّة صاحب الرسالة على أفضليّة الكتاب على الوصيّ والجوابات عنها على سبيل التفصيل

قال صاحب الرسالة:

الفصل الأوّل

قال أبوالحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي طابت مثاويهم في أوّل ديباجة تفسيره المشهور بيننا وبين الجمهور في ذكر مقام شرافة القرآن وجلاله خطره وعظمة قدره: قال رسول الله ﷺ في حجّة الوداع في مسجد الخيف: «وإنّي فرطكم، وإنّكم واردون عليّ الحوض؛ حوض عرضه مابين بصرى وصنعاء، فيه قدحان من فضّة عدد النجوم، ألا وإنّي سائلكم عن الثقلين». قالوا: يا رسول الله، وما الثقلان؟ قال: «كتاب الله الثقل الأكبر طرف بيد الله، وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به لن تضلّوا ولن تزلّوا، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كإصبعيّ هاتين، وجمع بين سبّابتيه، ولا أقول كهاتين: وجمع سبّابتيه والوسطى، فتفضل هذه على هذه».

أقول: التمسّك بهذا الخبر والاستدلال به على هذا المطلب الخطير في غاية العدول عن الاستقامة:

أمّا أوّلاً: فلأنّه من المراسيل التي لا توجب علماً ولا تثمر ظنّاً.

وأمّا ثانياً: فلظهور آثار الوضع على موضع الحاجة منه أعني وصف الكتاب بالأكبر والعترة بالأصغر، لأنّ الحديث بعينه مذكور في أُصول الكافي بدونها.

ولا ريب أنّ ما في ذلك الكتاب أقرب إلى الصواب وصورته فيه هكذا:

عليّ بن إبراهيم، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر، عن عمر الثمانيّ، عن بن أُذينة، عن أبان بن أبي عيّاش، عن سليم بن قيس ـ إلى أن قال: ـ قال رسول الله ﷺ في آخر خطبة يوم قبض الله إليه: «إنّي تركت فيكم أمرين لن تضلّوا بعدي ما إن تمسّكتم بهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

وهذا هو الموافق لأكثر الأخبار الواردة في الثقلين، فلعلّ الزيادة فيه وفي غيره من المفتريات.

ويؤيّده أنّ الحديث قائل بأنّ هذا الكلام منه ﷺ كان في حجّة الوداع، والذي وقفنا عليه ممّا تضمّن حجّة الوداع عدّة من الأخبار، وليس في شيء منها أثر لها ولا إلمام بها.

فمنها: ما رواه ابن بابويه في الغيبة على ما في تفسير العالم الربّانيّ السيّد هاشم البحرانيّ بالإسناد عن أبي المقدام، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام قال: أتيت جابر بن عبدالله فقلت له: أخبرني عن حجّة الوداع، فذكر حديثاً طويلاً ثمّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا من بعدي: كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي» ثمّ قال: «أشهد ثلاثاً»، وهو كما ترى.

ومنها: حديث سليم بن قيس، عن عليّ عليه السلام: «إنّ الذي قال رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ، ويوم عرفة، وفي حجّة الوداع، ويوم قبض في آخر خطبة حين قال: تركت فيكم أمرين لن تضلّوا إن تمسّكتم بهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنّ

اللطيف الخبير عهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين الإصبعين ...» الحديث.

وفي كتاب الاحتجاج: قال عليه السلام: «أُشهدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قام خطيباً لم يخطب بعد فقال: أيّها الناس، إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فتمسّكوا بهما لن تضلّوا ...» الحديث.

وهذا كلّه ممّا ينادي على صحّة الإدخال في ذلك الحديث، ولكنّ الله سبحانه جعل على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ باطل علامة، وناهيك شاهداً على ذلك بقوله في حديث سليم بن قيس: «إنّ الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله .. إلى آخره».

في هذه المواضع الثلاثة كذا وكذا حيث أتى بحرف التأكيد ولفظ الموصول الدالّ على حصر كلام الرسول فيما قال لاغيره، يعرف ذلك من له أدنى مسكة بأساليب الكلام.

ثمّ إنّ في قوله عليه السلام في آخر خطبة خطبها في الحديث اللاحق، وقوله في الخبرين السابقين لم يخطب بعد، شهادة واضحة على أنّ تلك الزيادة إن وجدت في بعض الأخبار فهي إمّا حديث مفترى أو منسوخه بما طرئ، للقطع بصحّة النسخ في الأحاديث النبويّة.

ومع هذا فلفظ الأكبر والأصغر لا صراحة فيهما على المطلوب.

نعم، لقائل أن يقول: في الحديث دلالة على تساويهما في الشرف لقوله: «كهاتين ولا أقول كهاتين فتفضل هذه على هذه» ولو أُريد بالتساوي التساوي في الورود على الحوض فهي بعد شاهد بذلك، إذ التساوي في السبق يوم السباق مجيء أحدهما مع الآخر الساق بالساق يدلّ على المساواة في الفضل بالاتفاق، إلّا أنّه معارض بما تقدّم من الآيات والأخبار.

قال صاحب الرسالة:

ثمّ قال القمّي قدّس الله روحه: «فالقرآن عظيم قدره، جليل خطره، بيّن ذكره، من تمسّك به هدي، ومن تولّى عنه ضلّ وزلّ» إلى آخر ما أفاده زيد قدره هناك، وهذا منه زيد أجره صريح في أنّه كان معتقداً بذلك ومتديّناً به حيث فرّع عظمة قدره وجلالة خطره على كونه أكبر الثقلين من غير نكير ولا تأويل، إلى آخره.

أقول: الناظر بعين البصيرة في ديباجة الكتاب المذكور يجدها برية من الدلالة على ذلك فضلاً عن التصريح فإنّ الظاهر من العبارة أنّ عظمة القرآن متفرّعة على قوله قبيل ذلك: «تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الحلال من الحرام» وقوله: «فيه علم ما مضى وعلم ما يأتي» لظهور أنّ عظمة القرآن ناشئة ممّا اشتمل عليه هو كما هو المتبادر لا من حيث أنّه أكبر الثقلين الذي هو أمر عرضيّ، إذ الرجل أجلّ شأناً من أن يخفى عليه مزايا القرآن حتّى يحتاج إلى أن يفرّع عظمته على أمر خارج عنه، وما ذاك إلّا خروج عمّا بالذات إلى ما بالعرض؛ فظهر أنّ مآل ادّعاء التصريح إلى التفضيح، ولو أبدله بالتلويح لكان أسلم.

قال صاحب الرسالة:

وروى طاب رمسه ـ يعني القمّي ـ في سورة آل عمران بإسناده المتّصل إلى أبي ذرّ رضي الله عنه قال: لمّا نزلت كريمة: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ترد عَلَيّ أُمّتي يوم القيامة على خمس رايات: فراية مع عجل هذه الأُمّة فأسألهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فحرّفناه ونبذناه وراء ظهورنا، وأمّا الأصغر فعادياه وأبغضناه وظلمناه، فأقول: ردّوا النار مظمئين مسودّة وجوهكم.

ثمّ ترد عليّ راية مع فرعون هذه الأُمّة، فأقول: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟

فيقولون: أمّا الأكبر فحرّفناه ومزّقناه وخالفناه، وأمّا الأصغر فعادیناه وقاتلناه، فأقول: ردّوا النار ظمآءً مظمئين مسودّة وجوهكم.

ثمّ ترد عليّ راية مع سامريّ هذه الأُمّة، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فعصيناه وتركناه، وأمّا الأصغر فخذلناه وضيّعناه، فأقول: ردّوا النار ظمآء مظمئين مسودّة وجوهكم.

ثمّ ترد عليّ رايه ذي الثدية مع أوّل الخوارج وآخرهم، فأسألهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فمزّقناه وبرئنا منه، وأمّا الأصغر فقاتلناه وقتلنا، فأقول لهم: ردّوا النار ظمآء مظمئين مسودّة وجوهكم.

ثمّ ترد عليّ راية إمام المتّقين وسيّد المرسلين وقائد الغرّ المحجّلين، ووصيّ رسول ربّ العالمين، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فاتّبعنا وأطعنا، وأمّا الأصغر فأجبنا ووالينا ونصرنا حتّى أُهريقت فيه دماءنا، فأقول: ردّوا الجنّة رواء مرويّين مبيضّة وجوهكم».

أقول: الواقف على الحقائق، والمخلّي طبعه عن العوائق يقطع بأنّ مدار استدلال صاحب الرسالة على مدّعاه على مجرّد وصف الكتاب بالأكبر، والعترة بالأصغر كيف كان، ومِن ثَمّ تراه يتفكّه بذكرهما ولم يتفكّر في مأخذهما وموردهما، فهما وإن تكرّرا في هذا الحديث إلّا أنّ مثلهما كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد، كيف لا وأغلبهما نقل لمقالة المارقين وكلمة المنافقين التي استقرّت عليها أوهامهم الفاسدة وآراءهم الكاسدة، وتمكّنت في خلدهم حتّى خرجوا من الدنيا ولم يجدوا عنها مصرفاً، إلّا أنّ الغريق يتلبّث [يتشبّث] بالحشيش.

وإنّما لم يواجههم النبيّ ﷺ على ذلك بالعتاب لأنّهم قد حقّت عليهم كلمة

العذاب، ومِن ثَمّ لم يعاتبهم على الإقرار بالتحريف والتمزيق والقتل مع انسداد باب الإرشاد.

فظهر بطلان ما دار في خَلد بعض القاصرين مِن أنّ سكوت النبيّ ﷺ كان تقريراً لهم.

وأمّا الفرقة المحقّة فظاهر أنّهم لم يأتوا بأجمعهم بتلك العبارة، وإنّما صدر من طائفة منهم ليسوا من أهل الفكر والنظر لضعف قوى استعداداتهم عن إدراك الحقائق مع ما راج عندهم من تلبيس أهل الباطل، فأعذرهم النبيّ ﷺ في ذلك، وأمّا سائر طوائفهم فلم يعبّروا بتلك العبارة لا بالصّريح ولا بالإشارة، وما كان جوابهم إلّا أن قالوا عند السؤال عن الثقلين: «حملنا كتاب ربّنا، وحلّلنا حلاله وحرّمنا حرامه، وأجبنا ذرّيّة نبيّنا محمّد ﷺ» الحديث، وسيأتي بتمامه.

وناهيك شاهداً على ذلك بما رواه الصدوق في أماليه على ما في البحار، بإسناده عن محمّد بن سنان، عن المفضّل، عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله أوحى إلى الدنيا أن اتعبي من خدمك واخدمي من رفضك ـ إلى أن قال: ـ ثمّ اذكروا وقوفكم بين يدي الله جلّ جلاله فإنّه الحكم العدل، واستعدّوا لجوابه إذا سألكم فإنّه لابدّ يسألكم عمّا عملتم بالثقلين من بعدي: كتاب الله وعترتي، فانظروا أن لا تقولوا: أمّا الكتاب فغيّرنا وحرّفنا، وأمّا العترة ففارقنا وقتلنا، فعند ذلك لا يكون جزاءكم إلّا النار»[1].

أقول: كلّ من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد يشهد بأنّ هذا إرشاد منه ﷺ للعباد وتعليمهم التعبير بلفظ العترة والكتاب، دون الأكبر والأصغر إلّا من تولّى

---

١. أمالي الصدوق: ٢٧٩، بحار الأنوار ٩٩/٣٨.

وكفر، وما على الرسول إلّا البلاغ والأداء، ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾[١].

قال صاحب الرسالة:

وفي خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام مذكورة في نهج البلاغة بعد الخطبة المسمّاة بالغرّاء: «فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون، وأعذروا من لا حجّة لكم عليه وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر، وركزت فيكم راية الإيمان»[٢].

أقول: السالم من داء جهله، الساعي بقدمه عقله إذا وقف على الخطبة المشتملة على هذا الكلام وسائر ما فيها من الوعظ، يشهد له الوجدان بأنّ الناقل عرّف بعضه وأعرض عن بعض، فأتى بما يظنّه إليه، وترك ما يكون عليه، وليت شعري ما الذي حداه على ذلك، والولوج في ضيق المسالك، فالموجود قبيل ما نقله هنا أن قال عليه السلام: «فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم، وهم أزمّة الحقّ، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورد الهيم العطاش. أيّها الناس، خذوها من خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله إنّه يموت من يموت منّا وليس بميّت، ويبلى وليس ببالٍ، فلا تقولوا بما لا تعرفون ...»[٣] إلى آخر ما ذكره الناقل، وفيه من الشهادة على أفضليّتهم عليهم السلام على الكتاب ما لا يخفى. وقد تقدّم منّا مشروحاً فلا نعيده.

---

١. فصّلت: ١٧.

٢. أعلام الدين: ١٢٧، شرح نهج البلاغة ٣٧٢/٦، نهج البلاغة: ١١٩.

٣. أعلام الدين: ١٢٧.

وأمّا الجواب عمّا ذكره هنا فمن وجوه:

أحدها: أنّ دلالة هذا الكلام منه عليه السلام على المدّعى بالاستقلال في حيّز المنع لخلوّه من ذكر الكتاب والعترة، اللهمّ إلّا أن ينضمّ إليه من تلك الأخبار المنهدمة المنار ما يكون كالقرينة على تعيين الموصوف.

وثانيها: أنّ هذا الكلام منه عليه السلام لعلّه وقع على سبيل الملاينة والمماشاة للقوم لئلّا يميلوا عنه كلّ الميل، فإنّ التحريف في الحديث وقع في الصدر الأوّل، وتمكّن في الصدور فرط تمكّن، وأنت تعلم بعدم فرط تمكّنه عليه السلام من الأمر أيّام خلافته، لقوله عليه السلام: «لو استوت قدماي من هذه المداحض لغيّرت أشياء»[1].

وقوله عليه السلام: «لقد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين ناقضين لعهده، مغيّرين لسنّته، ولو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرّق عنّي جندي حتّى أبقى وحدي، أو قليل من شيعتي الذي عرفوا فضلي وفرض أمانتي، أرأيتم إن أمرت بمقام إبراهيم فرددته إلى الموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام، ورددت صاع رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان، وأمضيت قطائع اقتطعها رسول الله صلى الله عليه وآله لأقوام لم يمض لهم ولم تنفذ، ورددت قضايا من الجور قضي بها، ونزعت نساء تحت رجال بغير حقّ فرددتهنّ إلى أزواجهنّ، واستقبلت بهنّ الحكم ...»[2].

ثمّ إنّه عليه السلام ذكر أشياء يعرفها من ناول الأخبار والآثار.

وممّا اشتهر وصحّ عنه عليه السلام أنّه مع من التراويح في شهر رمضان، فارتفع من

---

١. نهج البلاغة: ٥٢٣، غرر الحكم: ١١٩ و٣٤١، شرح نهج البلاغة ١٩/١٦١.

٢. الكافي ٨/٥٨.

سكك الكوفة: وا عمراه.

وقد نقل أنّه عليه السلام سُئل على المنبر ـ وهو يخطب ـ عمّن مات وترك امرأة وأبويه وبنتين، كم نصيب المرأة؟ فقال: «صار ثمنها تسعاً» فسمّيت المسألة بالمنبريّة[١] وهذا لا يتمّ إلّا على طريقة العول[٢] الذي اخترعه الثاني.

وروي أيضاً أنّه سُئل عليه السلام عمّن خلّف ستّمائة دينار، واستحقّت امرأة من الورثة ديناراً واحداً كم كانوا؟ فقال: «بنتان وأُمّ وزوجة واثنا عشر أخاً ذكراً وأُخت»[٣]

---

١. بحار الأنوار ١٥٩/٤٠.

٢. العول هو أن تقصر التركة عن سهام ذوي الفروض، ولا يكون إلّا بدخول أحد الزوجين، وأصله من الجور والميل، يقال: عال في الحكم إذا جار، أو من عال الفقير إذا كثر عياله لكثرة السهام وقلّة الفرض. وقد أجمع الإماميّة على بطلانه، وهو المنقول عن أميرالمؤمنين عليه السلام، لقوله عليه السلام: «إنّ الذي أحصى رمل عالج ليعلم أنّ السهام لا تعول على ستّة لو كانوا يبصرون وجهها لم تجز ستّة» [الكافي ٧٩/٧، علل الشرائع ٥٦٨/٢]. ورواه أيضاً من طريقهم ابن عبّاس. وروى محمّد بن مسلم في الصحيح، والفضيل، عن بريد العجلي، وزرارة بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال،: «السهام لا تعول» [الكافي ٨١/٧، وسائل الشيعة ٧٢/٢٦]. وعن عليّ بن سعيد قال: قلت لزرارة: إنّ بكير بن أعين حدّثني عن أبي جعفر عليه السلام أنّ السهام لا تعول، ولا يكون أكثر من ستّة، فقال: هذا ممّا ليس فيه خلاف بين أصحابنا [الكافي ٨٠/٧، وسائل الشيعة ٧٢/٢٦].

وذهب الجمهور إلى إثباته محتجّين بأُمورٍ، منها الرواية عن عليّ عليه السلام أنّها المعروفة بالمنبريّة كما في الأصل، وأُجيب عنها بالطعن فيم سندها وبمعارضتها لما هو أصحّ منها، مع أنّ راويها أيضاً رواها بنحو يوافق الحقّ، وقيل: المراد بها التهجين ومعناه: صار ثمنها الذي فرضه الله لها تُسعاً، وذلك إشارة إلى بطلان رأي عمر، لأنّ أوّل مسألة وقع فيها العول في عهده، حيث أنّه ماتت امرأة في زمانه عن زوج وأُختين فجمع الصحابة فقال: فرض الله تعالى جدّه للزوج النصف وللأُختين الثلثين فإن بدأت بالزوج لم يبق للأُختين حقّهما، وإن بدأت بالأُختين لم يبق للزوج حقّه، فأشيروا عليّ، فاستقرّ رأيهم على العول، ثمّ أظهر ابن عبّاس الخلاف وبالغ فيه. (منه)

٣. الصراط المستقيم ٢٢٠/١.

فسمّيت المسألة بالدينارية، وهذا لا يتمّ إلّا على طريقة التعصيب[١]، كلّ ذلك لتألّف قلوب القوم واستجلابه لهم لحاجته إلى تكاثر العساكر لإماتة المناكر.

وثالثها: أنّ لفظة الأكبر ليست صريحة في الأفضليّة بل هي من الألفاظ المشتركة، ومقابلته بالأصغر قرينة واضحة على عدم إرادتها، وسنوقفك ـ إن شاء الله ـ على حقيقة الاشتراك وانسلاخها عن الدلالة التي توهّمها الأتراك لقصور الإدراك، وانقلابها عليهم وقتلهم بها تصديقاً للحديث والمثل: «المرء مقتول بما قتل به؛ إن سيفاً فسيفاً، وإن خنجراً فخنجراً» فلا تكن من القانطين.

قال صاحب الرسالة:

وفي حديث سليم بن قيس الطويل المشهور، فقال عليّ عليه السلام: «إنّ الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ، ويوم عرفة في حجّة الوداع، ويوم قبض في آخر خطبة خطبها حين قال: تركت فيكم أمرين لن تضلّوا إن تمسّكتم بهما: كتاب الله وأهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير عهد إليّ أنّهما لم يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين الإصبعين، أحدهما أقدم من الآخر فتمسّكوا بهما لن تضلّوا ولن تزلّوا، ولا تتقدّموهم ولا تتخلّفوا عنهم ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم ...» الحديث[٢].

---

١. التعصيب ضدّ العول وهو توريث العصبة مع بقيّة الفريضة عن ذي الفروض، وقد قال به الجمهور لما رووه عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ما أبقت في الفريضة فالأولى عصبة ذكر» [التهذيب ٩/ ٢٩٠، فقه القرآن ٢/ ٣٣٢]. والإماميّة مطبقون على منعه لقوله عليه السلام: «المال للأقرب والعصبة في فيه التراب» [الكافي ٧/ ٧٥، التهذيب ٩/ ٢٦٧، الاستبصار ٤/ ١٧٠، متشابه القرآن ٢/ ٢١٧]. والآيات والروايات الكثيرة تشهد به. (منه)

٢. كتاب سليم: ٦٥٤.

أقول: سليم بن قيس هذا هو الهلاليّ الكوفيّ صاحب أميرالمؤمنين عليه السلام وكتابه مشهور إلّا أنّ علامات الوضع عليه لائحة كما ستنبّه عليه في الخاتمة، ومع الإغماض عن ذلك نقول: قد دلّ هذا الحديث على أنّ هذا هو الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه المواطن الثلاثة لقضيّة الحصر، والتصريح يكون ذلك في آخر خطبة خطبها عليه السلام فما وقع من زيادة الأكبر والأصغر في غيره إمّا من الكبائر والصغائر الصادرة من الذين كذبوا على الله ورسوله، وإمّا منسوخة، فالحديث حجّة على صاحب الرسالة لا له كما ظنّه.

وأمّا لفظة القدم فيه فلا تبرّد الغليل ولا تشفي العليل:

أمّا أوّلاً: فلجواز أن يراد بها الأقدم من جهة تمسّك الأُمّة به لظهور تأخّر التمسّك بالعترة عن التمسّك بالكتاب.

وأمّا ثانياً: فلأنّها مجملة غير متعيّنة في أحدهما، بل لعلّ في قوله عليه السلام «فلا تتقدّموهم» إشارة إلى أنّهم أهل القدمة على الإطلاق فيعمّ الكتاب، فجميع ما بعد الفاء التفريعيّة متفرّع على أقدميّتهم على الكتاب.

وفي الاحتجاج نقل هذه الرواية بعينها، إلّا أنّه قال: «أحدهما قدّام الآخر» وهو أظهر في المقصود، فكان النهي وقع عن التقدّم على المتقدّم منهما.

ويؤيّده قول عليّ عليه السلام: «فلا يتقدّمني أحد إلّا أحمد»[1]، وقوله عليه السلام: «المتقدّم بين يديه كالمتقدّم على الله ورسوله، والمتفضّل عليه كالمتفضّل على رسول الله»[2].

وأمّا ثالثاً: فلأنّ المراد بالكتاب ليس إلّا النقوش المسطورة أو الأصوات

---

١. الكافي ١/١٩٧، بصائر الدرجات: ١٩٩ و٢٠٠.

٢. الكافي ١/١٩٧، بصائر الدرجات: ١٩٩.

والحروف وإلّا فالمعاني القائمة بذات الله ليست ممّا تركها النبيّ ﷺ للأُمّة.

ولا ريب أنّ نور خاتم الأنبياء وسيّد الأوصياء أسبق الموجودات بأسرها، وأقدم الكائنات كلّها كما نطقت به الأخبار التي ملأت الخافقين. ولا ريب أنّ السابق بالقعود على مائدة الوجود أشرف عند المعبود. فكيف ما أخذ معنى الأقدميّة فهو مقيم في المحمّديّة والعلويّة. فظهر أنّ توهّم صرف الأقدميّة إلى الكتاب إنّما نشأ من ضيق العطن كما يخفى على الفطن.

قال صاحب الرسالة:

وفي الصافي في المقدّمة الثانية عن العيّاشي، عن الصادق عليه السلام قال: «وقد أمر رسول الله ﷺ أن يقتدى بالقرآن وآل محمّد، وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: إنّي تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر والثقل الأصغر، فأمّا الأكبر فكتاب ربّي، وأمّا الأصغر فعترتي أهل بيتي، فاحفظوني فيهما فلن تضلّوا ما تمسّكتم بهما»[1].

أقول: قد اقتطع صاحب الرسالة هذا الحديث ولم يأت بأوّله لما فيه من مخالفة مطلوبه، ومباينة مرغوبه، ولعلّه تبع فيه صاحب الكتاب المذكور، وكان عليه أن يأخذه من أصله وينظر من بين يديه ومن خلفه ليكون على بصيرة من أمره.

وصورته على ما رواه العيّاشيّ محمّد بن مسعود، عن مصدّق بن صدقة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم القرآن، وبها توهب الكتب ويستبين الإيمان، وقد أمر

---

١ و ٢. تفسير العيّاشي ١/٥.

رسول الله ﷺ ...» إلى آخر ما ذكره[١].

قال في القاموس: القطب مثلّثة وكعنق حديدة تدور عليها الرحى، وبالضمّ نجم تبتني عليه القبلة، وسيّد القوم، وملاك الشيء ومداره. ثمّ قال في باب الكاف: «وملاك الأمر، ويكسر قوامه الذي يملك به، انتهى.

وينبغي القطع بإرادة أحد المعنيين الأخيرين من الحديث، وحينئذٍ يتميّز الحيّ من اللّيّ، ويتبيّن الرشد من الغيّ. فظهر أنّ المراد بالأكبر والأصغر غير ما فهمه صاحب الرسالة، بل ما نرسمه نحن بعدُ لك ـ إن شاء الله ـ والله المستعان.

وأنت خبير بأنّ المتروك من الحديث له مؤيّدات من بين يديه ومن خلفه. وأمّا المذكور منه فمخالف للحديث الذي قبله المنقول عن سليم بن قيس، لأنّ قضيّة حصر القول منه عليه السلام في المذكور هناك تنافي زيادة الوصف بالأكبر والأصغر.

هذا مع أنّه يقول في كلّ منهما في آخر خطبة خطبها، فالتوفيق بينهما مشكل، ولعلّ الأوّل أقرب إلى الصحّة لاعتضاده بالشهرة دون الثاني، وتصديق مصدّق بن صدقة فيما له مؤيّد لا يوجب تصديقه فيما له مخالف، لأنّه من جملة من نصّ عليهم الإمام عليه السلام وسمّاهم بالكلاب الممطورة.

نعم، يمكن الاقتصار على الحكم بزيادة قوله هنا في آخر خطبة خطبها إمّا سهواً أو كذباً ويجعل زيادة الوصف بالأكبر والأصغر منسوخة لا مكذوبة فيهون الكذب من مصدّق بن صدقة، فتأمّل.

قال صاحب الرسالة:

وفي الاحتجاج للطبرسيّ، وكذلك في الوافي في كتاب الحجّة في الخطبة النبويّة في غدير خمّ: «معاشر الناس، إنّ عليّاً والطيّبين من ولده هم الثقل الأصغر والقرآن الثقل الأكبر، وكلّ واحد منهما منبئ عن صاحبه وموافق له، لن يفترقا حتّى يردا

عليّ الحوض، أُمناء الله على خلقه، وحكّامه في أرضه، ألا وقد أدّيت، ألا وقد أبلغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت، ألا وإنّ الله عزّ وجلّ قال وأنا قلت عن الله عزّ وجلّ، ألا وإنّه ليس أميرالمؤمنين غير أخي هذا ولا تحلّ إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره» ثمّ ضرب بيده على عضده فرفعه[1].

أقول: حديث الغدير ممّا علم بالتواتر، فلا يرتاب فيه إلّا المبطلون، والقدر المحقّق منه الذي ملأ الخافقين لا يخفى على كلّ من له عين. لكنّ النزاع في صحّة اشتماله على ذكر الكتاب والعترة ووصفهما بالأكبر والأصغر، وهو شيء دونه خرط القتاد. وكلّ من خاض بحار الأخبار ولاحظها بنور الاعتبار لا يجد لها أثراً في صحيح الآثار.

وهذا الحديث وإن نقله صاحب الوافي إلّا أنّه ذكره في معرض البيان فلا يتوهّم أنّه من كتب الأُصول الأربعة بل الأصل فيه ما في الاحتجاج حيث ذكر الخطبة هناك برمّتها، إلّا أنّ في الطريق عدّة من المجاهيل منهم قيس بن سمعان وابنه [و] صالح بن عقبة وهو كذّاب غالٍ لا يلتفت إليه على ما في الخلاصة: «ليس حديثه بشيء، كذّاب غالٍ كما في (د) و(غض)»، ومحمّد بن عيسى الهمداني.

وممّا يؤكّد التحريف فيه مخالفته لحديث سليم بن قيس المشهور لأنّه هنا يقول: في غدير خمّ، وقد علمت ما قاله رسول الله ﷺ في غدير خمّ في حديث سليم بن قيس، ودلالته على الحصر، وعند التعارض يكون الرجحان والسلامة في حديث سليم لأنّ الكشّيّ روى أحاديثاً تشهد بشكره وصحّة كتابه، وإن كان في الطريق من يتأمّل فيه فلا تغفل.

---

١. الاحتجاج ١/٦١، روضة الواعظين ١/٩٤.

وكيف كان فهو أقرب إلى الصدق من حديث ابن عقبة ومن لا يعرف حاله، ولعلّ هذا هو السرّ في إعراض صاحب الرسالة عن ذكر السند، إلّا أنّ الله تعالى جعل على كلّ حقّ حقيقة وعلى كلّ باطل علامة.

قال صاحب الرسالة:

وفي المجلّد العاشر من كتاب بحار الأنوار في باب إخبار الله تعالى أنبيائه ونبيّنا صلوات الله عليهم بشهادة أبي عبدالله الحسين في حديث يذكر في آخر هذا الباب راوياً عن عبدالله بن يحيى قال:

رحلنا مع عليّ عليه السلام إلى صفّين فلمّا حاذى نينوى نادى: «صبراً يابا عبدالله». فقال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تفيضان ـ إلى أن قال: ـ ثمّ رجع النبيّ صلى الله عليه وآله من سفره مغموماً مهموماً كئيباً حزيناً، فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين وخطب ووعظ الناس، فلمّا فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن، ويده اليسرى على رأس الحسين وقال: اللهمّ إنّ محمّداً عبدك ورسولك وهذان من أطائب عترتي وخيار أرومتي، وأفضل ذرّيّتي ومن أُخلّفهما في أُمّتي، وقد أخبرني جبرئيل أنّ ولدي هذا مقتول بالسمّ والآخر شهيد مضرّج بالدم، اللهمّ فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء، اللهمّ ولا تبارك في قاتله وخاذله، وأصله حرّ نارك واحشره في أسفل درك الجحيم».

قال: «فضجّ الناس بالبكاء والعويل، فقال لهم النبيّ صلى الله عليه وآله: أيّها الناس، أتبكونه ولا تنصرونه؟ اللهمّ فكن أنت له وليّاً وناصراً.

ثمّ قال: يا قوم، إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي وأرومتي، ومزاج مائي وثمرة فؤادي ومهجتي، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ألا وإنّي لا أسألكم

في ذلك إلّا ما أمرني ربّي أن أسألكم عنه، أسألكم عن المودّة في القربى، واحذروا أن تلقوني غداً على الحوض، وقد آذيتم ذرّيّتي وقتلتم أهل بيتي وظلمتموهم.

ألا وإنّه سترد عليّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأُمّة: الأُولى راية سوداء مظلمة قد فزعت منها الملائكة، فتقف عليّ، فأقول لهم: من أنتم؟ فينسون ذكري ويقولون: نحن أهل التوحيد من العرب، فأقول لهم: أنا أحمد نبيّ العرب والعجم، فيقولون: نحن من أُمّتك، فأقول: كيف خلّفتموني من بعدي في أهل بيتي وعترتي وكتاب ربّي؟ فيقولون: أمّا الكتاب فضيّعناه، وأمّا عترتك فحرصنا أن نبيدهم عن جديد الأرض، فلمّا أسمع ذلك منهم أعرض عنهم وجهي، فيصدرون عطاشاً مسودّة وجوههم.

ثمّ ترد عليّ راية أُخرى أشدّ سواداً من الأُولى، فأقول لهم: كيف خلّفتموني في الثقلين: كتاب الله وعترتي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فخالفناه، وأمّا الأصغر فمزّقناه كلّ ممزّق، فأقول: إليكم عنّي، فيصدرون عطاشاً مسودّة وجوههم.

ثمّ ترد عليّ راية تلمع وجوههم نوراً، فأقول لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى من أُمّة محمّد ﷺ، ونحن بقيّة أهل الحق، حملنا كتاب ربّنا، وحلّلنا حلاله، وحرّمنا حرامه، وأجبنا ذرّيّه نبيّنا محمّد ﷺ ونصرناهم من كلّ ما نصرنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم من ناواهم، فأقول لهم: ابشروا فأنا نبيّكم محمّد ﷺ ولقد كنتم في الدنيا كما قلتم»[1].

أقول: السائر بنور الحقّ يطّلع هنا على سيرة الناقل بنقله لهذا الكلام العريض، مستدلّاً به على مدّعاه المريض، ويظهر منه أنّه باذل جهده، مستفرغ وسعه،

---

١. بحار الأنوار ٢٤٧/٤٤.

ومقصر طرفه على مشاهدة لفظ الأكبر والأصغر، ثاني عطفه من غير نظر إلى ما بين يديه ومن خلفه، فمتى لاح له منها لامع سراب عدّه من الشراب، حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً، إلّا أنّ الغريق يتلبّث [يتشبّث] بالحشيش.

والحاصل أنّ من تأمّل في ما أتى به من هذا التطويل بلا طائل لم يجد فيه ما يوجب الالتفات إليه والإقبال عليه سوى حكاية مقالة أشدّ المارقين وشرّ المنافقين، كما يعلم ذلك من قوله عليه السلام في شأن رايتهم: «أشدّ سواداً من الأُولى» وأمّا أهل الراية الأُولى فحيث كانوا أدنى منهم نفاقاً لكونهم على ذكر من التوحيد فلم يأتوا بتلك العبارة المحتملة للتزوير بل وافقوا كلام النبيّ صلى الله عليه وآله ونطقه بالكتاب والعترة، وكذلك الطائفة الفائزة بالبشارة لم تتأتّ من ألسنتهم تلك العبارة، على أنّ الموصوف بالأكبر والأصغر فيهما غير مذكور، بل جاز أن يكون الموصوف بالأصغر الكتاب بقرينة التمزيق فلا أقلّ من الاحتمال المبطل للاستدلال.

وممّا يقضي منه العجب اعتذار صاحب الرسالة عن نقله الخطبة برأسها وعدم اقتصاره على موضع الحاجة للتنبيه على تعدّد المجلس.

وأنا أقول: الحمد للّه الذي جعل على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ باطل علامة، وقد يخطر بالبال أنّ هذا الحديث وحديث الرايات الخمس، المتقدّم منشأ لزيادة الوصفين المذكورين في سائر الأخبار المشتملة عليهما عمداً أو سهواً أو مداراة.

قال صاحب الرسالة:

وقال صاحب بحار الأنوار ـ حشره الله مع أئمّته الأطهار ـ في كتابه الفارسيّ المسمّى بـ«حقّ اليقين»:

المقصد السادس في بيان الأحاديث المتواترة من الجانبين الدالّة على إمامة عليّ عليه السلام وخلافته وفضيلته وجلالته، وفيه فصول: الأوّل ـ في حديث الغدير ـ

ونقل أقوالاً كثيرة في إثبات تواتره ـ إلى أن قال: ـ قال رسول الله ﷺ في منى في مسجد الخيف بعد حمد الله وثنائه: «أيّها الناس، إنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، وهو كتاب الله طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به، والأصغر منهما عترتي أهل بيتي».

ثمّ قال: فجمع طائفة من المنافقين وقالوا: إنّ محمّداً يريد أن يجعل الإمامة في أهل بيتيه، فخرج منهم أربعة دخلوا الكعبة وكتبوا كتاباً... إلى آخر ما نقله هناك[1] وهو مشهور، ثمّ نقل ما في الاحتجاج كما سبق، وما في طرق المخالفين المخالفين كما سيأتي، ولم يأوّله بوجه وهو من أئمّة الأخبار والملقّب بخادم أحاديث الأخيار، سلام الله عليهم ما اختلف الليل والنهار.

أقول: لا يخفى على من له حظّ من الحلّ والربط ما في هذا الكلام من الخلط والخبط، لأنّ الحديث المتواتر من الجانبين في ذلك الشأن الذي سارت به الركبان وسدّ الأسماع والأذهان إنّما هو حديث الغدير، وهو المكان المستغني عن التحديد والبيان، والقصّة فيه أوسع من أن تحيط بأخبارها الأقلام، وأمّا حديث مسجد الخيف فمن ادّعى التواتر فيه فقد ضيّع اللّبن في الصيف، والعجب ليس من صاحب الرسالة ولكن من صاحب البحار.

أمّا أوّلا: فلأنّه بصدد ذكر الأحاديث المتواترة من الجانبين.

وأمّا ثانياً: فلأنّه بصدد ذكر حديث الغدير وهذا الحديث مجرّد عن الوصفين كما يعرفه من له عين، وقد تكرّر في الأخبار النصّ على خلافة عليّ عليه السلام في مواضع معيّنة كنصّه عليه السلام عليه تحت الشجرة في بيعة الرضوان، ونصّه عليه في بيت أُمّ سلمة

---

١. الإقبال: ٤٥٤، تفسير القمّي ١/١٧٣.

ومسجد الخيف وغير ذلك، إلّا أنّه لم يدّع أحد التواتر فيها، فظهر الميل والحيف بالتعرّض لمسجد الخيف، بل إنّ حديثه مخالف لأكثر أحاديث الغدير كما لا يخفى على سليم المزاج، وتشهد له رواية الاحتجاج حيث قال فيها:

فلمّا وقف ـ يعني النبيّ صلى الله عليه وآله ـ بالموقف، أتاه جبرئيل عليه السلام عن الله تعالى فقال: يا محمّد، إنّ الله يقرئك السلام ويقول لك: إنّه قد دنا أجلك ومدّتك، وأنا مستقدمك على ما لا بدّ منه ولا عنه محيص، فاعهد عهدك وقدّم وصيّتك واعمد إلى ما عندك من علامات الأنبياء عليهم السلام فسلّمها إلى وصيّك وخليفتك من بعدك، حجّتي البالغة على خلقي، عليّ بن أبي طالب، فأقمه للنّاس عَلَماً.

إلى أن قال: فخشي رسول الله صلى الله عليه وآله قومه، وأهل النفاق والشقاق أن يتفرّقوا ويرجعوا جاهليّةً، لما عرف من عداوتهم ولما تنطوي عليه أنفسهم لعليّ عليه السلام من البغضاء، وسأل جبرئيل أن يسأل ربّه العصمة من الناس، وانتظر أن يأتيه جبرئيل بالعصمة من الناس من الله جلّ اسمه، فأخّر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف، فأتاه جبرئيل فأمره بأن يعهد عهده، ويقيم عليّاً للناس ولم يأته بالعصمة من الله جلّ جلاله، بالذي أراد، حتّى بلغ كراع الغميم بين مكّة والمدينة، فأتاه جبرئيل عليه السلام وأمره بالذي أتاه فيه ولم يأته بالعصمة، فقال: يا جبرئيل، إنّي أخشى قومي أن يكذّبوني ولم يقبلوا قولي في عليّ عليه السلام، فرحل. فلمّا بلغ غدير خمّ قبل الجحفة بثلاثه أميال أتاه جبرئيل على خمس ساعات من النهار بالزجر والانتهار والعصمة من الناس، فقال: يا محمّد، إنّ الله عزّ وجلّ يقرئك السلام ويقول لك: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ

مِنَ النَّاسِ ﴾[١] ... إلى آخر الحديث[٢]. وهو بظاهره مخالف للحديث المذكور مع أنّ الظاهر من عبارة حقّ اليقين أنّه من مراسيل العامّة كما يعرف من تأمّل عامّة كلامه هناك. وكيف كان فلا يخلو من السقم والاعوجاج بخلاف ما في الاحتجاج.

وأمّا الكلام مع صاحب الرسالة فإن شئت أن تطّلع على خائنة منه فعليك بالتامّل في قوله: «ولم يأوّله بوجه» إلى آخره لظهور أنّ غرضه ترويج دعواه حيث أنّ مثل هذا الشخص قائلاً بها لجموده على الظاهر من هذا الخبر من غير تعرّض لتأويله، وأنت خبير بأنّ هذا مبنيّ على دعويين:

أحدهما: أنّ الظاهر من لفظ الأكبر عند هذا الشخص الأفضل.

والأُخرى: أنّ الظاهر عنده من لفظ الكتاب الرسوم والنقوش.

وكلاهما ممنوعتان:

أمّا الأُولى: فلجواز أن يكون الظاهر عنده من ذلك أحد المعاني التي يأتي ذكرها، ويجعل عدم تعرّضه للتأويل سنداً.

وأمّا الثانية: فلأنّه صرّح في مشكاة الأنوار بأنّ: «المؤمن أشدّ حرمةً من القرآن»[٣] الذي هو عبارة عن هذه النقوش فما ظنّك بالعترة، وهذا لا يجامع القول بأنّ الظاهر من الكتاب النقوش مع كون الظاهر من الأكبر الأفضل، بل إمّا يجعل الظاهر من الكتاب غير الحروف والأصوات وغير النقوش، ويحمل الأكبر على الأفضل، أو يجعل الظاهر من الكتاب النقوش والحروف، ويحمل الأكبر على غير الأفضل كالأطول وغيره.

---

١. المائدة: ٦٧.

٢. روضة الواعظين ١/ ٩٠.

٣. قد روي في بحار الأنوار ٧/ ٣٢٣: المؤمن أعظم حرمة من الكعبة والقرآن.

قال صاحب الرسالة:

وفي عيون الأخبار في باب آخر فيما جاء عنه عليه السلام من الأخبار المجموعة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كأنّي قد دُعيت فأجبت، وإنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تبارك وتعالى حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[1].

أقول: الاستدلال بمثل هذا الحديث على هذا المطلب الخطير لا يخلو من خطر:

أمّا أوّلاً: فلاشتمال طريقه على عدّة من الضعفاء منهم أحمد بن عامر بن سلمويه الطائي البصري والظاهر أنّه من رواة العامّة، ومثله عليّ بن محمّد بن مردويه وغيره.

وأمّا ثانياً: فلأنّ لفظ الأكبر فيه غير متعيّنة في إرادة الأفضليّة، سلّمنا لكن تقديم ذكر الكتاب لا يدلّ على انصرافها إليه وإن احتمل ذلك بقرينة اتصافه بها في بعض الأخبار، ولكنّه لسى بأولى من انصرافها للعترة مع اتصافهم بها في عدّة من الأخبار نحو: «نحن الحرم الأكبر»[2]، وقوله عليه السلام: «وتركت فيكم العَلَم الأكبر وهو عليّ بن أبي طالب»[3]، وقوله عليه السلام: «وعليّ بن أبي طالب أفضل لكم من كتاب الله»[4]، مع أنّ هذه الأخبار أصحّ إسناداً وأوفق بالكتاب والسنّة، وموافقة تلك الأخبار العامّة، وقد عرفت أنّه عند التعارض يكون الحقّ في خلافهم، فكلّ ما طرق [قرع] سمعك من هذا القبيل فهو مقلوب على الخصم لا كما ظنّه فهمه العليل.

---

١. عيون الأخبار ٢/ ٣٠، كمال الدين ١/ ٢٣٤ و٢٣٨.

٢. قد روي في بصائر الدرجات: ٤١٣: حرمات الله، كتاب الله وعترتي والكعبة.

٣. خصائص الأئمّة: ٧٢.

٤. إرشاد القلوب ٢/ ٣٧٨.

قال صاحب الرسالة:

وفي معاني الأخبار للصدوق عليه الرحمة في باب معنى الثقلين، وكذلك في إكمال الدين في اتصال الوصيّة، بإسناده المتّصل إلى أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم أمرين، أحدهما أطول من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، طرف بيد الله وطرف بيد عترتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» فقلت لأبي سعيد: من عترته؟ قال: أهل بيته[1].

أقول: الكلام عليه كالكلام على سابقه سنداً ودلالةً، لأنّ في طريقه عطيّة العوفي وهو غير معروف الحال، وأمّا أبي سعيد الخدريّ فهو من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام إلّا أنّهم لم ينصّوا على توثيقه بل ولا جرحه.

وأنت خبير بأنّ فهم الفضل من لفظ الأصول لا يخلو من قصور، بل لعلّ الظاهر منه مصاحبته لجميع الأزمان والأوقات وعدم اختصاصه بزمان دون زمان، لأنّ حلال محمّد حلال وحرامه حرام إلى يوم القيامة، ويدلّ عليه حديث إبراهيم بن عبّاس: ما بال القرآن لم يزدد عند النشر والدرس إلّا غضاضة؟ فقال: «إنّ الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كلّ زمان جديد وعند كلّ يوم غضّ إلى يوم القيامة»[2].

ومن سؤالات أسقف نجران لعمر بن الخطّاب وعجزه عن ذلك وأمره عليّاً عليه السلام بالجواب عنها، قال الأسقف: أخبرني يا عمر عن شيء في أيدي أهل الدنيا يشبه بثمار أهل الجنّة؟ فقال: سل الفتى، فقال عليّ عليه السلام: «أنا أُجيبك عنها، هو القرآن

---

١. كمال الدين ٢٣٦/١ و٢٣٧، معاني الأخبار: ٩٠.

٢. أعلام الدين: ٢١١، أمالي الطوسي: ٥٨٠، عيون الأخبار ٨٧/٢.

يجتمعون أهل الدنيا فيأخذون منه حاجتهم ولا ينقص منه شيءٌ وكذلك أثمار الجنّة»[١].

ثمّ إنّه لا يبعد أن يراد بلفظ الأكبر في غير هذا الحديث الكائن صفة للكتاب الأصول، ويكون هذا الخبر كالقرينة المعيّنة لأحد معاني المشترك، وتسلم آيات الله وما يوافقها من تلك الأخبار الصحيحة الصريحة عن المعارض وإن كان آية المعارض سفيهاً أو ضعيفاً.

قال صاحب الرسالة:

وفي إكمال الدين بأسانيد متعدّدة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي مقبوض وأُوشك أن أُدعى فأُجيب وقد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أفضل من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[٢].

أقول: أحاديث الثقلين وإن ملأت الخافقين إلّا أنّه لم يأت فيها وصف أحدهما بالأفضل إلّا في هذا الحديث، وحديث: «وعليّ أفضل لكم من كتاب الله»[٣]، وعلى القاعدة الممهّدة إذا ورد الحكم المطلق ووجد له مقيّد وجب حمل المطلق على ذلك المقيّد أولى وأظهر من تقييد الأفضل المطلق بالأكبر المقيّد لبقائه على الاشتراك، فما ظنّه دليلاً له صار دليلاً عليه من قبيل: «المرء مقتول بما قتل به» ولله الحمد.

---

١. خصائص الأئمّة: ٩٠.

٢. كمال الدين ١/٢٣٥ و٢٣٧.

٣. قد روي في أمالي المفيد: ٩٠: عليّ أفضلكم وفي الدين أفقهكم ولكتاب الله أقرؤكم.

قال صاحب الرسالة:

وفيه أيضاً بأسانيد متعدّدة متّصلة إلى زيد بن أرقم قال: لمّا رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع نزل بغدير خمّ، وأمر بدوحات فقمّمن ثمّ قام فقال: «كأنّي قد دعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

ثمّ قال أيضاً:

وفيه بأسانيد المتّصلة إلى أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي»[1].

أقول: قد أطال المصنّف بما لا طائل تحته بتكرار هذه الأخبار التي لا تزيل الغلّة ولا تشفي العلّة زعماً منه بأنّ الإطلاق في أمثالها محمول على المقيّد الذي اقتصر هو على ذكره، وكأنّه لم يكن على ذكر من تقييد ذلك بالعترة نحو قوله عليه السلام: «وتركت فيكم العَلَم الأكبر وهو عليّ بن أبي طالب»[2] وقولهم عليهم السلام: «نحن الحرم الأكبر»[3] ونحو ذلك ممّا وافق الكتاب، الفارق بين الباطل والصواب.

قال صاحب الرسالة:

وفي مجمع الرجال للفاضل المشهور ملّا عنايت الله المذكور في أواخر باب الثاني، عن الكشّيّ بإسناده المتّصل إلى ثوير بن أبي فاختة في حديث طويل نأخذ

---

١. أمالي الطوسي: ٢٥٥، تأويل الآيات: ٦١٦، سعد السعود: ٢٢٨، صحيفة الرضا عليه السلام: ٥٩، الطرائف ١١٤/١، عيون الأخبار ٣٠/٢، كمال الدين ٢٣٨/١.

٢. خصائص الأئمّة: ٧٢.

٣. قد روي في بصائر الدرجات: ٤١٣: حرمات الله، كتاب الله وعترتي والكعبة.

منه موضع الحاجة، قال: خرجت حاجّاً فصحبني عمر بن درّ القاضي وابن قيس الماصر والصلت بن بهرام وكانوا إذا نزلوا قالوا: نـنظر الآن قـد حـرّرنا أربـعمأة مسألة نسأل أبا جعفر عن ثلاثين كلّ يوم وقد قلّدناك ذلك. فقال ثوير: فـغمّني ذلك.

وساق الحديث إلى أن قال: قال أبو جعفر صلوات الله عليهما: «يـابن درّ، ألا تحدّثنا ببعض ما سقط إليكم من حديثنا؟» قال: بلى يابن رسول الله، قال: قـال رسول الله: «إنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كـتاب الله وأهـل بيتي، إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا». فقال أبو جعفر: «يابن درّ، فإذا لقـيت رسـول الله ﷺ فقال: ما خلّفتني في الثقلين؟ ماذا تقول له؟» قال: فبكى ابن درّ حتّى رأيت دموعه تسيل على خدّيه ثمّ قال: أمّا الأكبر فحرّفناه وأمّا الأصغر فقتلناه. فقال أبو جعفر: «إذن تصدّقه يابن درّ، والله لا تزول قدم يوم القيامة حتّى تُسئل عن ثلاثة: عن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكـتسبه وفـيما أنـفقه، وعـن حـبّنا أهـل البيت»[1].

أقول: ماكان في هذا الإطناب من كلام النبيّ ﷺ فلا تخصيص فيه، وماكان فيه من تخصيص فليس من كلام النبيّ ﷺ والإمام، بل من كلام عمر بن درّ وهو من قضاة العامّة، ومن لم يوف بحقّ الثقلين كيف يرجى منه الوفاء بحسن تسميتهما حتّى يكون كلامه حجّة في هـذا المـطلب الخـطير، إلّا أنّ الغـريق يـتلبّث [يـتشبّث] بالحشيش، فصحّ ما في الحديث: «حبّك للشيء يعمي ويصمّ»[2].

---

١. رجال الكشّيّ: ٢١٩.

٢. الفقيه ٤/ ٣٨٠، عوالي اللآلي ١/ ١٢٤ و ٢٩٠.

قال صاحب الرسالة:

وفي جامع الأخبار في الفصل التاسع والعشرين في فضيلة القرآن وقرائته، قال عليه السلام: «القرآن أفضل شيء دون الله؛ فمن وقّر القرآن فقد وقّر الله، ومن لم يوقّر القرآن فقد استخفّ بحرمة الله، وحرمة الله على القرآن كحرمة الوالد على ولده»[١].

أقول: الاستدلال بمثل هذا الحديث على هذا المطلب الخطير في غاية الميل عن الطريق المنير:

أمّا أوّلاً: فلشهادة الثقات عليه بالضعف، وعدم وثوق الجماعة بمأخذه، والخصم لا ينكر ذلك.

وأمّا ثانياً: فلأنّه مخالف للآيات القرآنيّة وقد سمعتها، وقد علمت أنّ كلّما خالف كتاب الله فهو زخرف.

وأمّا ثالثاً: فلمخالفته للسنّة المقطوع بها، ولو لم يكن إلّا رواية ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكلينيّ في الكافي التي قال فيها: «المتقدّم بين يديه كالمتقدّم بين يدي الله ورسوله، والمتفضّل عليه كالمتفضّل على رسول الله» ونحوها من الروايات السالفة.

وأمّا رابعاً: فلأنّه بعمومه قائل بانحطاط درجة سيّد المرسلين محمّد صلى الله عليه وآله عن القرآن، وهو معلوم البطلان، ولو لم يكن إلّا من قوله عليه السلام: «أنا أوّل قادم على العزيز الجبّار، ثمّ يقدم عليّ كتاب ربّي ...»[٢] الحديث، وفي الحديث: «ما خلق الله خلقاً أفضل من محمّد، ولا خلق خلقاً بعد محمّد صلى الله عليه وآله أفضل من عليّ»[٣] وسيأتي الكلام

---

١. جامع الأخبار: ٤٠ و٤٢.

٢. بحار الأنوار ٢٦٥/٧، بصائر الدرجات: ٤١٢.

٣. الاختصاص: ١٨.

في ذلك مفصّلاً.

وهذا كلّه مبنيّ على تقدير قرائة دون بالضمّ والتخفيف من قبيل «ليس فيما دون خمسة أوساق صدقة»[١] أمّا لو قرئ بالفتح والتشديد من دوّن الكتاب إذا ألّفه وأنشأه وجمعه كان معناه إخبارٌ بأنّ القرآن أفضل الكتب السماويّة، وهو حقّ لا مرية فيه إلّا أنّه غير نافع للخصم، ولو أبدله بحديث مكحول عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أوليس كتاب ربّي أفضل الأشياء بعد الله والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لئن لم تجمعه بإتقانٍ لم يجمع أبداً»[٢] لكان أنفع لو كان به خبيراً، إلّا أنّ رواية مكحول وهو مجهول لفظاً ومعنًى.

والجواب الحاسم لمادّة الاشتباه أن يقال على تقدير قرائة الضمّ والتخفيف في الأوّل يكون كالثاني في أنّ دلالتهما على وجه العموم إلّا أنّ المقصد غير معلوم لأنّ لفظ الشيء والأشياء وإن كان الأصل فيهما ذلك إلّا أنّهما قد يستعملان في عرف أئمّة الإسلام فيما سوى محمّد وعترته كما في الحديث: «لن يزل الله متفرّداً بوحدانيّته ثمّ خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق جميع الأشياء»[٣]، وقد سمعت بأنّه يجري لآخرهم مثل الذي جرى لأوّلهم.

سلّمنا أنّهما مستعملان على الأصل، لكن لا نسلّم الاستصحاب كيف وقد حكموا بأنّه ما من عامّ إلّا وقد خصّ، والمخصّص قد بلغ في الظهور إلى حدّ الغنى عن الرسم في السطور، ولو لم يكن إلّا أنّهم عين الله الناظرة ولسانه المعبّر عنه ووجهه الذي منه يؤتى، وأُذنه السامعة وقلبه الواعي وجنبه ويده المبسوطة في

---

١. المسائل الصاغانيّة: ١٢٤، عوالي اللآلي ٢/٢٣١، مستدرك الوسائل ٧/٨٧.

٢. الخصال ٢/٥٧٩.

٣. الكافي ١/٤٤١.

بلاده وعباده سيّما عليّ عليه السلام فإنّه على ما سمعت ممسوس في ذات الله بشهادة الحديث النبويّ، ومِن ثَمّ جعلت طاعتهم طاعة الله ومعصيتهم عين معصية الله لقوله تعالى: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّـهَ ﴾[2] ففي الحصر بـ«إنّما» شهادة صريحة بكمال التلازم بين المحبوب والحبيب، وبطلان الانفصال المستلزم للمغيب، وقد علم من شهادة آية المباهلة أنّ الوليّ نفس النبيّ صلى الله عليه وآله فظهر الاستغناء عن الاستثناء بل بذكره يفسد المعنى.

ألا ترى لو قال قائل: قام القوم إلّا زيداً وعينه وبصره ويده وجنبه لنسبه كلّ سامع من الإنس والجِنّة إلى الجُنة، وهذا ممّا ألهمني ربّي وله المنّة.

وفي هذا الباب أخبار يضيق بها نطاق الإحصاء فلنشر منها إلى نزر من غزر وغيض من فيض:

ففي الكافي بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[3] قال: «إنّ الله تعالى أعظم وأعزّ وأجلّ وأمنع من أن يظلم ولكن خلطنا بنفسه، وجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته حيث يقول: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[4] يعني الأئمّة»، ثمّ قال في موضع آخر: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ثمّ ذكر مثله[5].

ولا ريب أنّ المخلوط بالشيء مستثنى باستثناء ذلك الشيء.

---

١. النساء: ٨٠.

٢. الفتح: ١٠.

٣. البقرة: ٥٧، الأعراف: ١٦٠.

٤. المائدة: ٥٥.

٥. الكافي ١/١٦٤.

وعن الصادق عليه السلام: «أوحى الله إلى رسوله: قل لفاطمة: لا تغضبي عليّاً فإنّه إذا غضب غضبت لغضبه»[١].

وفي الكتاب المذكور بإسناده عن حمزة بن بزيع، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[٢] فقال: «إنّ الله تعالى لا يأسف كأسفنا ولكن خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مربوبون فجعل رضاهم رضا نفسه، وسخطهم سخط نفسه لأنّه جعلهم الدعاة إليه والأدلّاء عليه فلذلك صاروا كذلك، وليس ذلك يصل إلى الله كما يصل إلى خلقه لكن هذا معنى ما قال من ذلك، وقد قال: من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها وقال: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[٣] وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[٤] وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء ممّا يشاكل إلى ذلك ...»[٥] الحديث.

قال الفاضل الكاشي في بيانه لهذه الأخبار: اعلم أنّ الوليّ الكامل لمّا قويت ذاته بحيث وسع قلبه وانشرح صدره وصار جالساً في مقام التّمكين على الحدّ المشترك بين الحقّ والخلق غير محتجب بأحدهما عن الآخر، فحينئذٍ كلّما يصدر عنه من الأعمال والأفعال والمجاهدات والمخاصمات وغيرها كان للّه ومن الله وفي الله، وإن غضب كان غضبه بالله وللّه، وإن رضي كان رضاه كذلك، فهكذا جميع ما يفعل أو

---

١. أمالي الطوسي: ٦٦٨، الصراط المستقيم ١/١٧٢.
٢. الزخرف: ٥٥.
٣. النساء: ٨٠.
٤. الفتح: ١٠.
٥. الكافي ١/١٤٤.

ينفعل إلّا أنّ صفات الوجود تختلف بحسب المواطن والمقامات ... ، إلى آخر ما أفاد في كتاب الوافي .

وأنا أقول : الوليّ المكين الأمين إذا جلس في مقام التمكين وقبض على أزمّة التكوين ، ولم يحتجب بالحقّ عن الخلق ولا العكس كان كلّما يعيه فبقلب الله ، وكلّما يبصره فبعين الله ، وكلّما يسمعه فبإذن الله ، وكلّما ينطق فبلسان الله ، وكلّما يزاوله فبيد الله ، يد الله فوق أيديهم وإن كبر ذلك في صدور الذين ينادون من مكان بعيد .

وفي الحديث القدسيّ : «لم يزل عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أكون سمعه الذي يسمع به ، وعينه الذي يبصر بها ، ويده الذي يبطش بها»[١] .

وحديث الشراب المشهور مصرّح بأنّ الواصلين لا فرق بينهم وبين محبوبهم .

وفي الدعاء : «فجعلتهم معادن لكلماتك ، وأركاناً لتوحيدك ـ إلى أن قال : ـ لا فرق بينك وبينها إلّا أنّهم عبادك وخلقك»[٢] .

وفي التوحيد والمحاسن كما في البحار بإسناده عن الهروي قال : قلت لعليّ بن موسى الرضا عليه السلام : يابن رسول الله ، ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث : «إنّ المؤمنين يزورون ربّهم من منازلهم في الجنّة»[٣] ؟

فقال عليه السلام : «يا أبا الصلت ، إنّ الله تبارك وتعالى فضّل نبيّه على جميع خلقه من النبيّين والملائكة ، وجعل طاعته طاعته ومتابعته متابعته ، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته ، فقال عزّوجلّ : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[٤] وقال : ﴿ إِنَّ

---

١. عوالي اللآلي ٤/١٠٣.

٢. الإقبال : ٦٤٦ ، البلد الأمين : ١٧٩ ، مصباح الكفعمي : ٥٢٩ ، مصباح المتهجّد : ٨٠٣.

٣. الاحتجاج ٢/٤٠٨ ، أمالي الصدوق : ٤٦٠ ، التوحيد : ١١٧.

٤. النساء : ٨٠.

﴿الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[١]، وقال النبيّ ﷺ: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله».

إلى أن قال: فقلت له: يابن رسول الله، فما معنى الخبر الذي رووه أنّ ثواب لاإله إلّا الله النظر إلى وجه الله؟ فقال: «يا أبا الصلت، من وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر ولكن وجه الله أنبيائه ورسله وحججه صلوات الله عليهم ...»[٢] الحديث.

فأمّا أخبار العين والوجه واللسان فقد يضيق بحصرها وسع الإنسان.

وفي الكافي بإسناده إلى عليّ بن سويد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام في قول الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾[٣] قال: «جنب الله أميرالمؤمنين وكذلك ما كان بعده من الأوصياء بالمكان الرفيع إلى أن ينتهي الأمر إلى آخرهم»[٤].

وفي البحار: روي عن الباقر عليه السلام أنّه قال: «معنى جنب الله أنّه ليس شيءٌ أقرب إلى الله من رسوله، ولا أقرب من رسوله من وصيّه فهو في القرب كالجنب، وقد بيّن الله تعالى ذلك في كتابه بقوله: ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ يعني في ولاية أوليائه»[٥].

أقول: في هذا كلّه وأمثاله شهادة واضحة على بطلان الفصل بين الله وصفوته من بريّته فلا تكن من المرتابين، فمن ادّعى الفصل بشيءٍ ولو بالقرآن فعليه البيان

---

١. الفتح: ١٠.
٢. الاحتجاج ٢/٤٠٨، أمالي الصدوق: ٤٦٠، التوحيد: ١١٧، عيون الأخبار ١/١١٥.
٣. الزمر: ٥٦.
٤. الكافي ١/١٤٥، بصائر الدرجات: ٦٤.
٥. بحار الأنوار ٤/٩.

بواضح البرهان.

وأمّا قوله: «وحرمة القرآن على الله كحرمة الوالد على ولده»[١] فبعد صحّة الخبر لا يدلّ على أنّه أقرب الأشياء كلّها حتّى من كان بمنزلة الجنب والعين والسمع بل هو مشعر بالانفصال لمكان الولادة كما أنّ أخبارنا مصرّحة بنهاية الاتصال لمكان الجنبيّة، وللّه الحمد.

والمراد بتوقير القرآن إمّا إنزاله أشرف منازله وهو كناية عن التعظيم والتكريم القلبيّين كما أشار إليه العالم الربّانيّ الشيخ ميثم البحراني في شرحه لنهج البلاغة، أو عدم التعرّض لتأويله وتفسيره من دون سماع من حملته، أو عدم ملامسته من غير طهارة إن حملنا القرآن فيه على النقوش، ونحن ذلك لا ما ذهب إليه صاحب الرسالة من أنّ المراد به تفضيله على العترة فإنّه من ضيق العطن كما لا يخفى على الفطن. سلّمناه ولكن إثبات إرادة النقوش منه شيءٌ دونه خرط القتاد، بل ظاهر الفساد لأنّا إنّما جوّزنا ذلك في أخبار الثقلين لوجود شائبة من القرآن كما عرفت، وأمّا في هذا الحديث فتجرّده منها شيءٌ ظاهر لا مرية فيه فكان حذفه من الرسالة بالمرّة أقرب إلى السلامة من المعرّة.

قال صاحب الرسالة:

وفي بصائر الدرجات عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا أوّل قادم على الله، ثمّ يقدم عليّ كتاب ربّي، ثمّ يقدم عليّ أهل بيتي، ثمّ تقدم عليّ أُمّتي فيقفون فيسألهم ما فعلتم بكتابي وأهل بيت نبيّكم؟»[٢]

---

١. جامع الأخبار: ٤٠ و٤٦.

٢. بصائر الدرجات: ٤١٢.

أقول: قد جرت عادة هذا الناقل بعدم التعرّض لإسناد ما يورده تعمية للأمر، والناقد لا يخفى عليه الصالح والفاسد فإنّ في طريق هذا الحديث أبو شعيب الحدّاد ولم يأت في الرجال بهذا الوصف وإنّما سمع أبو شعيب المحاملي واسمه صالح بن خالد وهو من أصحاب الكاظم عليه السلام، والموصوف بالحدّاد كما هنا يروي عن الصادق. وبالجملة فجهالة الحدّاد تمنع من العتداد به والاعتماد، ومع هذا فالحديث بظاهره مخالف لكثير من الأخبار الواردة في هذا الباب، إذ اللازم منه خلف العهد من الله تعالى لنبيّه وتخلّف ما سأل النبيّ من ربّه لقوله صلى الله عليه وآله في عدّة من المواضع: «وإنّ اللطيف الخبير عهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين»[1].

وفي خبر آخر: «وأنبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كإصبعيّ هاتين».

وفي خبر آخر: «ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».

وفي موضع آخر: «سألت اللطيف الخبير ...» إلى آخره.

وقد عرفت تكرار الكلام منه عليه السلام بقوله: «كهاتين، ولا أقول كهاتين فتسبق هذه على هذه»[2] أو «فتفضل هذه على هذه».

وكلّ ذا ينادي ببطلان ورودهما مترتّبين، فالأولى حذف هذا الخبر من البين لاختلاله سنداً ومتناً، وقد رام صاحب الرسالة التفصّي عن هذا الإيراد في بعض المراسلات التي جرت بيننا وبينه بحمله هذا الحديث وما يخالفه على تعدّد المواقف، وهو بمراحل عن التوافق.

---

١. الكافي ٢/٤١٤، الاحتجاج ١/١٥٢، كتاب سليم: ٦١٦.

٢. الإقبال: ٤٥٤، تفسير القمّي ١/٣ و١٧٣ و٢/٤٤٦، الغيبة للنعماني: ٤٢.

أمّا أوّلاً: فلأنّ الأخبار الناطقة بالتلازم بين هذين الثقلين منها ما هو مجرّد عن الغاية كقوله عليه السلام: «جعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا»[١]. ومنها ما جعل مغيّاً بغاية هو الورود على الحوض وظاهر أنّها كناية عن عدم الانفكاك مطلقاً فلا منافاة وهو أظهر من حمل المطلق على المقيّد.

وأمّا ثانياً: فبعد تسليم الغاية وتجويز الانفكاك نقول: الموقف الذي فيه الحوض إن جعلناه أوّل المواقف كما يشعر به قوله: «أنا أوّل قادم... إلى آخره» كان مجيء الثقلين وورودهما عليه كالمسبّحتين شيئاً لا مناص عنه، وإن جعلناه وسطها أو آخرها لزم الانفكاك قبل ما فرض غاية له فهو محال فلا مناص من طرح الحديث لشذوذه ومخالفته للأخبار الكثيرة. اللهمّ إلّا أن تجرّد فيه ثمّ عن معنى الترتيب من قبيل: «وعجمة ثمّ جمع ثمّ تركيب».

وتؤيّده الرواية في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا أوّل قادم على العزيز الجبّار وكتابه وأهل بيتي ثمّ أُمّتي»[٢].

ويشهد له عطف أهل البيت على الكتاب عند السؤال عنهما بالواو في حديثهم، وعلى هذا لا دلالة فيه على المدّعى إلّا أن يتلبّث بالتقديم الذّكري، وهو مقلوب عليه بالنظر إلى غير هذا الحديث كما تقدّم منّا ومنه فتذكّر.

قال صاحب الرسالة:

قد وجدت في بعض الكتب المعتمد عليه ناقلاً عن الشيخ عليّ، ـ والعهدة على الناقل ـ أنّه قال: القرآن أفضل من آل محمّد بدليل قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم

---

١. الكافي ١/١٩١، بصائر الدرجات: ٨٣، كمال الدين ١/٢٤٠.

٢. الكافي ٢/٦٠٠.

الثقلين: الأصغر والأكبر، الأكبر كتاب الله، والأصغر عترتي أهل بيتي»[١].

أقول: قد عرفت القدح في الأخبار الناطقة بالوصفين على التعيين والشكّ في دلالتها على هذا الحكم فلا تكن من هذا النقل في شكّ مريب فإنّ الغفلات تعرض للأديب، على أنّ الناقل والمنقول عنه والمنقول منه غير بيّن ولا مبين، فالإعراض عنه متعيّن، وما أحسن ما يقال:

خليليّ قطّاع الفيافي إلى الحمى كثير وإنّ الواصلين قليل

قال صاحب الرسالة:

وفي مسند ابن حنبل،عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول‌الله ﷺ: «إنّي قد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي: الثقلين، وأحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[٢].

أقول: مسند ابن حنبل لا يجوز أن يكون مستنداً عند أهل الحقّ إلّا فيما ينكره أهل الباطل من أخبارنا المحكوم بمضمونها لتكون حجّة عليهم، وأمّا فيما استقرّ رأيهم عليه، أو كانوا أميل إليه فقد أُمرنا بالأخذ بخلافه إذا وجد عندنا ما يخالفه، مع أنّه أقصى ما قال: «أحدهما أكبر من الآخر»، ونحن نقول بموجبه غير أنّ الترتيب في الذكر غير واجب.

ثمّ لا يخفى ما فيه من حسن انسجام لفظ الأكبر على الأثقل كأنّه يقول: الثقلين

---

١. الإقبال: ٤٥٤، بصائر الدرجات: ٤١٤، تفسير العيّاشي ١/ ٤.

٢. أمالي الطوسي: ٢٥٥، تأويل الآيات: ١٢٢ و٦١٦، سعد السعود: ٢٢٨، الصوارم المهرقة: ٣٣٧، الطرائف ١/ ١١٣ و١١٤ و١١٥، العُدّة: ٦٨ و٦٩، كشف الغمّة ١/ ٣٠، كمال الدين ١/ ٢٣٨ و٢٤٠، نهج الحقّ: ٢٢٦.

وأحدهما أثقل من الآخر. يعرف ذلك من له طبع سليم وفهم مستقيم.

قال صاحب الرسالة:

وفي تفسير الثعلبيّ في كريمة: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا** ﴾[١] بأسانيد متعدّدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أيّها الناس، قد تركت فيكم الثقلين إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض ـ أو قال: إلى الأرض ـ وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[٢].

أقول: الحبل كما يطلق في السنّة والكتاب على الكتاب كذلك يطلق فيها كثيراً على أميرالمؤمنين عليه السلام إمّا وحده أو مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسائر العترة سلام الله عليهم، وكيف كان فهو استعارة لما يتوصّل به إلى نيل الرضوان والسلامة من موجب الهوان لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «حبلين ممدودين طرف منهما بيد الله وطرف بأيديكم»[٣].

وعن العيّاشي، عن الباقر عليه السلام: «آل محمّد صلى الله عليه وآله هم حبل الله المتين الذي أمر بالاعتصام به فقال: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا** ﴾».

وعن الكاظم عليه السلام: «عليّ بن أبي طالب عليه السلام حبل الله المتين»[٤].

وفي الأمالي عن الصادق عليه السلام: «نحن الحبل» كذا في الصافي[٥].

وفي الصراط المستقيم: أسند الزمخشري إلى النبيّ صلى الله عليه وآله: «فاطمة مهجة قلبي،

---

١. آل عمران: ١٠٣.

٢. تأويل الآيات: ١٢٢، الطرائف ١/١٢١، العمدة: ٧١، نهج الحق: ٢٢٧.

٣. شرح نهج البلاغة ١٨/٤٣، الغيبة للنعماني: ٢٩.

٤. بحار الأنوار ٣٦/١٥، تفسير العيّاشي ١/١٩٤.

٥. أمالي الطوسي: ٢٧٢، المناقب ٣/٧٥.

وابناهما ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمّة من ولدها أُمناء ربّي، حبل ممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجى، ومن تخلّف عنهم هوى»[١].

وفي كتاب المناقب وغيره بالإسناد إلى سعيد بن جبير، عن عبدالله بن عبّاس قال: كنّا عند رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابيّ فقال: يا رسول الله، صلّى الله عليك، سمعتك تقول: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً ﴾ فما حبل الله الذي نعتصم به؟ فضرب النبيّ ﷺ يده على يد عليّ وقال: «تمسّكوا بهذا فهذا الحبل المتين»[٢].

وفي رواية: فقال له: «يا أعرابيّ، هذا حبل الله فاعتصم به»، فدار الأعرابيّ خلف عليّ واحتضنه وقال: اللهمّ إنّي أُشهدك أنّي قد اعتصمت بحبلك، فقال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة فلينظر إلى هذا»[٣].

والحاصل أنّ تسمية كلّ من الثقلين بالحبل الممدود بين الله وبين خلقه ممّا لا ريبة فيه كما أنّه لا ريبة في كون أحدهما أمتن وأفضل من الآخر، وإنّما الإشكال في تعيين الأمتن والأفضل منهما.

والحديث المذكور بعد تسليم أنّ لفظ الأكبر فيه للشرف غير مشخّص للوصف إلّا من جهة الترتيب الذّكريّ وقد عرفت ما فيه. نعم، يمكن جعل الموصوف بالأكبر فيه وفي أمثاله من الأخبار المجملة العترة بقرينة وصفهم بالأقوم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[٤] لأنّ المراد بالأقوم فيها الإمام لما رواه في المعاني عن السجّاد عليه السلام قال: «الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً، وليست

---

١. الصراط المستقيم ٣٢/٢، الصوارم المهرقة: ٣٣٧، مائة منقبة: ٧٦، نهج الحقّ: ٢٢٧.

٢. تأويل الآيات: ١٢٣، الغيبة للنعماني: ٤١، الفضائل: ١٢٥.

٣. الكافي ٧٦/٨، إرشاد القلوب ٤٠٢/٢، الفضائل: ٧٥، المناقب ٧٦/٣.

٤. الإسراء: ٩.

العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ولذلك لا يكون إلّا منصوصاً»، فقيل له: يابن رسول الله، فما معنى المعصوم؟ فقال: «هو المعتصم بحبل الله وحبل الله هو القرآن، والقرآن يهدي للإمام، وذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾»[١].

فإذا جاء الوصف من الله سبحانه لأحد هذين السببين دون الآخر بالأقوم علم أنّه الأمتن والالفضل لانحصار أسباب التوصّل إليه سبحانه فيهما، ومِن ثَمّ جاز الاستغناء عن ذكر الضمير العائد إلى القرآن حيث لم يقل أقوم منه، مضافاً إلى ما مرّ من الآيات والأخبار، والله تعالى أعلم.

قال صاحب الرسالة:

وفي صحيح الترمذيّ والجمع بين الصحاح الستّة لرزين العبدي، وصحيح أبي داود السجستانيّ وهو كتاب السنن، وفي صحيح مسلم في موضعين، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني في عترتي»[٢].

أقول: هذا أيضاً مع كونه عامّيّاً عامّ لا صراحة فيه بالمدّعى لأنّه كما يحتمل أن يكون الضمير المنفصل فيه راجع إلى لفظة أحدهما الموصوفة بالأعظميّة كذلك يحتمل أن يكون مرجعه لفظة ما الموصوفة أو الموصولة بالجملة الشرطيّة، ويبقى

---

١. معاني الأخبار: ١٣٢.

٢. الطرائف ١/١١٥.

تعيين الأعظم منهما مسكوتاً عنه كسائر الأخبار المجملة المحتاجة إلى التخصيص من خارج نحو قوله عليه السلام: «وعليّ أفضل لكم من كتاب الله»[١] ونحو ذلك.

قال صاحب الرسالة:

وفي مناقب الفقيه أبي الحسن عليّ بن المغازليّ الواسطيّ بإسناده المتّصل إلى زيد بن أرقم قال: أقبل نبيّ الله من مكّة في حجّة الوداع حتّى نزل بغدير خمّ الجحفة بين مكّة والمدينة، فأمر بدوحات فقمّ ما تحتهنّ من شوك، ثمّ نادى الصلاة جامعة، فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم شديد الحرّ حتّى أنّ منّا من يضع ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدّة الحرّ حتّى انتهينا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى بنا الظهر ثمّ انصرف إلينا فقال:

«الحمد لله ...» وذكر الخطبة وطوّلها، قال: فقال: «ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الجنّة حقّ، وتؤمنون بالكتاب كلّه؟» قالوا: بلى. فقال: «أشهد أنّي قد صدّقتكم وصدّقتموني، ألا وإنّي فرطكم وأنّكم تبعي، توشكون أن تردوا عليّ الحوض فأسألكم حين تلقوني عن ثقليّ كيف خلّفتموني فيهما». قال: فاعتلّ علينا ما ندري ما الثقلان حتّى قام رجل من المهاجرين فقال: بأبي أنت وأُمّي يا نبيّ الله، ما الثقلان؟ فقال: «الأكبر منهما كتاب ربّي طرف بيد الله تعالى وطرف بأيديكم فتمسّكوا به لن تزلّوا ولن تضلّوا، والأصغر منهما عترتي ...» وساق الحديث وطوّله إلى أن قال: ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب فرفعها وقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه» قالها ثلاثاً...

---

١. إرشاد القلوب ٢/٣٧٨.

إلى آخر الخطبة[١].

أقول: الحديث عامّيّ والقدر المتواتر منه معلوم، والتخصيص المذكور ممنوع، والسند أنّه في الصحاح مهجور، وفي كثير من غيرها متروك، وكلّ ما اشتمل عليه من الأدلّة مدخول، مع قيام المعارض وقوّة المناقض، على أنّ الرواية قد تكرّرت من راويه أعني زيد بن أرقم مجرّدة عن تلك الزيادة، فذكرها هنا منه خلاف العادة.

ففي كتاب الغيبة للصدوق، عن زيد بن أرقم قال: لمّا رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع بغدير خمّ فأمر بدوحات فقمّ ما تحتهنّ، ثمّ قال: «كأنّي قد دُعيت فأجبت، إنّي تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي ...»[٢] إلى آخر الحديث، وقد تقدّم.

وفي صحيح الترمذي والجمع بين الصحاح الستّة وصحيح أبي داود، وفي صحيح مسلم في موضعين، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ...»[٣] الحديث، وقد تقدّم أيضاً مع الكلام فيه.

ولا ريب أنّ ما في هذه الكتب المشهورة أقرب إلى الطريق الوسطى ممّا تفرّد به الواسطيّ.

وأيضاً تسمعه يقول: «في حجّة الوداع» وقد علمت أنّ ما قاله رسول الله ﷺ

---

١. الطرائف ١/١٤٣، العمدة: ١٠٤.

٢. كمال الدين ١/٢٣٤.

٣. الطرائف ١/١١٥، العمدة: ٧٢، كمال الدين ١/٢٣٨.

هناك خال من تلك الزيادة فراجع، إن كنت سليم المسامع.

قال صاحب الرسالة:

وفي صحيح مسلم في الجزء الرابع منه، وكذلك في الجمع بين الصحيحين للحميديّ، وفي الجمع بين الصحاح الستّة في الجزء الثالث من جمع أبي الحسين رزين العبدي إمام الحرمين، وصحيح أبي داود السجستانيّ، وصحيح الترمذيّ، عن زيد بن حنان، عن زيد بن أرقم ـ في حديث له طول نأخذ منه محلّ الحاجة ـ قال: قالم رسول الله ﷺ يوماً خطيباً بماءٍ يُدعى خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكّر ثمّ قال: «أمّا بعد، أيّها الناس، أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين، أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله العزيز واستمسكوا به» فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ثمّ قال: «وأهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي وكتاب الله فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[1].

أقول: إن كان وجه الاستدلال به بالنظر إلى الترتيب الذّكريّ في أوّل الحديث فهو مقلوب عليه بالنظر إلى آخره فإنّه كما ترى قدّم فيه أهل البيت على الكتاب، وله عدّة من النظائر أيضاً، وإن كان بالنظر إلى التسمية بالأوّل فهو مبنيّ على إرادة السبق بالشرف وهو احتمال ظنّيّ لا يثمر علماً، لم لا يجوز أن يكون المراد به السبق بانقياد الأُمّة إليه، ولعلّه الأظهر لظهور نزول القرآن نجوماً وختم أحكامه بفريضة الولاية التي بها كمل الدين.

ثمّ إنّ هذا آخر ما أورده صاحب الرسالة من الأدلّة على مدّعاه، ولعمري لقد

---

١. الطرائف ١/١١٤ و١٢٢، العمدة: ٦٩ و٩٨ و١٠٢ و١٠٣ و١١٨.

نقر غاية التنقير وجاء بالنقير والقطمير، ومع هذا فقد غابت عنه أشياء لو دارت في خلده أو مرّت على نظره لما رضي بإخلاء تلك الرسالة منها قد أشرنا لها نحن في مطاوي جمعنا هذا مع الجواب عنها.

والحاصل: أنّ سلوك سبيل الإنصاف والتجنّب عن الاعتساف هو أن يقال: إنّ هذين الثقلين أجلّ وأرفع من أن يدرك كنه عظمتها ونفاستها بالنفوس الشهويّة، وشأنها أمنع من أن يتلوّث بالأوهام الظنّيّة، لأنّ أحدهما ممّا تحيّرت أحلام أُولي النُّهى في أُلوهيّته وعبوديّته، والآخر ممّا وقع التحدّي بأقصر سورة منه، وقعدت الفصحاء والبلغاء عن مقاوته ومعارضته، مع أنّهم كانوا أكثر عدداً من رمال الدهناء، وأوفر عدّة من حصى البطحاء، فلا مناص من ردّ ذلك إلى الله ورسوله وأُولي الأمر.

ولمّا أنْ وجّهنا أزمّة الاعتبار إلى الكتاب والسنّة والأخبار المأثورة من الأطهار، وجدناها ناطقة بالانحصار في أربعة أضرب:

الضرب الأوّل منها يدلّ على تساويهما في الشرف كقولهم عليهم السلام: «الإمام يهدي للقرآن والقرآن يهدي للإمام»[1]، وقول النبيّ صلى الله عليه وآله غير مرّة: «يردا عليّ الحوض كهاتين ولا أقول كهاتين فتفضل هذه على هذه»[2] وغير ذلك.

والضرب الثاني منها ما يدلّ على أفضليّة أحدهما على الآخر لكن لا على التعيين، والأخبار به كثيرة، وبها أخذ بعض علمائنا وجعل المسألة من المبهمات من قبيل ليلة القدر والاسم الأعظم وساعة الجمعة، ومنشأه عدم الفحص عن

---

١. الكافي ١/٢١٦، تفسير كنز الدقائق ٢/٤٤٠.

٢. الإقبال: ٤٥٤، تفسير القمّي ١/٣ و١٧٣، الغيبة للنعماني: ٤٢.

المخصّص.

والضرب الثالث منها ما يدلّ على أفضليّة الكتاب على الوصيّ، والأخبار به معدودة وأسانيدها مردودة.

والضرب الرابع منهما ما يدلّ على أفضليّة الوصيّ على الكتاب، وهو الذي نطق به الكتاب وتواترت به السنّة.

والطريق الجامع أن يقال: بعد إمعان النظر في الأوّل يظهر أنّه غير مناف للثاني، لأنّ هداية كلّ إلى الآخر ودلالته عليه، واتفاقهما في الورود لا يستدعي أن لا يكون لأحدهما فضل على الآخر.

ثمّ بعد إمعان النظر في الثاني يظهر أنّه غير مناف للثالث أو الرابع، أمّا على القول بالنسخ فظاهر مع العلم بالتاريخ، وأمّا على غيره فإمّا لظهور الأمر عند السامعين أو لقصد التعمية على بعضهم، أو لأنّ المقام يقتضي الاشتغال بما هو أهمّ من ذلك من بيان كونهما خليفتين ووجوب متابعتهما كيف كان.

وبالجملة لا مناص من ردّ أخبار الثاني إلى أحد الأخيرين لأنّه مطلق وهما مقيّدان، وحمل المطلق على المقيّد شائع ذائع عندهم، ولم يبق إلّا ترجيح أحد المقيّدين على الآخر، وعند اعتبار القواعد والضوابط التي مهّدها الإمام عليه السلام يكون الرجحان للمقيّد الأخير لأنّه أعدل رواةً وأكثر روايةً وأصحّ مأخذاً وأوفق بكتاب الله، وأشهر بين الأصحاب، وأظهر في المخالفة لما عليه القوم، مع أنّنا مأمورون بعدم الأخذ بما هم أميل إليه فضلاً عمّا هم عليه كما وقعت الإشارة إليه سابقاً.

وأمّا المقيّد الأوّل فقد اشتمل على جميع مراتب الضعف، من ضعف الإسناد، ومخالفة الكتاب والسنّة، وموافقة القوم، وضعف المأخذ والشذوذ والنّدور، لأنّ أخبار هذا الباب على ما نقله محمّد بن شهر آشوب عن الهمدانيّ مرويّة بمأتين

وخمسين طريقاً، والمقيّد منها على ذلك النحو لا يزيد على عشرة بل لا يبلغها. وكيف كان فليس في شيء منها ما يدلّ على المدّعى بالصراحة إلّا ما يتوهّم من حديث جامع الأخبار، وقد عرفت ما فيه سنداً ودلالةً، وأمّا ما عداه فأقصى ما فيه أنّ الكتاب أكبر والعترة أصغر، والأكبر كما يستعمل للشرف، فكثيراً ما يستعمل في غيره من المعاني الكثيرة فلا نشتغل بذكر الجميع لظهوره بل نقتصر على ذكر المناسب للمقام منها.

أحدها: أنّه يكون بمعنى الأقدم. قال صاحب النهاية فيه: إنّ رجلاً مات ولم يكن له وارث فقال: ادفعوا ماله إلى أكبر خزاعة أي إلى كبيرهم، وهو أقربهم إلى الجدّ الأعلى، انتهى.

قلت: ويؤيّده رواية سليم بن قيس حيث قال فيها: «أحدهما أقدم من الآخر» فهي مفسّرة لأحاديث الأكبريّة، وقد بيّنّا معنى الأقدميّة المنسلخة عن الأفضليّة، فراجع.

وثانيها: أنّه يكون بمعنى الأكثر فوجاً من قبيل قولهم: الحجّ الأكبر ليوم عرفة في مقابلة الحجّ الأصغر للعمرة، مع أنّ من العمرة ما يكون أفضل من الحجّ كالعمرة في رجب، ومثل الحجّ كالعمرة في شهر رمضان كما جاء في صحيح الأخبار، وما ذاك إلّا لأنّ الجمع الذي يحصل فيها لا يبلغ الجمع الذي يكون في الحجّ. ولا ريب أنّ الجمع الملمّين بالكتاب أضعاف الجمع الملمّين بالإمام ظنّاً لانفكاك أحدهما عن الآخر.

وثالثها: أنّه يكون بمعنى الأشقّ من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى

﴿الْخَاشِعِينَ﴾[١] أي شاقّة، ومنه حديث عذاب القبر «أنّهما ليعذّبان وما يعذّبان في كبير»[٢] معناه على ما في النهاية: أي ليس في أمر يكبر عليهما ويشقّ فعله لو أراداه إلّا أنّه في نفسه غير كبير، وكيف لا يكون كبيراً وهما يعذّبان فيه.

قلت: لا يخفى ما في تناول أحكام الله تعالى من القرآن من المشقّة على العقول ولاأفهام بخلاف أخذها من الإمام وإن كان فيه نوع من المشقّة أيضاً، ومِن ثَمّ سمّيا بالثقلين كما وصف القرآن في الآية بالقول الثقيل.

قال صاحب الوافي: ووجه الثقل فيه إمّا كون أحكامه شاقّة سيّما على رسول‌الله ﷺ فإنّه لابدّ له من أن يعمل به ويأمر ويبلغ ويتحمّل الأذى فيه، وإمّا لأنّه يثقل في الآخرة في ميزان الأعمال العمل به وفهمه وقرائته، وإمّا لأنّه من عند الله العظيم وقول العزيز الحكيم، انتهى.

وفي حديث عليّ بن الفضل البغداديّ قال: سمعت أبا عمرو ـ صاحب أبي العبّاس تغلب ـ يقول: سمعت أبا العبّاس تغلب يسأل عن قوله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين» لم سمّي الثقلين؟ قال: لأنّ التمسّك بهما ثقيل[٣].

أقول: هكذا ينبغي أن يفهم من معنى الثقلين لا ما توهّمه صاحب الرسالة وكتبه لنا في بعض المراسلات التي جرت بيننا وبينه من أنّ «معنى أثقليّة الكتاب هو أنّ التصديق به يستلزم الانقياد إلى النبيّ والإمام، وانقياد بني نوع واحد بعضهم لبعض ممّا يصعب على النفوس ويكبر في الصدور».

وكأنّ هذا الكلام صدر منه من غير رويّة، لأنّه في الحقيقة مقلوب عليه للقطع

---

١. البقرة: ٤٥.

٢. الطرائف ٥٤٧/٢، نهج الحقّ: ٤٥٣.

٣. عيون أخبار الرضا ٥٧/١، كمال الدين ٢٣٦/١، معاني الأخبار: ٩٠.

بأنّ انقياد الإنسان إلى كتاب ربّه كيف كان أسهل عليه من انقياده إلى بني نوعه ابتداءً.

فاللازم على هذا التقدير وصف الكتاب الأصغر والعترة بالأكبر، فثبت صحّة الحديث: «حبّك للشيء يعمي ويصمّ» فلا معنى للثقلين إلّا ما رسمناه ودلّ عليه حديث تغلب.

وحينئذٍ يكون من أهظر القرائن الصارفة من الاشتراك الكائن في الأكبر المعيّنة لكونه بمعنى الأثقل والقرينة البعديّة مقابلته بالأصغر بخلاف ما إذا أُريد به الأفضل إذ المناسب مقابلته بالأدون فمعنى تلك الأحاديث: إنّي تركت فيكم الثقلين، وأحدهما أثقل من الآخر، وهذا ظاهر لا سترة فيه بوجه.

ولك أن تقول: معنى أثقليّة الكتاب زيادة خفاء أحكامه وبُعد غورها عن الأذهان من قبيل قوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1] يعني الساعة خفي علمها على أهل السماوات والأرض، وإذا خفي الشيء ثقل، كذا في مجمع البحرين وهو نصّ في المطلوب.

ورابعها: ما أشار إليه العالم الربّانيّ الشيخ ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة من أنّه إنّما سمّي الكتاب بالأكبر لأنّه أصل ومتّبع.

قلت[2]: هذا أيضاً معنى مستقيم لكنّه لا يستلزم الأفضليّة لأنّ شرف المتبوع على التابع من القضايا المهملة لا الكلّيّة فربّ فرع وتابع أشرف من أصله ومتبوعه وإلّا لزم تفضيل الشّمعة على المستضيء بها ومِن ثَمّ صدر الأمر من الإله الجليل إلى

---

١. الأعراف: ١٨٧.

٢. وإنّما لم يكن هذا وجه مستقلّ لأنّه يؤل إلى ما قبله. (منه)

الحبيب أن يتّبع ملّة الخليل مع ما بينهما من البون البعيد، ومثله متابعة الإمام عليه السلام للمحدّث والمسدّد له مع ظهور فضله عليه، على أنّ الكلام في الزبر والخطّ والإمام لا يتّبعه وإنّما هو تابع لما نزل به الروح الأمين على قلب سيّد العالمين واستودعه سيّد الوصيّين فالزّبر والخطّ تابع وفرع للذي في صدور أهل العلم فلا تغفل.

وخامسها: ما يخطر بالبال من أنّه إنّما سمّي الكتاب بالأكبر نظراً إلى حسن المقابلة بالمقصود الأصليّ من وصف العترة بالأصغر لأنّهم قلب القرآن ولسانه تنويهاً بشرفهم عليه من قبيل قوله عليه السلام: «المرء بأصغريه: عقله ولسانه»[1].

ويؤيّده إدخال النبيّ صلى الله عليه وآله نفسه في الثقل الأصغر كما في رواية كميل في بشارة المصطفى عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «معاشر الناس، أمرني جبرئيل عن الله ربّي وربّكم أنّي أُعلمكم أنّ القرآن هو الثقل الأكبر وإنّي ووصيّي هذا وابناي ومن خلفهم من أصلابهم هو الثقل الأصغر لا الثقل الأكبر، وكلّ واحد منهما ملازم لصاحبه غير مفارق له حتّى يردا إلى الله ليحكم بينهما وبين العباد»[2].

وأنت خبير بما يشعر به هذا الحديث من احتياج الأكبر إلى الأصغر الذي وقع التصريح به في حديث موت الآيات بموت الإمام.

فإن قيل: القرآن المحتاج إلى الدليل والهادي، والمنوطة حياته بحياة قيّمه إنّما هو المعاني التي لا تهتدي إليها عقول آحاد الناس، وليس الكلام فيه لأنّا نتكلّم في النقوش والخطوط التي وقع النهي عن مسّها بغير طهارة، وأُمرنا باحترامها، وهي غنيّة عن ذلك لأنّها شيءٌ تعرفه النساء والصبيان، ومَن ليس لهم نصيب في

---

١. غرر الحكم: ٦٦.

٢. بشارة المصطفى: ٣٠.

الإسلام.

لأنّا نقول: هذا أدحض لحجّتكم وأنفى لكلمتكم إذ لا ريبة لأحد في شرف المعاني على الألفاظ للبون البعيد بين الصادق والمصداق فأين الاسم من المسمّى؟ وأين اللفظ من المعنى؟

ألا ترى أنّ ذوي الأحلام إنّما يتنافسون في تجديد المعاني ويقولون: إنّ الألفاظ ملقاة على المزابل فإذا ثبت الفضل على المعنى ثبت الفضل على لفظه فما ظنّك بزبره وخطّه.

وأيضاً القرآن المنوطة حياته بحياة قيّمه هو أحد الثقلين بعينه الذي لا انفكاك لأحدهما عن الآخر، وكلامكم فيه، فما هذا إلّا هرب عمّا بيّنتم، وبيع لما شريتم.

وأيضاً لو كانت هذه النقوش أشرف من النبيّ والآل الممدوحين على لسان ذي الجلال لزم أن يكون نقش النبيّ والرسول وكلّ ما دلّ عليه منها أشرف من النبيّ، ونقش أهل البيت وكلّ ما دلّ عليهم أفضل من النبيّ واهل البيت، بل النقوش والخطوط المقصود بها أئمّة الكفر كفرعون وهامان وأتباعهم، وبالجملة أُصول الشرّ وفروعه من الفحشاء والمنكر، بل وأسماء القاذورات المزبورة في القرآن أشرف من العترة المشهود عليها من الله تعالى بالتطهير، وهذا عين الكفر والشرك والعياذ بالله، ولو عدلتم عن النقوش وصرتم إلى معانيها كان أشدّ كفراً ونفاقاً، فمن لهج ولم يتأمّل كان الموت خير له من الحياة.

ثمّ إنّه أقصى ما يلزمنا من هذا إذا عكسنا التفضيل، تفضيل النبيّ والعترة على نقش الجلالة لأنّها من القرآن، بل هي أشرف نقوشه، وهذا لا شناعة فيه لأنّ نقش الله غير الله وكلّ شيءٍ غير الله فهو مخلوق لأجل محمّدٍ كما في الحديث القدسيّ: «خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك» بل كلّ أسماء الله تعالى وصفاته مخلوقة

لأجل العباد كما هو معلوم من الأخبار الصحيحة الصريحة كرواية أبي هاشم الجعفريّ عن أبي جعفر عليه السلام في أسماء الله وصفاته حيث قال فيها: «فمعاذ الله أن يكون معه شيءٌ غيره بل كان الله ـ تعالى ذكره ـ ولا خلق ثمّ خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرّعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره ...»[1] الحديث.

وفي الكافي بإسناده عن عبد الأعلى، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «اسم الله غير الله وكلّ شيء وقع عليه اسم شيءٍ فهو مخلوق ما خلا الله، فأمّا ما عبّرته الألسن أو عملت الأيدي فهو مخلوق، والله غاية من غاياته، والمعنى غير الغايه، والغاية موصوفة، وكلّ موصوف مصنوع، وصانع الأشياء غير موصوف بحدّ مسمّى، لا لم يتكوّن فيعرف كينونيّته بصنع غيره، ولم يتناء إلى غاية إلّا كانت غيره، لا يذلّ من فهم هذا الحكم أبداً ولهو التوحيد الخالص فادعوه وصدّقوه وتفهّموه بإذن الله.

من زعم أنه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرك لأنّ حجابه ومثاله وصورته غيره، وإنّما هو واحد موحّد، وكيف يوحّده من زعم أنّه عرفه بغيره وإنّما عرف الله من عرفه بالله، فمن لم يعرفه فليس يعرشه إنّما يعرف غيره، وليس بين الخالق والمخلوق شيء، والله خلق الأشياء لا من شيء كان، والله يسمّى بأسمائه وهو غير أسمائه والأسماء غيره»[2].

قال بعض الأفاضل في شرحه له: اسم الله غير الله، سواء أُريد به اللفظ أو الكتابة أو المفهوم الذي يفتقر في وجوده وتعقّله إلى غيره، وهذا الحكم ظاهر، ما خلا الله أي ما خلا ذاته ومعناه المسمّى بالاسم ما عبّرته الألسن بالتخفيف من

---

١. الكافي ١١٦/١، الاحتجاج ٤٤٢/٢، التوحيد: ١٩٣.

٢. الكافي ١١٣/١، التوحيد: ١٩٢.

العبارة، أشار به إلى الأسماء الملفوظة، أو عملت الأيدي، أشار به إلى الأسماء المكتوبة، انتهى.

وأيضاً هذا الاسم الشريف وسائر أسمائه تعالى من الحروف المقطّعة الهجائيّة كما طرى عليها الحدوث يلحقها الفناء لقوله عليه السلام في آخر الحديث المذكور آنفاً. فإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع.

نعم، قد ينقدح الإشكال على رأي الأشاعرة القائلين بأنّ الاسم عين المسمّى وهو باطل عقلاً ونقلاً لشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة، وشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف. على أنّ الكلام في النقوش وهم إنّما يقولون بذلك في الألفاظ.

أمّا على رأي المعتزلة والإماميّة القائلين بالمغايرة فلا محذور فيه بوجه، والأخبار به كثيرة.

وفي حديث هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن أسماء الله عزّ ذكره واشتقاقها، فقلت: الله ممّا هو مشتقّ؟ فقال: «يا هشام، مشتقّ من إله، وإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمّى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد»[1].

وفي حديث زرارة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ الله تبارك وتعالى خلو من خلقه، وخلقه خلو منه، وكلّ ما وقع عليه اسم شيءٍ ما خلا الله عزّ وجلّ فهو مخلوق، والله خالق كلّ شيءٍ تبارك الذي ليس كمثله شيء، ومن شكّ في أنّ محمّداً

---

١. الكافي ١/٨٧ و١١٤، الاحتجاج ٢/٣٣٣، التوحيد: ٢٢٠.

وآله خيرة الخلق على الإطلاق فهو في معرض التهمة بالنفاق»[١].

وناهيك شاهداً على ذلك بما رواه في الكافي مسنداً إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما جاء به عليّ آخذ به، وما نهى عنه انتهي عنه، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمّد صلى الله عليه وآله، ولمحمّد صلى الله عليه وآله الفضل على جميع ما خلق الله تعالى ...»[٢] الحديث.

وقوله صلى الله عليه وآله: «أظهر الله تبارك وتعالى الإسلام على يدي، وأنزل الفرقان عليّ، وفتح الكعبة على يدي، وفضّلني على جميع خلقه، وجعلني في الدنيا سيّد ولد آدم، وفي الآخرة زين القيامة»[٣].

وقوله جبرئيل عليه السلام: «يا محمّد، قد طُفْتُ الأرض شرقاً وغرباً فلم أجد فيها أكرم منك»[٤].

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «ما خلق الله خلقاً أفضل من محمّد صلى الله عليه وآله، ولا خلق خلقاً بعد محمّد صلى الله عليه وآله أفضل من عليّ عليه السلام»[٥].

ولنختم هذا المقصد بهذا الكلام الناطق بالمرام وإلّا فالأخبار بذلك لا تحيط بها دوائر الأقلام.

---

١. الكافي ١/ ٨٢ و٨٣، التوحيد: ١٠٥.

٢. الكافي ١/ ١٩٦.

٣. الخصال ٢/ ٤١٣.

٤. شرح نهج البلاغة ٧/ ٦٣.

٥. الاختصاص: ١٨.

المقصد الثالث

في نقل مذاهب علمائنا رضوان الله عليهم وبيان آرائهم في هذه المسألة

فنقول: الظاهر من المتقدّمين منّا والمتأخّرين الإجماع على تفضيل العترة على الكتاب، وعدم الريب بينهم في ذلك حتّى أنّه بلغ إلى حدّ الاستغناء عن البيان باللفظ لاسيّما عند إرادة الزبر والخطّ.

وممّن صرّح بذلك منهم ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب ﵀ في الكافي مع أنّه شرط أن لا ينقل فيه إلّا ما صحّ وثبت وعلم وروده عنهم ﷺ، حيث نقل الحديث القائل: «ما للّه آية أكبر منّي، وما للّه من نبأ أعظم منّي»[1].

والأحاديث المفسّرة للآيات الدالّة على ذلك وغيرها كما قد عرفت من غير تأويل ولا نكير ولا تعرّض لنقل ما يخالفه مع شدّة نقده للأخبار وزيادة اطّلاعه على الآثار.

ومثله ثقة الإسلام محمّد بن عليّ بن بابويه حيث تكرّر النقل منه لذلك في عدّة من كتبه، وكفى بشهادة هذين الثقتين حجّةً.

ومثلهما عليّ بن إبراهيم بن هاشم وغيره ممّن نقل الأخبار ونقد الآثار مع أنّ

---

١. الكافي ١/٢٠٧.

ذلك كلّه بمسمع ومنظر من العلماء الأبدال الذين قصروا أسماعهم على العلم النافع لهم، فلم ينبض منهم عرق المعارضة ولم يبرز منهم لسان المحاورة، وما ذاك إلّا لأنّ الصباح قد لاح فطمس الكواكب، وأنّ البحر قد زخر فطمّ على الكواكب.

وأمّا المتأخّرون فمنهم جمال الملّة والحقّ والدين الشيخ بهاء الدين نوّر الله مرقده كما يعلم من جواباته عن السؤالات لبعض الأفاضل في هذا المعنى ولنشر إلى الكلّ على التفصيل وإن أفضى إلى التطويل.

السؤال الأوّل:

نقل عن بعض أهل الخلاف أنّ كلام الله تعالى القرآن بل حرف منه أفضل من النبيّ ﷺ ولم يذكر دليلاً ولم نعرف الصواب فيه.

الجواب:

لمّا كان الكلام عند المخالفين معنى نفسيّاً يزعمون أنّه صفة قديمة من صفاته تعالى، وكانت صفاته جلّ شأنه أفضل من خلقه لزم من ذلك كون كلامه أفضل من ملائكته وأنبيائه وسائر مخلوقاته.

وأمّا الحقّ فالكلام عندنا حروف وأصوات جعلها سبحانه في بعض الأجسام كالشجرة ونحوها، وليس صفة من صفاته وإنّما صفته التكلّم لا الكلام، بل كلامه عزّ شأنه بعض مخلوقاته فلو قلنا بمساواة النبيّ ﷺ للقرآن لم يكن ذلك خارجاً عن جادّة الأدب، بل ترقّينا بتفضيلهم عليه لم يكن في ذلك بعد ولا شنعة والله يعلم».

السؤال الثاني:

وبعض مشايخنا العجم توقّف في الآل ورجّح أفضليّة النبيّ خاصّة مستدلّاً

بحديث: «لولاك لما خلقت الأفلاك»[١] ويشكل بعدم تسمية القرآن فلكاً.

الجواب:

لعلّ هذاالقائل جعل خلق الأفلاك كناية عن خلق عالم الإمكان تعبيراً للشيء بأعظم أجزائه.

السؤال الثالث:

وهل يدلّ على أفضليّتهم حديث صفّين: «هذا كتاب الله الصامت وأنا كتاب الله الناطق»[٢] وما الدلالة؟ إذ ليس كلّ ناطق أفضل من القرآن وإلّا لكان كلّ إنسان كذلك، إلّا أن يقال: الناطق من حيث هو ناطق أفضل من الصامت من حيث كونه صامتاً، فأميرالمؤمنين عليه السلام مساوٍ للقرآن من حيث هو أيضاً كتاب الله وأفضل منه من حيث اختصاصه بالنطق، وليس كذلك من ليس [لـ]كتاب الله من الناطقين، ويثبت حينئذٍ أفضليّة النبيّ أيضاً، لأنّه أفضل من عليّ عليهما السلام، ويبقى الكلام في باقي الأئمّة عليهم السلام. لكن ما تقولون في هذا الخبر: هل هو متواتر يقوم بحجّيّة ذلك أم واحد صحيح أم ضعيف؟

الجواب:

لعلّ وجه الدلالة أنّه عليه السلام إنّما قال ذلك إزراءً برأي مخالفيه لمّا انخدعوا برفع المصاحف على الرماح ومالوا عنه، فغرضه عليه السلام أنّ الميل إليه صوبا، وهو يعطي الأفضليّة.

لكن لقائل أن يقول: لعلّ غرضه عليه السلام أنّ القرآن لا يدعوكم إلى نفسه في ذلك

---

١. تأويل الآيات: ٤٣٠، المناقب ١/٢١٦.

٢. وسائل الشيعة ٢٧/٣٤.

الوقت بل ساكت عن ذلك وأنا أدعوكم إلى نصرتي وأكون مع الفرقة التي أنا إمامها فكيف تعرضون عمّن يدعوكم في هذا الوقت وتنصرون من هو صامت عن دعوتكم، وعلى هذا فلا دلالة على الأفضليّة، والخبر ليس متواتراً وإنّما هو آحاد ولا يحضرني سنده صحيحاً.

ثمّ قال السائل متّصلاً بما سبق:

وكيف كان يشكل ذلك بقوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي»[1] فإنّه متواتر وظاهره أفضليّة القرآن.

الجواب:

رأيت في كلام بعض قدمائنا أنّه ﷺ لم يصرّح في هذا الحديث بأنّ أيّهما أكبر بل أبهم الأمر وأخفاه، ولعلّ ذلك إخفاء مصلحة كإخفائه ليلة القدر والصلاة الوسطى، وما يترائىٰ من وجوب حمل الحديث على اللفّ والنشر المرتّب وهو يقضي أفضليّة الكتاب على العترة فهو محلّ بحث إذ اللفّ والنشر المعكوس شائع واقع في كلام البلغاء متداول في النظم والنثر.

وأيضاً:

النبيّ وأهل بيته مقتدون بالقرآن، ومذهب أهل الحقّ وجوب أفضليّة الإمام على المأموم التابع، فبأيّ الدليلين يعمل؟ وعلى أيّهما يعوّل بين الأصحاب والمخالفين؟

الجواب:

---

١. الاحتجاج ٢٦٢/١، الطرائف ١١٣/١ و١١٥.

وجوب اقتدائهم عليهم السلام بالقرآن معناه وجوب العمل بما تضمّنه من الأحكام والتّصديق بما يشتمل عليه من الأخبار، فلنا أن نقول: هذا لا يقتضي كونه أفضل منهم، كما إذا كتب السيّد لعبده كتاباً وأمره بالاقتداء بمضمونه والعمل بما فيه فإنّ ذلك لا يدلّ على أفضليّة الكتاب على ذلك العبد بشيء من الدّلالات.

انتهى ما أفاده عطّر الله مرقده من الأجوبة عن تلك السؤالات.

أقول: وعند النظر في كلامه يعلم ما هو عليه من الاعتقاد الذي لا يزول وإن زالت الجبال كما هو ظاهر من منع وجوب حمل اللفّ والنشر على المستوي وتجويز المشوّش.

ومن تمثل الكتاب بالمكتوب من السيّد إلى العبد وغير ذلك وما يتراءى من تخصيص ذلك بالنبيّ صلى الله عليه وآله فمدفوع بآية المباهلة والأحاديث المتواترة الناطقة بالنفسيّة.

وأظهر من ذلك الأخبار الناطقة بكونهم عليهم السلام وجه الله وعينه ولسانه ويده وقلبه، فأين النسبة بين المكتوب واليد فضلاً عن العين واللسان والقلب؟

ولمّا كان الغرض الكلّيّ من نقل هذه السؤالات والجوابات هو الوقوف على رأي هذا الشخص الربّانيّ في هذه المسألة واعتقاده فيها، وهو في غاية الوضوح، كان الاشتغال بالمناقشة في بعض عبارته كما فعله صاحب الرسالة صرف لساعات العمر فيما لا يعني، فإنّ المناقشة في العبارة بعد فهم المقصود ليس من دأب المخلصين.

نعم، قد يقال: إنّ في السؤال الثاني والجواب عنه إجمال مخلّ فإنّ المستدلّ على تفضيل النبيّ صلى الله عليه وآله على الكتاب بطريق العلّيّة لا ينحصر دليله في حديث لولاك، بل لكونه معتضداً بعدّة من الأخبار وجملة من الآثار إلّا أنّ هذا الحديث من بينها كالعَلَم الظاهر والمَثَل السائر.

قال بعض الأفاضل ونعم ما قال: لمّا كان الغاية القصوى في إيجاد هذا العالم هي وجود الخليفة، وغاية وجود مشاهدة المعقولات والاتّصال بالملأ الأعلى والعبوديّة الذاتيّة التي هي الفناء في الحقّ الأوّل والخلافة الإلهيّة كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] وفي الحديث القدسي: «خلقت الأشياء لأجلك، وخلقتك لأجلي»، وفي حديث آخر: «لولاك لما خلقت الأفلاك»[2]، وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يا علي، لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النّار ولا السّماء ولا الأرض»[3]، تبيّن أنّه لولا الخليفة لم توجد الخليقة... انتهى.

وهو صريح في علّيّة الخليفة لجميع الأشياء التي من جملتها القرآن فلا يحتاج تفضيله عليه إلى برهان ولا بيان.

وفي حديث محمّد بن الطّيالسي عن أبي جعفر عليه السلام: «فنحن أوّل خلق ابتدأه الله، وأوّل خلق عبد الله وسبّحه، ونحن سبب خلق الخلق وسبب تسبيحهم وعبادتهم»[4].

والحاصل أنّ علّيّة خاتم الأنبياء وعترته خيرة الأوصياء لجميع المجعولات على الإطلاق ممّا جبّلت عليه الأذهان، وانطوت عليه الأفهام، والأخبار بذلك لا تكاد تحيط بها دوائر الأقلام ولا يكاد يوجد فيه مخالف من الخاصّ والعامّ، حتّى أنّهم ملأوا منه نثرهم وشعرهم، كما قال ابن أبي الحديد:

والله لولا حيدر ما كانت ... الدنيا ولا جمع البريّة مجمع

---

١. الذاريات: ٥٦.

٢. تأويل الآيات: ٤٣٠، المناقب ١/٢١٦.

٣. تأويل الآيات: ٨٣٥، علل الشرائع ١/٥، عيون الأخبار ١/٢٦٢، كمال الدين ١/٢٥٤.

٤. بحار الأنوار ٢٥/٢٠ و٥٤/١٦٩.

من أجله خلق الزمـان وضـوّأت شـهب كـنسن وجـنّ ليـل أدرع

وفي موضع آخر قال:

لولاك ما خـلق الزمـان ولا دجـا غبّ ابـتلاج الفـجر ليـل أليـل

فإن قيل: العلّة تقتضي السبق على المعلول، ونور سيّد الرسل ووصيّه عليهما السلام أقصى ما علم أنّه متقدّم على جميع الأشياء ما عدا القرآن وسائر كلام الله تعالى، لتعارض الأدلّة فيه بخلاف ما عداه كقوله عليه السلام: «إنّما كلامه سبحانه فعل أنشأه ومثّله، لم يكن قبل ذلك كائناً»[1] الحديث. ويعارضه ما رواه في الكافي بإسناده عن أحمد بن عليّ بن محمّد بن عبدالله بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق الأنوار، وخلق نـور الأنـوار الذي نوّرت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نوّرت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه محمّداً وعليّاً فلم يزالا نورين أوّلين إذ لا شيء كـوّن قـبلهما فـلم يـزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرة حتّى افترقا في أطهر طاهرين، في عبدالله وأبي طالب»[2].

قلنا: الحديث الأخير هو المؤيّد بالأخبار الكثيرة الصريحـة الصـحيحة، مـع وروده معها في الكتب التي عليها مدار مذهب أهل الحـقّ، وأمّـا الحـديث الأوّل فالأصل فيه نهج البلاغة، مع أنّ توهّم المخالفة منه ناشٍ من جعل المضارع لكـان التامّة ليكون المعنى لم يوجد شيءٌ داخل في حدّ التكوين قبل كلامه تعالى، وهذا من سوء الفهم وقلّة التدبير لوجود الخبر المـنصوب لهـا في الكـلام فـلا ريب في

---

١. الاحتجاج ١/٢٠٣، شرح نهج البلاغة ١٣/٨١، نهج البلاغة: ٢٧٩.

٢. الكافي ١/٤٤١.

نقصانها، فالمعنى على زيادة التأكيد في حدوث الكلام من قبيل طائر يطير ليكون أبلغ في الردّ على الأشاعرة حيث ذهبوا إلى أنّ كلامه تعالى معنى واحد بسيط قديم قائم بذاته تعالى، وعلى الحنابلة حيث ذهبوا إلى أنّ كلامه تعالى حروف وأصوات قديمة حتّى ذهب بعضهم إلى قدم الجلد والغلاف، ومحقّق لما عليه الفرقة المحقّة والمعتزلة حيث قالوا: كلام الله تعالى عبارة عن خلقه الحروف والأصوات في الجسم كاللّوح المحفوظ وجبرئيل والنبيّ والشجرة. فالمراد بإنشائه وتمثيله إحداثه إيّاه في أحد هذه الأشياء.

قال العالم الربّانيّ الشيخ ميثم البحراني في شرحه لهذا الحديث: فمعنى قوله: «فعل منه إنشائه» أي أوجده في لسان النبيّ صلى الله عليه وآله، فأمّا قوله: «ومثّله» فأراد صوّره في لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسوّى مثاله في ذهنه.

وقال بعض الشارحين: مثّله لجبرئيل في اللوح المحفوظ حتّى بلّغه محمّداً صلى الله عليه وآله وسائر الرسل، انتهى.

وبالجملة فتقدّم الذات النبويّة فضلاً عن نوره المخلوق من نور الله على القرآن ممّا لا ينبغي أن يرتاب فيه.

نعم ينقدح هنا إشكال وهو أنّ نوره صلى الله عليه وآله من جملة الأشياء التي تعلّقت بها إرادة الله تعالى وكلّ مراد الله تعالى كائن، لكن بعد كلمة كن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

---

١. يس: ٨٢.

٢. النحل: ٤٠.

وفي الحديث النبويّ: «لمّا أراد الله أن يخلقنا تكلّم بكلمة خلق منها نوراً، ثمّ تكلّم بكلمة فخلق منها روحاً، فمزج النور بالروح فخلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين ...»[1] الحديث، وسيأتي بتمامه في ختامه.

وعن بتلينوس الحكيم: إنّ الخالق تبارك وتعالى لمّا أراد أن يخلق الخلق، قال: ليكن كذا، فكان ما أراد الله بكلمته، فأوّل الحدث كلمة الله المطاعة.

وهذا كلّه ممّا ينادي على تقدّم بعض الكلمات على سيّد الكائنات، وهو وإن لم يكن نافعاً للخصم لأنّه عاكف على التماثيل والرسوم الخطّيّة، وإن عظمت به الخطيئة إلّا أنّه قد ينافي القول بالتقدّم المطلق للمخلوقين من نور الحقّ، ويلزم منه انقلاب العلّيّة إلى المعلوليّة.

ويمكن التفصّي عن ذلك بأنّ الكلمة المقرونة بالإرادة ليست على ما تفهم منها الفاغة وإن وصفت بالبلاغة بل من الواجب صرفها عن ظاهرها من غير فرق بين النصب والرفع في غابرها.

قال بعض الكبراء من المفسّرين: لا يجوز أن يتوقّف إيجاد الله تعالى الشيء على صدور لفظة «كن» منه لوجوه:

الأوّل: أنّ قوله: «كن» إمّا أن يكون قديماً أو محدثاً، لا جائز أن يكون قديماً لأنّ النون لكونه مسبوقاً بالكاف يكون محدثاً لا محالة، والكاف لكونه متقدّماً على المحدث بزمان مقدّر يكون محدثاً أيضاً، ولأنّ «إذا» للاستقبال فالقضاء محدث وقوله «كن» مرتّب عليه بفاء التعقيب والمتأخّر من المحدث محدث، ولأنّ يكون المخلوق مرتّب على كونه بالفاء، والمتقدّم على المحدث بزمان محصور محدث أيضاً.

---

١. بحار الأنوار ١٥/١٠ و٣٧/٨٢ و٥٤/١٩٢.

ولا جائز أن يكون «كن» محدثاً وإلّا لاحتاج إلى مثله ويلزم إمّا الدور وإمّا التسلسل، وإذا بطل القسمان بطل توقّف الأشياء على كن.

الثاني: إمّا أن يخاطب المخلوق بـ«كن» قبل دخوله في الوجود، وخطاب المعدوم سفه، وإمّا بعد دخوله في الوجود ولا فائدة فيه.

الثالث: المخلوق قد يكون جماداً وتكليف الجماد لا يليق بالحكمة.

الرابع: إذا فرضنا القادر المريد منفكّاً عن قوله: «كن» فإن تمكّن من الإيجاد فلا حاجة إلى «كن»، وإن لم يتمكّن فلا يكون القادر قادراً على الفعل إلّا عند تكلّمه بـ«كن» فيلزم عجز القادر بالنظر إلى ذاته، أو يرجع الحاصل إلى تسمية القدرة بـ«كن» ولا نزاع في اللفظ.

الخامس: إنّا نعلم بالضرورة أنّه لا تأثير في هذه الكلمة إذا تكلّمنا بها فكذا إذا تكلّم بها غيرنا.

السادس: المؤثّر إمّا مجموع الكاف والنون ولا وجود لهما مجموعين فعند مجيء الثاني ينقضي الأوّل، وإمّا أحدهما وهو خلاف المفروض.

فثبت بهذه الوجوه أنّ حمل الآية على الظاهر غير جائز فلابدّ من تأويل.

وأصحّه أن يقال: ما قضاه من الأُمور وأراد كونه يتكوّن ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقّف، فشبّه حال هذا المتوكّل بحال المأمور المطيع الذي يؤمر فيتمثّل ولا يتوقّف ولا يأبى، وفيه تأكيد لاستبعاد الولادة لأنّ من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لأحوال الأجسام في توالدها...، انتهى.

وقيل: إنّ ذلك علامة وضعها للملائكة إذا سمعوها علموا أنّه أحدث أمراً. وفيه منافاة ظاهرة لقوله ﷺ: «يقول لما أراد كونه: كن، فيكون لا بصوت ولا نداء

يسمع»[١].

وقيل: إنّه خاصّ بالموجودين الذين قال لهم الله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾[٢] ومن يجري مجراهم.

وقيل: للأحياء بالموت، وللموتى بالحياة. وفي كلّ منهما تخصيص بلا مخصّص.

وكيف كان يثبت السبق للنور المحمّديّ ﷺ ووصيّه المخلوق من نور الحقّ ويحصل لهم الشرف المطلق.

وقال ختام المحدّثين وأمير المتألّهين شيخنا ومعتمدنا محمّد باقر المجلسيّ عطّر الله مرقده في كتابه الفارسيّ المسمّى بمشكاة الأنوار بعد نقله لطائفة من الأخبار الناطقة بفضائل القرآن:

إنّ القرآن لمّا لم يكن جوهراً قائماً بذاته، بل كان عرضاً حالّاً في محالّ مختلفة بصور وظهورات متفاوتة كما أنّه لم يزل في علم الواجب الوجود، ثمّ منه ظهر في اللوح المحفوظ، ومنه انتقل إلى الروح الأمين، وبواسطته ارتسم في روع سيّد المرسلين، ومنه وصل إلى قلوب الأوصياء والمؤمنين، ثمّ برز في الألواح والقراطيس بصور كتبيّة كانت لمحلّه على مراتب ظهوره فيه حرمة وكرامة، فكلّ محلّ ظهر فيه ظهوراً أوفر أورثه حرمةً وكرامةً أكثر، فإذا كان ظهوره في الألواح والقراطيس ونقشه فيهما بالمداد مع أنّ هذا أدنى مرتبة ظهوراته يفيد حرمتهما وحرمة دفّتيهما حتّى أنّه لا يرتكب فيه أحد من المسلمين بالنسبة إليهما خلاف الأدب إلّا فقد كفر.

---

١. الاحتجاج ١/٢٠٣، أعلام الدين: ٥٩، نهج البلاغة: ٢٧٢، شرح نهج البلاغة ١٣/٨١.

٢. البقرة: ٦٥، الأعراف: ١٦٦.

فقلب المؤمن الحامل له المرتسم هو فيه يكون أكثر حرمة من هذه القراطيس المنقوشة فيها هذه النقوش والأشكال، ولاسيّما إذا ان المؤمن عالماً بما فيه.

ولذا ورد: «إنّ المؤمن أكثر حرمة من القرآن»[١] أي من هذا القرطاس المنقوش فيه هذه النقوش، انتهى.

أقول: الغرض من نقل كلام هذا العالم الربّاني عطّر الله مرقده هو الوقوف على حقيقة رأيه في هذه المسألة، وهو ظاهر لا سترة فيه، بل قد أعطى فوق ما يراد منه حيث صرّح بفضل آحاد المؤمنين على القرآن، فضلاً عن أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين مستشهداً على ذلك بطريقي العقل والنقل.

واعترضه صاحب الرسالة حيث قال ـ بعد نقله لهذا الكلام ـ:

والوجه فيه أنّ القرآن على رأيه في هذه الرسالة عبارة عمّا نقشت فيه هذه النقوش، فقرآن المؤمن وهو قلبه المنقوشة فيه هذه النقوش أكثر حرمة عنده من هذا القرآن، وهو هذا القرطاس المنقوشة فيه هذه النقوش».

ثمّ قال:

وهذا الخبر الغير المعلوم سنده على ما حمله عليه لا يفيد كون المؤمن أكثر حرمة من شخص القرآن الحالّ في قلبه، ولاسيّما ما كان قائماً باللوح المحفوظ، وهو الذي أخبر عنه سبحانه بقوله: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾[٢] وقوله: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾[٣] كيف والمفروض أنّ القرآن هو الذي أفاده وأفاد قلبه بظهوره فيه فضلاً وحرمةً كما أفاد بظهوره في تلك

---

١. قد روي في بحار الأنوار ٣٢٣/٧: «المؤمن أعظم حرمة من الكعبة والقرآن».

٢. البروج: ٢١ و٢٢.

٣. الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

القراطيس فضلها وحرمتها ... انتهى.

أقول: فيه نظر:

أمّا أوّلاً: فلأنّ مثل هذا الشخص لا ينقل إلّا عن ثبت.

* إذا قالت حزام فصدّقوها *

فما ظنّك بماجعله مستمسكاً له ودليلاً على مدّعاه وما ذاك إلّا لاعتبار السند عنده وصحّته لديه، على أنّ مضمونه متكرّر في عدّة من الأخبار كقوله عليه السلام: «وفضّل حرمة المسلم على الحرم كلّها»[1].

وفي الحديث النبوي: «حرمة المسلم فوق كلّ حرمة»[2] وغير ذلك ممّا قد تقدّم.

والحاصل أنّ شأن ذلك الرجل أجلّ من أن ينقل ما لا يعقل سنده ويعتمد على ما لم يصحّ عنده.

وأمّا ثانياً: فلأنّ الحديث بعمومه ناطق بزيادة شرف المؤمن كيف كان على القرآن كيف كان، إلّا أنّ المستدلّ تنزّل إلى التخصيص كسراً لسَورة الاستبعاد وإن كان الإطلاق في كلّ منهما يستدعي الحمل على أكمل الأفراد، والتقييد بالحيثيّة المذكورة لا داعي لها، واستبعاد أكثريّة حرمة المؤمن على شخص القرآن الحالّ في قلبه مع كونه بيت الربّ وخزانته التي هي أعظم من العرش وأوسع من الكرسيّ، وأطيب من الجنّة، وأزين من الملكوت كما في الحديث، وعلى القرآن الكائن في اللوح المحفوظ، وإن كان الحرف فيه أعظم من جبل قاف اجتهاد في مقابلة النصّ سيّما من كان بمنزلة عين الله وقلبه ولسانه ووجهه وأُذنه ويده، أو من كان الله

---

١. نهج البلاغة: ٢٤٢، شرح نهج البلاغة ٢٨٨/٩.

٢. شرح نهج البلاغة ٢٨٩/٩.

سبحانه سمعه الذي يسمع به، وعينه الذي يبصر بها، ويده الذي يبطش بها.

والحاصل أنّ الحديث دالّ على المطلوب وإن لم يكن على ما حمله المستدلّ عليه لظهور جواز انفكاك كلّ من المؤمن والقرآن عن الآخر، كما رواه أبان بن تغلب ـ وهو من ثقات الناس ـ عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «الناس أربعة». قلت: جعلت فداك، وما هم؟ فقال: «رجلٌ أُوتي الإيمان ولم يؤت القرآن، ورجل أُوتي القرآن ولم يؤت الإيمان، ورجل أُوتي القرآن وأُوتي الإيمان، ورجل لم يؤت القرآن ولا الإيمان». فقلت: جعلت فداك، فسّر لي حالهم. قال: «أمّا الذي أُوتي الإيمان ولم يؤت القرآن فمثله كمثل التمرة طعمها حلو ولا ريح لها، وأمّا الذي أُوتي القرآن ولم يؤتى الإيمان فمثله كمثل الآس ريحها طيّب وطعمها مرّ، وأمّا الذي أُوتي القرآن والإيمان فمثله كمثل الأُترجّة ريحها طيّب وطعمها طيّب، وأمّا الذي لم يؤت الإيمان ولا القرآن فمثله كمثل الحنظلة طعمها مرّ ولا ريح لها»[1].

والحاصل أنّ أحداً لا يشكّ في فضل من أُوتي الإيمان بدون القرآن على من أُوتي القرآن بدون الإيمان فقول المعترض: «كيف والمفروض هو الذي أفاد وأفاد قلبه بظهوره فيه فضلاً وحرمة» إلى آخره، ظاهر في نفي الحرمة عن القلب لولا القرآن وهو بمراحل عن التحقيق:

أمّا أوّلاً: فلأنّ هذا الحصر غير بيّن ولا مبيّن في كلام المستدلّ ولا في الحديث، غاية ما في الباب أن يقال على ذلك التقدير: أنّ ظهور القرآن في محلّ ظهوراً تامّاً موجب لزيادة فضله وحرمته على ما يكون ظهوره فيه ناقصاً، فجاز أن يكون ظهوره التامّ كاشفاً عن وجود حرمة تامّة لذلك المحلّ وظهوره الناقص نقصاناً ما

---

١. الكافي ٢/٦٠٤، أعلام الدين: ١٠٠.

كاشف عن عدم الحرمة لذلك المحلّ كما أنّ ظهوره المتوسّط كاشف عن حرمة متوسّطة لذلك المحلّ، لابدّ لنفي ذلك من دليل.

وأمّا ثانياً: فلأنّه يستلزم أن يكون من أُوتي القرآن ولم يؤت الإيمان أكثر حرمة ممّن أُوتي الإيمان ولم يؤت القرآن، واللازم باطل فالملزوم مثله.

وأمّا ثالثاً: فلأنّه يستلزم الحكم بمساواة قلب المؤمن للقرطاس الخاليين من هذه الرسوم الخطّيّة، وهو خطيئة لا كفّارة لها لما مرّ مراراً من أنّ ذلك القلب بيت الربّ، وفي الحديث القدسيّ: «لا يسعني أرضي ولا سمائي وإنّما يسعني قلب عبدي المؤمن»[1].

وفي الحديث: «إنّ داود عليه السلام ناجى ربّه فقال: إلهي، لكلّ ملك خزانة، فأين خزانتك؟ فقال جلّ جلاله: لي خزانة أعظم من العرش، وأوسع من الكرسيّ، وأطيب من الجنّة، وأزين من الملكوت؛ أرضها المعرفة، وسمائها الإيمان، وشمسها الشوق، وقمرها المحبّة، ونجومها الخواطر، وسحابها العقل، ومطرها الرحمة، وشجرها الطاعة، وثمرها الحكمة، ولها أربعة أركان: التوكّل والتفكّر والإنس والذكر، ولها أربعة أبواب: العلم والحكمة والصبر والرضى، ألا وهي القلب»[2].

وقد تقدّم منّا في المقدّمة: أنّ كلام الله تعالى إذا قام بأشرف منازله الذي هو بيت الربّ استفاد كلّ منهما من الآخر شرفاً على شرفه وفضلاً على فضله بما لا مزيد عليه.

---

١. عوالي اللآلي ٤/٧.

٢. عوالي اللآلي ١/٢٤٩.

القول في الخواتيم

وهي ثلاث:

الأُولى: في ذكر شيءٍ من فضائل القرآن

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2].

وفي بعض خطبه عليه السلام في نهج البلاغة*: «ثمّ أنزل عليه الكتاب، نوراً لا تطفئ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضلّ نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوئه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تنهدم أركانه، وشفاءً لا تخشى أسقامه، وعزّاً لا تهزم أنصاره، وحقّاً لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافيّ الإسلام وبنيانه، وأودية الحقّ وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضّبها

---

١. المزّمّل: ٥.

٢. فصّلت: ٤١ ـ ٤٢.

*. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: ليلة أُسري بي إلى السماء لا أجد باباً ولا حجاباً ولا شجرةً ولا ورقةً ولا ثمرةً ولا مدرةً من ياقوت إلّا وعليه: «عليّ عليّ عليّ» وإنّ اسم عليّ مكتوب على كلّ شيء حتّى على وجه الشمس والقمر والماء والحجر والورق والشجر». (منه)

الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضلّ نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجّ لطرق الصلحاء، ودواءً ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزّاً لمن تولّه، وسلّماً لمن دخله، وهدًى لمن ائتمّ به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلّم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجّ به، وخليلاً لمن حمله، ومطيّة لمن أعمله، وآية لمن توسّم، وحجّةً لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى»[1].

قلت: يجب أن يراد به في جميع ذلك غير الزبر والخطّ، فإنّ القاصر نظره على ذلك قد لا يكون له حظّ في الإسلام وما له في الآخرة من نصيب.

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قرأ القرآن فاستظهر فأحلّ حلاله وحرّم حرامه أدخله الجنّة وشفّعه في عشرة من أهل بيته كلّهم وجبت لهم النار»[2].

وفي الكافي بإسناده عن إسحاق بن غالب قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إذا جمع الله تعالى الأوّلين والآخرين إذا هم بشخص قد أقبل لم يروا قطّ أحسن صورة منه، فإذا نظر إليه المؤمنون وهو القرآن، قالوا: هذا منّا، هذا أحسن شيءٍ رأينا، قال ك فإذا انتهى إليهم جازهم، ثمّ ينظر إليه الشهداء حتّى إذا انتهى إلى آخرهم جازهم فيقولون: هذا القرآن، فيجوزهم كلّهم حتّى إذا انتهى إلى المرسلين فيقولون: هذا

---

١. الكافي ٤٩/٢، الأمالي للطوسي: ٣٧، الأمالي للمفيد: ٢٧٥، تحف العقول: ١٦٢، الغارات ٨٢/١، كتاب سليم: ٦١٨، نهج البلاغة: ٣١٥، شرح نهج البلاغة ١٩٩/١٠.

٢. جامع الأخبار: ٤١.

القرآن، فيجوزهم حتّى ينتهي إلى الملائكة ويقولون: هذا القرآن، فيجوزهم ثمّ ينتهي حتّى يقف عن يمين العرش فيقول الجبّار: وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لأكرمنّ اليوم من أكرمك، ولأهينّ اليوم من أهانك»[١].

وفي الكتاب المذكور بإسناده عن الفضل بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تعلّموا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شابّ جميل شاحب اللون، فيقول له: أنا القرآن الذي كنت أسهرت ليلك وأظمأت هواجرك، وأجففت ريقك، وأسلت دمعك، وأوّل معك حيث ما ألت، وكلّ تاجر من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء تجارة كلّ تاجر، وسيأتيك كرامة الله فابشر. قال: فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويعطى الأمان بيمينه والخلد في الجنان بيساره ويُكسى حُلّتين، ثمّ يقال له: اقرأ وارق، فكلّما قرأ آية صعد درجة، ويكسى أبواه حلّتين إن كانا مؤمنين فيقال لهما: هذا لما علّمتماه القرآن»[٢].

وفيه أيضاً بإسناده عن طلحة بن زيد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ هذا القرآن فيه منازل الهدى، ومصابيح الدجى، فليجل حالٍ بصره، ويفتح للضياء نظره، فإنّ التفكّر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظّلمات بالنور»[٣].

وفيه أيضاً بإسناده عن الخشّاب رفعه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «لا والله لا يرجع الأمر والخلافة إلى آل أبي بكر وعمر أبداً، ولا إلى بني أُميّة أبداً، ولا في ولد طلحة والزبير أبداً، وذلك أنّهم نبذوا القرآن وأبطلوا السنن وعطّلوا الأحكام، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى، واستقالة من

---

١. الكافي ٦٠٢/٢.

٢. الكافي ٦٠٣/٢.

٣. الكافي ٥٩٨/٢ و ٦٠٠.

العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأحداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم، وما عدل أحد من القرآن إلّا إلى النار»[١].

وفيه أيضاً بالإسناد، عن الزهري قال: قلت لعليّ بن الحسين عليهما السلام: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: «الحالّ المرتحل». قلت: وما الحالّ المرتحل؟ قال: «فتح القرآن وختمه كلّما جاء بأوّله ارتحل في آخره». وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أعطاه الله القرآن فرأى أنّ أحداً أُعطي أفضل ممّا أُعطي فقد صغّر عظيماً وعظّم صغيراً»[٢].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه». وقال صلى الله عليه وآله: «ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى يوم القيامة من القرآن؛ لا نبيّ ولا ملك ولا غيره»[٣].

أقول: المراد بالشفاعة فيه غايتها وثمرتها أعني الوصول إلى نيل الرضوان والتخلّص من الهوان كما صرّح به العالم الربّاني الشيخ ميثم البحراني في شرحه لنهج البلاغة.

ولا ريب أنّ القيام بما في القرآن من الأحكام، وصفّ الأقدام بتلاوته والناس نيام هو السبب التامّ في نيل المرام.

ثمّ إنّ إطلاق المبدء على الغاية، والسبب على المسبّب شيءٌ شائع ذائع، وقد يقال: معناه هو أنّ التخلّق بأخلاق القرآن والوقوف على حدوده في كلّ شأن لا شيء أدعى منه للوصول والفوز بالرضوان، إذ هو مغني عن شفاعة الشافعين.

---

١. الكافي ٢/٦٠٠، تفسير العيّاشي ١/٥.

٢. الكافي ٢/٦٠٥، عدّة الداعي: ٢٨٦، معاني الأخبار: ١٩٠.

٣. عوالي اللآلي ٤/١١٢.

وهذا لا يتصوّر إلّا في النبيّ والوصيّ ممّن كان القرآن خلقه، وكيف كان فهو لا يدلّ على شرف الخطوط والرسوم عليهم عليهم السلام. ولا يكون منافياً لقوله صلى الله عليه وآله: «أنا أوّل شافع وأوّل مشفّع»[١] وقوله: «أنا أوّل وافد على العزيز الجبّار»[٢] لأنّ الوافد الأوّل هو الشافع الأوّل، إذ لا مقام في اليوم الموعود أشرف من المقام المحمود، كما أنّ القائم به أشرف من تحلّى بحلية الوجود من واهب الجود.

ففي حديث المحشر: «ثمّ يجتمعون في موطن آخر فيه مقام محمّد صلى الله عليه وآله فهو المقام المحمود فيثني الله تبارك وتعالى بما لم يثن عليه أحد قبله، ثمّ يثني على كلّ مؤمن ومؤمنة يبدأ بالصدّيقين والشهداء، ثمّ بالصالحين فيحمده أهل السماوات وأهل الأرض فذلك قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحمُوداً﴾[٣] فطوبى لمن كان له في ذلك اليوم حظّ ونصيب، وويل لمن لم يكن له في ذلك اليوم حظّ ولا نصيب»[٤].

وعنه عليه السلام أنّه سُئل عن شفاعة النبيّ صلى الله عليه وآله يوم القيامة، فقال: «يلجم الناس يوم القيامة العرق، فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: اشفع لنا عند ربّك، فيقول: إنّ لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردّهم إلى من يليه، ويردّهم كلّ نبيّ إلى من يليه حتّى ينتهوا إلى عيسى فيقول: عليكم بمحمّد صلى الله عليه وآله، فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول: انطلقوا، فينطق بهم إلى باب الجنّة ويستقبل باب الرحمان ويخرّ ساجداً فيمكث ما شاء الله فيقول: ارفع

---

١. أمالي الطوسي: ٢٧١.
٢. الكافي ٢/٦٠٠.
٣. الإسراء: ٧٩.
٤. الاحتجاج ١/٢٤٣، التوحيد: ٢٦١.

رأسك واشفع تشفع، وسل تعط، وذلك قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحمُوداً﴾[١].

ويظهر من هذا كلّه أنّ شفاعة القرآن عبارة عن غايتها التي هي التوصّل به إلى الله تعالى ونيل رضوانه بسبب الإقرار والاعتقاد بأنّه من عند الله الوقوف على حدوده، والقيام بحقوقه كقوله عليه السلام في الدعاء: «واجعلنا ممّن يعترف بأنّه من عندك حتّى لا يعارضنا الشكّ في تصديقه ـ إلى قوله ـ واجعل القرآن وسيلة لنا إلى أشرف منازل الكرامة، وسُلّماً نعرج فيه إلى محلّ دار السلامة، وسبباً نجزي به النجاة في عرصة القيامة، وذريعة نقدم بها على نعيم دار المقامة»[٢].

وهذا كلّه ظاهر في عدم إرادة الزبر والخطّ لأنّه لا ينال ما عند الله إلّا بطاعته، ومِن ثَمّ كان القرآن حبل ممدود طرف بيد الله وطرف بأيدي العباد.

الخاتمة الثانية: في ذكر شيء من فضائل العترة الطاهرة عليهم السلام

روى ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب في الكافي بإسناده عن الثماليّ قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله تبارك وتعالى يقول: استكمال حجّتي على الأشقياء من أُمّتك من ترك ولاية عليّ عليه السلام ووالى أعدائه وأنكر فضله وفضل الأوصياء من بعده فإنّ فضلك فضلهم وطاعتك طاعتهم، وحقّك حقّهم ومعصيتك معصيتهم، وهم الأئمّة الهداة من بعدك، جرى فيهم روحك، وروحك ما جرى فيك من ربّك، وهم عترتك من طينتك ولحمك ودمك، وقد أجرى الله فيهم سننك

---

١. تفسير القمّي ٢/٢٥.

٢. الإقبال: ٢٦٧، الصحيفة: ١٧٤، مصباح الكفعمي: ٤٦١، مصباح المتهجّد: ٥١٩.

وسنّة الأنبياء قبلك وهم خزائني على علمي من بعدك، حقّ عليّ لقد اصطفيتهم وانتجبتهم وارتضيتهم ونجا من أحبّهم وولّاهم وسلّم لفضلهم، ولقد أتاك جبرئيل بأسمائهم وأسماء آبائهم وأحبّائهم والمسلّمون لفضلهم»[١].

وفي رياض الجنان وكتاب مصباح الأنوار عن أنس بن مالك قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ في بعض الأيّام صلاة الفجر، ثمّ أقبل علينا بوجهه الكريم فقلت: يا رسول الله، إن رأيت أن تفسّر لنا قول الله عزّ وجلّ: ﴿ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً ﴾[٢]، فقال ﷺ: «أمّا النبيّون فأنا، وأمّا الصدّيقون فأخي عليّ بن أبي طالب، وأمّا الشهداء فعمّي حمزة، وأمّا الصالحون فابنتي فاطمة وأولادها الحسن والحسين».

قال: وكان العبّاس حاضراً، فوثب وجلس بين يدي رسول الله ﷺ، فقال: ألسنا أنا وأنت وعليّ وفاطمة والحسن والحسين من نبعة واحدة؟!

قال: «وكيف يا عمّ، إنّ الله خلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم حيث لا سماء مبنيّة، ولا أرض مدحيّة، ولا ظلمة ولا نور، ولا جنّة ولا نار، ولا شمس ولا قمر».

قال العبّاس: وكيف كان بدو خلقكم يا رسول الله؟

قال: «يا عمّ، لمّا أراد الله أن يخلقنا تكلّم بكلمة خلق منها نوراً، ثمّ تكلّم بكلمة فخلق منها روحاً، فمزج النور بالروح فخلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين فكنّا نسبّحه حيث لا تسبيح ونقدّسه حيث لا تقديس، فلمّا أراد الله أن ينشئ

---

١. الكافي ١/١٩٣ و٢٠٨، بصائر الدرجات: ٥٤.

٢. النساء: ٦٩.

الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش، ثمّ فتق نور أخي عليّ بن أبي طالب فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور عليّ ونور عليّ من نور الله، وعليّ أفضل من الملائكة، ثمّ فتق نور ابنتي فاطمة فخلق منه السماوات والأرض، فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة ونور ابنتي من نور الله عزّ وجلّ، وفاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثمّ فتق نور ولدي الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن، ونور ولدي من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثمّ فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنّة والحور العين، فالجنّة والحور العين من نور ولدي الحسين، ونور ولدي من نور الله، وولدي أفضل من الجنّة والحور العين»[١].

وعن ابن عبّاس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنّ الرياض أقلام، والبحر مداد، والجنّ حسّاب، والإنس كتّاب ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٢].

وفي كتاب كشف الغمّة بطرق جمّة عنه عليه السلام أنّه قال: «من أراد أن ينظر إلى إسرافيل في رفعته، وإلى ميكائيل في درجته، وإلى جبرئيل في عظمته، وإلى آدم في هيبته، وإلى نوح في صبره، وإلى إبراهيم في سخاوته، وإلى سليمان في ملكه، وإلى موسى في شجاعته، وإلى عيسى في سياحته، وإلى محمّد في شرفه ومنزلته فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٣].

وممّا رواه المخالف والمؤالف عنه عليه السلام أنّه قال: «لو اجتمع الناس على حبّ عليّ بن

---

١. تأويل الآيات: ١٤٣.

٢. كشف الغمّة ١/١١١، كشف اليقين: ٢، نهج الحق: ٢٣١.

٣. كشف الغمّة ١/١١٤ بتفاوت يسير.

أبي طالب عليه السلام لما خلق الله النار»[1].

وفي خبر آخر عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لو اجتمع الناس على بغض عليّ بن أبي طالب لما خلق الله الجنّة».

وفي كتاب بشارة المصطفى لشيعة المرتضى بإسناده إلى محمّد بن يعقوب النهشليّ قال: حدّثنا عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن الله عزّ وجلّ أنّه قال: «أنا الله لا إله إلّا أنا، خلقت الخلق بقدرتي فاخترت منهم من شئت من أنبيائي، واخترت من جميعهم محمّداً حبيباً وخليلاً وصفيّاً، وبعثته رسولاً إلى خلقي، واصطفيت له عليّاً فجعلته له أخاً ووصيّاً ووزيراً ومؤدّياص عنه من بعده إلى خلقي، وخليفتي على عبادي، يبيّن لهم كتابي، ويسير فيهم بحكمي، وجعلته العلم الهادي من الضلالة، وبابي الذي أُوتى منه، وبيتي الذي من دخله كان آمناً، وحصني الذي من لجأ إليه حصّنه من مكروه الدنيا والآخرة، ووجهي الذي من توجّه إليه لم أصرف وجهي عنه، وحجّتي في السماوات والأرضين على جميع من فيهنّ من خلقي، لا أقبل عمل عامل منهم إلّا بالإقرار بولايته مع نبوّة أحمد رسولي، وهو يدي المبسوطة على عبادي، وهو النعمة التي أنعمت بها على من أحببته من عبادي وتولّيته، عرّفته ولايته، فبعزّتي خلقت، وبجلالي أقسمت أنّه لا يتولّى عليّاً عبد من عبادي إلّا زحزحته من النار وأدخلته

---

١. إرشاد القلوب ٢/٢٣٤، بشارة المصطفى: ٧٥، عوالي اللآلي ٤/٨٦، كشف الغمّة ١/٩٩، كشف اليقين: ٢٢٥.

الجنّة، ولا يبغضه عبد من عبادي ويعدل عن ولايته إلّا أدخلته النار وبئس المصير»[١].

وفي الكتاب المذكور بإسناده عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الناس من أشجار شتّى وخلقت أنا وأنت من شجرة واحدة، فما قولكم في شجرة أنا أصلها وفاطمة فرعها وعليّ لقاحها والحسن والحسين ثمارها وشيعتنا أوراقها؛ فمن تعلّق بغصن من أغصانها ساقه إلى الجنّة، ومن تركها هوى في النار»[٢].

وقد نظم هذا الخبر أبو يعقوب النصرانيّ فقال:

يا حبّذا دوحة في الخلق نابتة ... ما مثلها نبتت في الخلد من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة ... ثمّ اللقاح عليّ سيّد البشر
والهاشميّان سبطاه لها ثمر ... والشيعة الورق الملتفّ بالشجر
هذا حديث رسول الله جاء به ... أهل الروايات في العالي من الخبر
إنّي بحبّهم أرجو النجاة غداً ... والفوز مع زمرة من أحسن الزّمر

وفي الكتاب المذكور بسنده المتصل إلى عبدالله بن عبّاس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أعطاني الله عزّ وجلّ خمساً وأعطى عليّاً خمساً: أعطاني جوامع الكلم وأعطى عليّاً جوامع العلم، وجعلني نبيّاً وجعله وصيّاً، وأعطاني الكوثر وأعطاه السلسبيل، وأعطاني الوحي وأعطاه الإلهام، وأسرى بي إليه وفتح له أبواب السماء والحجب حتّى نظر إليّ ونظرت إليه».

قال: ثمّ بكى رسول الله ﷺ، فقلت: ما يبكيك، فداك أبي وأُمّي؟ قال: «يابن

---

١. أمالي الصدوق: ٢٢٢، بشارة المصطفى: ٣١، عيون الأخبار ٤٩/٢.
٢. عيون الأخبار ٧٣/٢.

عبّاس، إنّ أوّل ما كلّمني به ربّي عزّ وجلّ فقال: يا محمّد، أُنظر تحتك، فنظرت إلى الحجب قد انخرقت وإلى أبواب السماء قد فتحت، ونظرت إلى عليّ وهو رافع رأسه فكلّمني وكلّمته».

فقلت: يا رسول الله، بم كلّمك ربّك؟ فقال: «قال: يا محمّد، إنّي جعلت عليّاً وصيّك ووزيرك وخليفتك من بعدك فأعلمه فها هو يسمع كلامك، فأعطمته وأنا بين يدي ربّي عزّ وجلّ، فقال: قد قبلت وأطعت، فأمر الله الملائكة أن تسلّم عليه، ففعلت، فردّ عليهم السلام، ورأيت الملائكة يتباشرون به وما مررت بملائكة من ملائكة السماء إلّا هنّوني وقالوا: يا محمّد، والذي بعثك بالحقّ لقد دخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف الله عزّ وجلّ لك ابن عمّك، ورأيت حملة العرش قد نكّسوا رؤوسهم إلى الأرض، فقلت: يا جبرئيل، لم نكّس حملة العرش رؤوسهم؟ فقال: يا محمّد، ما من ملك إلّا وقد نظر إلى وجه عليّ بن أبي طالب استبشاراً به ما خلا حملة العرش، فإنّهم استأذنوا الله عزّ اسمه في هذه الساعة فأذن لهم أن ينظروا إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فنظروا إليه، فلمّا هبطت جعلت أخبره بذلك ويخبرني به، فعلمت أنّي لم أطأ موطئاً إلّا وقد كشف لعليّ عنه حتّى نظر إليه ...»[1] الحديث.

وفيه أيضاً بالإسناد عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «معاشر الناس، من أحسن من الله قيلاً؟ ومن أصدق من الله حديثاً؟

معاشر الناس، إنّ ربّكم تعالى أمرني أن أُقيم لكم عليّاً عَلَماً وإماماً وخليفة ووصيّاً، وإنّي أتّخذه أخاً ووزيراً.

---

١. أمالي الطوسي: ١٠٤، بشارة المصطفى: ٤١، الفضائل: ٥، كشف اليقين: ٤٦٢.

معاشر الناس، إنّ عليّاً باب الهدى بعدي، والداعي إلى ربّي، وهو صالح المؤمنين، ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنّني من المسلمين، إنّ عليّاً صدّيق هذه الأُمّة وفاروقها الأكبر ومحدّثها، إنّه هارونها ويوشعها، إنّه باب حطّتها وسفينة نجاتها، إنّه طالوتها وذو قرنيها.

معاشر الناس، إنّه نخبة الورى، والحجّة العظمى، والآية الكبرى، وإمام أهل الدنيا، والعروة الوثقى.

معاشر الناس، إنّ عليّاً مع الحقّ والحقّ معه وعلى لسانه.

معاشر الناس، إنّ عليّاً قسيم النار؛ لا يدخل النار وليّ له، ولا ينجو منها عدوّ له، إنّه قسيم الجنّة؛ لا يدخلها عدوّ له، ولا يخرج منها وليّ له.

معاشر أصحابي، قد نصحت لكم وبلّغت رسالات ربّي ولكن لا تحبّون الناصحين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم»[1].

وفيه أيضاً بإسناده عن عبدالله بن عبّاس بن عبدالمطّلب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيّها الناس، نحن في القيامة ركبان أربعة: أنا على البراق، وأخي صالح على ناقة الله التي عقرها قومه، وابنتي افطمة على ناقتي العضباء، وعليّ بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنّة خطامها من اللؤلؤ الرطب، وعيناها من ياقوتتين حمراوتين، وبطنها من زبرجدة خضراء عليها قبّة من لؤلؤة بيضاء، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، ظاهرها من رحمة الله، وباطنها من عفو الله، إذا أقبلت زفّت، وإذا أدبرت زفّت، وهو أمامي، على رأسه تاج من نور يضيء لأهل الجمع، ذلك التاج له سبعون ركناً، كلّ ركن يضيء كالكوكب الدرّيّ

---

١. أمالي الصدوق: ٣١، بشارة المصطفى: ١٥٣، التحصين لابن طاوس: ٦٠٣، روضة الواعظين ١/١٠٠.

في أُفق السماء، وبيده لواء الحمد، وهو ينادي في القيامة: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، فلا يمرّ بملأ من الملائكة إلّا قالوا: نبيّ مرسل، ولا يمرّ بنبيّ إلّا يقول: ملك مقرّب، فينادي منادٍ من بطنان العرش: يا أيّها الناس، ليس هذا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا حامل عرش، هذا عليّ بن أبي طالب، وتجيء شيعته من بعده فينادي مناد للشيعة: من أنتم؟ فيقولون: نحن العلويّون، فيأتيهم النداء من عند الله: يا أيّها العلويّون، أنتم المؤمنون، ادخلوا الجنّة من كنتم توالون»[1].

قال مؤلّف الكتاب: هذه الأوصاف بعينها هي المذكورة في حديث القرآن البارز يوم القيامة في أحسن منظور إليه فلا يبعد ما قاله بعض الأفاضل من أنّ المراد بالقرآن البارز ذلك اليوم بتلك الصفة هو أميرالمؤمنين.

وفيه أيضاً بإسناده عن الأصبغ بن نباتة عن سلمان الفارسيّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا معاشر المهاجرين والأنصار، ألا أدلّكم على ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي أبداً؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «هذا عليّ أخي ووصيّي ووزيري ووارثي وخليفتي إمامكم، فأحبّوه بحبّي وأكرموه بكرامتي، فإنّ جبرئيل أمرني بذلك أن أقول لكم»[2].

أقول: هذا الحديث صريح في أنّ التمسّك بالوصيّ وحده كاف في التخلّص من الضلالة، ومثله في الأخبار كثير. وفي ذلك شهادة بفضله على القرآن مطلقاً.

فإن قيل: إنّ التمسّك بالوصيّ تمسّك بالقرآن لأنّهما متلازمان ومتوافقان.

قلنا: القرآن الملازم للوصيّ ليس إلّا أحكامه ومعانيه القائمة بقلبه الشريف كما

---

١. أمالي الطوسي: ٣٤، أمالي المفيد: ٢٧١، بشارة المصطفى: ٦١.

٢. بشارة المصطفى: ١٦٤.

قامت بقلب النبيّ الأُمّيّ قبله، وأمّا الزبر والخطّ فإنّما يقومان بالألواح والكواغيذ ومتابعتها وحدها كما فعلته أهل صفّين ومن حذى حذوهم هو الضلال البعيد.

وفيه أيضاً بإسناده عن أبي هريرة قال: كنت أنا وأبو ذرّ نسير ذات يوم مع عليّ ابن أبي طالب فنظر عليّ إلى بطّيخ فحلّ درهماً ودفعه إلى بلال، فقال: «ائتني بهذا الدرهم من هذا البطّيخ»، ومضى عليّ إلى منزله، فما شعرنا إلّا وبلال قد وافانا بالبطّيخ، فأخذ عليّ عليه السلام بطّيخة فقطعها فإذا هي مرّة، فقال: «يا بلال، أبعد بهذا البطّيخ عنّي» وأقبل عليّ حتّى أُحدّثك بحديث حدّثني به رسول الله صلى الله عليه وآله ويده إلى منكبه: «إنّ الله تبارك وتعالى طرح حبّي على الحجر والمدر والبحار والجبال والشجر؛ فما أجاب إلى حبّي عذب، وما لم يجب إلى حبّي خبث ومرّ، وإنّي لأظنّ أنّ هذا البطّيخ ممّا لم يجب إلى حبّي»[1].

وفي البحار: وجدت في كتاب سليم بن قيس، عن أبان، عن سليم قال: قلت لأبي ذر: حدّثني رحمك الله بأعجب ما سمعت من رسول الله يقوله في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ حول العرش ألف ملك ليس لهم تسبيح ولا عبادة إلّا الطاعة لعليّ بن أبي طالب والبرائة من أعدائه، والاستغفار لشيعته».

قلت: فغير هذا، قال: سمعته يقول: «إنّ الله عزّ وجلّ خصّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل بطاعة عليّ عليه السلام والبرائة من أعدائه والاستغفار لشيعته».

فقلت: فغير هذا، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لم يزل الله يحتجّ بعليّ في كلّ أُمّة فيها نبيّ مرسل، أشدّهم معرفة لعليّ عليه السلام أعظمهم درجة عند الله».

---

١. بشارة المصطفى: ١٦٧.

قلت: فغير هذا يرحمك الله، قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أنا وعليّ ما عُرِف الله، ولولا أنا وعليّ ما عُبِد الله، ولولا أنا وعليّ ما كان ثواب ولا عقاب، ولا يستر عليّاً من الله ستر، ولا يحجبه من الله حجاب، وهو الستر والحجاب فيما بين الله وبين خلقه»[1].

أقول: في قوله: «لم يزل الله يحتجّ بعليّ في كلّ أُمّة فيها نبيّ» دلالة صريحة على صحّة الحديث المشهور المأثور عن النبيّ ﷺ: «بعث عليّاً مع كلّ نبيّ سرّاً ومعي جهراً».

فإنكار صاحب الرسالة له واحتماله الوضع فيه أو الغلوّ في غاية الغرابة، كيف ومضمونه ممّا تكرّر في الأخبار المأثورة عن الأطهار سلام الله عليهم.

فمن ذلك حديث أبي ذرّ المنقول من كتاب سليم بن قيس، مع أنّ صاحب الرسالة قد أثنى عليه وصحّحه وجعله من جملة الأُصول المعلوم ورودها من العترة الطاهرة عليهم السلام على جهة الإطلاق فلا مناص له من قبول فيه، وإلّا لقيل: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[2].

وأنت خبير بأنّ سليم بن قيس لا تعدّد له في الرجال حتّى يكون له عنه مجال، بل هذا هو الهلاليّ العامريّ الكوفيّ صاحب أميرالمؤمنين عليه السلام الذي همّ الحجّاج بقتله، وحين حضرته الوفاة قال لأبان: إنّ لك عليّ حقّاً وقد حضرني الموت، يابن أخي إنّه كان من الأمر بعد رسول الله كيت وكيت، وأعطاه كتاباً له لم يروه عن سليم بن قيس أحد من الناس سوى أبان.

---

١. كتاب سليم: ٨٥٨.

٢. البقرة: ٨٥.

وقد قيل: إنّ كتابه موضوع لا مرية فيه، وعلى ذلك علامات:

منها: ما يقال فيه أنّ محمّد بن أبي بكر وعظ أباه عند موته.

ومنها: أنّ الأئمّة ثلاثة عشر.

قلت: إن صحّ هذا فالوضع ظاهر لأنّ محمّد بن أبي بكر ولد سنة حجّة الوداع وخلافة أبيه مدّة سنتين وأشهر، نعم وجدت في بعض الحواشي لبعض الأفاضل ما صورته: رأيت فيما وصل إليّ من نسخة هذا الكتاب أنّ عبدالله بن عمر وعظ أباه عند موته، وأنّ الأئمّة ثلاثة عشر من ولد إسماعيل هم رسول الله ﷺ مع الأئمّة الإثني عشر.

وقال غيره: في عدّة مواضع من هذا الكتاب أنّ الأئمّة اثني عشر من ولد أميرالمؤمنين ... انتهى.

وكيف كان فالتوقّف في شأن سليم أسلم إلّا ما يوجد له مؤيّد من خارج كما نقلناه نحن منه لا ما نقله عنه صاحب الرسالة آنفاً لمخالفة ذلك للعامّة وموافقة ذا لهم.

ومن ذلك ما نقله السيّد المفسّر من كتاب رجب البرسيّ قال: روي أنّ فرعون لعنه الله لمّا ألحق الله هارون بأخيه موسى دخلا عليه يوماً وأوجسا خيفةً منه، فإذا فارس يقدمهما ولباسه من ذهب وبيده سيف من ذهب وكان فرعون يحبّ الذهب، فقال لفرعون: أجب هذين الرجلين وإلّا قتلتك، فانزعج فرعون لذلك، وقال: هذا إلى غد، فلمّا خرجا دعا البوّابين وعاقبهم، وقال: كيف دخل عليّ هذا الفارس بغير إذن؟ فحلفوا بعزّة فرعون أنّه ما دخل إلّا هذان الرجلان، وكان الفارس مثال عليّ، هذا الذي أيّد الله به النبيّين سرّاً وأيّد به محمّداً ﷺ جهراً.

ومن ذلك ما في روضة الواعظين عن ابن عبّاس قال: قد أقبل عليّ بن

أبي طالب عليه السلام، فقالوا: يا رسول الله، جاء أميرالمؤمنين، فقال: «إنّ عليّاً من قبلي». قيل: قبلك يا رسول الله؟ قال: «ومن قبل عيسى وموسى». قيل: وقبل عيسى وموسى يا رسول الله؟! قال: «وقبل سليمان بن داود» ولم يزل حتّى عدّ الأنبياء كلّهم إلى آدم عليه السلام، ثمّ قال: «إنّ الله لمّا خلق آدم عليه السلام طيناً علّق بين عينيه ذرّة تسبّح الله وتقدّسه، فقال عزّ وجلّ: أُسكنك رجلاً أجعله أمير الخلق أجمعين، فلمّا خلق الله عليّ بن أبي طالب أسكن الذرّة فيه فسمّي أميرالمؤمنين عليه السلام قبل خلق آدم عليه السلام»[1].

قلت: هذا ظاهر في أنّه عليه السلام هو السرّ من هذا العالم، ولمّا كانت الأنبياء والرسل في مكان القرب منه سبحانه ينبغي أن يكون لهم منه حظّ ونصيب، ومِن ثَمّ أمدّهم به في الباطن كما أمدّ به خاتمهم وسيّدهم في الظاهر.

والعجب ممّن يدّعي التشيّع كيف ينكر مثل هذه الفضيلة له عليه السلام مع ورودها من طريق الخاصّة والعامّة حتّى أنّ شعرائهم يتفوّهون بها في قصائدهم كما تسمع ابن أبي الحديد يقول:

هذا هو النور الذي عذباته ... كانت بجبهة آدم تتطلّع
وشهاب موسى حيث أظلم ليله ... رفعت له لالاؤه تتشعشع
هذا ضمير العالم الموجود عن ... عدم وسرّ وجوده المستودع

وفي موضع آخر قال:

يا أيّها النار التي شبّ السنا ... منها لموسى والظّلام مجلّل

على أنّ حضوره عليه السلام في باطن الأمر عند الأنبياء ليس بأبعد من حضوره عند

---

١. الفضائل: ١٠٤.

حضورِ الموت للمؤمنين والكافرين من الأوّلين والآخرين كما تشهد به الآية والرواية، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾[١] أي إلى النبيّ وعليّ كما في الخبر، ولعلّ الخصم لا ينكر هذا، وحكاية الحارث بذلك مشهورة.

وروى العيّاشيّ عن الباقر عليه السلام: «ليس أحد من جميع الأديان يموت إلّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين حقّاً من الأوّلين والآخرين»[٢].

بل قد تكرّر في الأخبار المستقيمة المنار أنّ كلّ ما تفعله شيعتهم عليهم السلام من الأوائل والأواخر فإنّه بمسمع ومنظر منهم عليهم السلام.

كما روي عن الرضا عليه السلام حيث قال: «اعلموا ـ أيّها الناس ـ إنّ لنا مع كلّ وليّ لنا أعيناً ناظرة لا تشبه أعين الناس، وفيها نور من نور الله، وحكمة من حكمة الله تعالى، ليس للشيطان فيها نصيب، وكلّ بعيد منها قريب، وإنّ لنا مع كلّ وليّ لنا أعين ناظرة وألسن ناطقة وقلوب واعية، وليس يخفى علينا شيء من أعمالكم وأقوالكم وأفعالكم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[٣] ولو لم يكن كذلك ما كان لنا على الناس فضل»[٤].

وحكاية أبي سدير الصيرفيّ مع النبيّ في المنام، وفي اليقظة مع الإمام واتفاقهما في إعطائه الرطب الثمان شاهدة بصحّة هذا المعنى وهي مشهورة.

وأيضاً و لم يكن ذلك كذلك لم يكونوا أعين الله الناظرة وأُذنه السامعة، وقلبه

---

١. الواقعة: ٨٣ و ٨٤.

٢. تفسير العيّاشي ١/٢٨٤.

٣. التوبة: ١٠٥.

٤. بصائر الدرجات: ٤٣٩ بتفاوتٍ يسير، أمالي الطوسي: ١٠٧ و ٢٤٥.

الواعي ويده المبسوطة في بلاده وعباده، ووجهه الذي منه يؤتى، ولسانه المعبّر عنه في خلقه، وجنبه الذي لا شيء أقرب منه إليه، فلا تكن من المرتابين.

وعن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله لا يعذّب هذا الخلق إلّا بذنوب العلماء الذين يكتمون الحقّ من فضل عليّ وعترته، ألا وإنّه لم يمش على الأرض بعد النبيّين والمرسلين أفضل من محبّي عليّ، الذين يظهرون أمره وينشرون فضله، أولئك تغشاهم الرحمة وتستغفر لهم الملائكة، والويل كلّ الويل لمن يكتم فضله وينكر امره، فما أصبرهم على النار»[1].

وفي الأمالي كما في البحار بإسناده عن الطالقانيّ، عن الجلوديّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمارة، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تبارك وتعالى جعل لأخي عليّ بن أبي طالب فضائل لا يحصى عددها غيره؛ فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرّاً بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ولو وافى بذنوب الثقلين، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر». ثمّ قال رسول الله ﷺ: «النظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل إيمان عبدٍ إلّا بولايته والبرائة من أعدائه»[2].

وفي المحاسن بإسناده عن حفص الدهّان قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ فوق

---

١. حلية الأبرار ١٢٧/٢ بتفاوتٍ يسير.

٢. أمالي الصدوق: ١٣٨، بناء المقالة الفاطميّة: ٣٦٩، جامع الأخبار: ١٤، روضة الواعظين ١١٤/١، كشف الغمّة ١١٢/١، كشف اليقين: ٤، المناقب ٢٠٢/٣، نهج الحقّ: ٢٣١.

كلّ عبادة عبادة، وحبّنا أهل البيت أفضل عبادة»[١].

وما أحسن ما قيل: الولاء حافظ للعمل فإن كان حسناً كثّره، وإن كان سيّئاً كفّره. وإلى هذاالمعنى أشار ابن أبي الحديد بقوله:

وإن طاف ناس بالمشاعر والصفا ... فقبرك ركني طائفاً ومشاعري

وإن ذخر الأقوام نسك عبادة ... فحبّك أوفى عدّتي وذخائري

وإن صام ناس في الهواجر حسبة ... فمدحك أسنى من صيام الهواجر

الخاتمة الثالثة: فيما جاء فيهم من القرآن

روى العيّاشيّ ـ على ما في الوافي ـ بإسناده عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا محمّد، إذا سمعت الله ذكر أحداً من هذه الأُمّة بخير فهم نحن، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممّن مضى فهم عدوّنا»[٢].

وعنه عن ابن مسكان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكّب الفتن»[٣].

وعن أبي جعفر الطوسيّ بإسناده عن الفضل بن شاذان، عن داوود بن كثير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أنتم الصلاة في كتاب الله عزّ وجلّ وأنتم الزكاة وأنتم الحجّ؟ قال: «يا داود، نحن الصلاة في كتاب الله عزّ وجلّ ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحجّ، ونحن الشهر الحرام، ونحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة

---

١. المحاسن ١/١٥٠.

٢. تفسير العيّاشي ١/١٣١.

٣. تفسير العيّاشي ١/١٣.

الله، ونحن وجه الله، قال الله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾[١]، ونحن الآيات ونحن البيّنات، وعدوّنا في كتاب الله الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأوثان والجبت والطاغوت والميتة والدم ولحم الخنزير.

يا داود، إنّ الله خلقنا وأكرم خلقنا وفضّلنا وجعلنا أُمنائه وحفظته وخزّانه على ما في السماوات وما في الأرض، وجعل لنا أضداداً فسمّانا في كتابه وكنّى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبّها إليه تكنية عن العدوّ، وسمّى أضدادنا وأعدائنا في كتابه وكنّى عن أسمائهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتّقين»[٢].

أقول: إذا كانت أسماء أعدائهم أبغض الأسماء إلى الله وإلى عباده المتّقين وهي من جملة القرآن كيف يتصوّر من عاقل تفضيلها أو تفضيل زبرها وخطّها على خيرته من خلقه وصفوته من بريّته.

وأمّا أحبّ الأسماء إليه فلا يجوز تفضيلها عليهم أيضاً وإلّا لزم تفضيل الاسم على المسمّى، واللفظ على المعنى، فإنّ الشرف لتلك الأسماء إنّما هو لانعكاس شيء من أشعّة نور المسمّين بها عليها، فشرفها عارضيّ بالنسبة إليهم. فجميع الأسماء على الإطلاق لا نسبة لها بفضلهم فضلاً على المزبور في الأوراق.

وإذا ثبت فضلهم على بعض القرآن ثبت فضلهم على جميعه إذ لا من قائل بالتفصيل، مع أنّ ربع القرآن بل ثلثه قد نزل في شأنهم وشأن أحبّائهم، وربعه الآخر أو ثلثه نزل في شأن أعدائهم. وبالجملة نصف القرآن أو ثلثاه نازل في شأنهم

---

١. البقرة: ١١٥.

٢. تأويل الآيات: ٢١.

وشأن أحبّائهم وأعدائهم.

ففي الكافي بإسناده عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: «نزل القرآن ثلث فينا وفي عدوّنا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام»[١].

وفيه بإسناده عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «نزل القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدوّنا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام»[٢].

ويرد هنا سؤال وهو أنّ ربع الفرائض والأحكام قد حصره الفقهاء واستخرجوه من القرآن فلم يبلغ إلّا قريباً من خمسمائة آية، والقدر المحقّق أنّها ليست بقدر الربع؟

وأُجيب بأنّه ليس المراد بالربع حقيقة بل المراد التجزية إلى هذه الأجزاء بمعنى انّ القرآن دائر بين هذه المعاني الأربعة وإن كان متفاوت في المقدار.

وعن العيّاشي بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «القرآن نزل أثلاثاً: ثلث فينا وفي أحبّائنا، وثلث في أعدائنا وعدوّ من كان قبلنا، وثلث سنّة ومثل، ولو أنّ آية نزلت في قوم ثمّ مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيءٌ ولكن القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكلّ قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شرّ»[٣].

وفي كتاب اللآلي العزيزيّة لابن جمهور: روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «كتاب الله على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطاف والحقائق؛ فالعبارة للعوام،

---

١. الكافي ٦٢٧/٢، تفسير العيّاشي ٩/١، الصراط المستقيم ٢٤٩/١.

٢. الكافي ٦٢٨/٢، تفسير العيّاشي ٩/١.

٣. تفسير العيّاشي ١٠/١.

والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»[١].

وليكن هذا آخر ما أردناه إيراده في هذا الكتاب المسمّى بـ«كشف الحجاب» طالبين من الكريم الوهّاب أن ينفع به الطلّاب، والمرجوّ من الإخوان والأعوان ترويج الكساد وإصلاح الفساد، فإنّ أوّل ناس أوّل الناس.

والحمد للّه أوّلاً وآخراً، وصلّى الله على محمّد نبيّه وعليّ وليّه وفاطمة بنته والحسن والحسين وعليّ ومحمّد وجعفر وموسى وعليّ ومحمّد وعليّ والحسن والمهدي صاحب الزمان ومولّي الأمان ومولى الأنام.

وكان الفراغ منه الساعة المباركة المنسوبة للإمام الثاني عشر لليلتين بقيتا من شهر عيد الفطر المبارك للسنة الثالثة والخمسين بعد المأة والألف من الهجرة المحمّديّة الغرّاء المحفوفة بالسّرّاء.

---

١. أعلام الدين: ٣٠٣، جامع الأخبار: ٤١، عوالي اللآلي ٤/١٠٥.

تعيين الثقل الأكبر: ٤

مقالة

في تعيين الثقل الأكبر

تأليف

الشيخ بهاء الدين محمّد العامليّ

المتوفّى ١٠٣١ هـ

أعدّها

مؤسّسة شمس الضحى الثقافيّة

مقدّمة التحقيق

بعد التتبّع التامّ في كتب أخبار الفريقين، و مجاميع الشيعة و السنّة، يجد الباحث الفاحص أنّ أخبار «الثقلين» على أصناف ثلاثة:

صنفٌ ما هو خال عن ذكر: «الأكبريّة» و نحوها ممّا يؤدّي مؤدّاها، بل متنه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين ـ أو مخلّفٌ ـ كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، و لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض. و لم يتعرّض لبيان أنّ أحدهما أكبر من الآخر.

و صنفٌ منها ذكر فيها لفظ الأكبر أو الأعظم، ولكن لم يصرّح بأنّ الأكبر أيّهما، و إن كان قدّم الكتاب على العترة الطاهرة، مثل قوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللّه و عترتي أهل بيتي».

و الصنف الثالث ما صرّح فيه بأنّ الأكبر كتاب اللّه، و الأصغر أهل بيتي، و كلّ صنف منها أخبارها كثيرة، و قد ادّعى تواترها جماعة من الفريقين.

و من الصنف الثالث ما رواه سعد بن عبداللّه في البصائر مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبد اللّه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: يا أيّها الناس، إنّي تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر و الثقل الأصغر، إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا و لن تتبدّلوا، فإنّي سألت اللّه اللطيف الخبير أن لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض، فأُعطيت ذلك. فقيل فما الثقل الأكبر؟ و ما الثقل الأصغر؟ فقال: الثقل

الأكبر كتاب اللّه عزّ و جلّ سبب طرفه بيد اللّه و طرف بأيديكم، و الثقل الأصغر عترتي أهل بيتي.

و قال عليّ أمير المؤمنين عليه السلام: أيّها الناس، خذوها عن خاتم النبيّين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّه يموت ممّن مات منّا و ليس بميّت، و يبلى من بلي منّا و ليس ببالٍ، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون، و اعذروا من لا حجّة لكم عليه، و أنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، و أترك فيكم الثقل الأصغر، و ركزت فيكم راية الإيمان، و وقفتكم على حدود الحلال و الحرام، و ألبستكم العافية من عدلي، و فرشتكم المعروف من قولي و فعلي، و أريتكم كرائم الأخلاق من نفسي، فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر، و لا يتغلغل إليه الفكر.

هذه الكلمات الذهبيّة فذلكة للبذرة الصالحة للتفكّر في المسألة، و لنعمة العبارة قول عليّ عليه السلام في آخر كلامه: «فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر، و لا يتغلغل إليه الفكر». و مع ذلك قد خاضوا في لجّه، و استغرقوا في أعماق بحاره، فتارة وجّهوا أفكارهم نحو كلام اللّه تبارك و تعالى، و إنّ التكلّم من الصفات الثبوتيّة، و لم يخالف بذلك أحد من المسلمين، و يكفي في إثبات هذه الصفة له بالإضافة إلى النصوص الكثيرة، الكتب المنزلة على أنبيائه كالتوراة و الإنجيل و القرآن، و لا خلاف من أحد من المسلمين في ذلك، و إنّما النزاع بينهم في أنّ كلامه حادث أو قديم، و قد برز هذا النزاع بين المعتزلة و المحدّثين، و نشط كلّ من الفريقين لتأييد مذهبه في هذه المسألة، و تراشقوا بالسباب و التفسيق و التهم المفتعلة، و لم يبلغ النزاع أشدّه إلّا بعد أن ظهر المعتزلة بفكرة خلق القرآن، و قد تأصّل العداء بينهم و بين غيرهم من العلماء، و أصبح اسم المعتزلة عند المحدّثين

و الفقهاء تعبيراً عن الإلحاد و الزندقة و التمرّد على نصوص الوحي، كما أصبح اسم المحدّثين و الفقهاء يمثّل الجمود و التقليد الأعمى للسلف.

و مهما كان الحال، فالمحدّثون و العلماء و أتباعهم الأشاعرة يدّعون أنّ الكلام صفة لِلّه سبحانه، و كلّ صفاته قديمة قائمة بذاته، و يعبّرون عن تلك الصفة بالكلام النفسيّ، أمّا الأصوات و الحروف و الكلمات الموجودة في الكتب السماويّة فليست كلاماً على وجه الحقيقة، و إنّما هي معبّرة عن كلامه و حاكية له، و قد تختلف بالأزمنة و الأمكنة و اللغات، و الكلام الحقيقيّ لا يختلف، و أمّا العبارات و الألفاظ و الحروف الحاكية لكلامه فقد خلقها في الأنبياء و الملائكة و في الشجرة التي كلّم موسى بواسطتها. و بالجملة، قد تعرّضنا للبحث حول الكلام النفسيّ في كتابنا الكبير «مناهج المعارف يا فرهنگ عقائد شيعه» المطبوع بطهران على التفصيل، فلا نطيل بذكره هنا.

أمّا المعتزلة فقد ذهبوا إلى أنّ كلام اللّه هو الألفاظ و الحروف الموجودة في التوراة و الإنجيل و القرآن، و قد خلقه في أذهان الأنبياء و الملائكة المبلّغين، و في الشجرة التي كلّمت موسى، كما خلق سائر الكائنات و الموجودات، و لا شيء غير ما في هذه الكتب يصحّ أن نسمّيه كلاماً، كما يدّعي الأشاعرة و أتباعهم، فتكون صفة التكلّم بالنسبة إليه تعالى إضافيّة كالخالق و الرازق.

و استدلّوا على ذلك بالأدلّة العقليّة و النقليّة: فكفى من العقل أنّه لو كان قديماً لزم وجود الأمر و الخبر في الأزل، و لا مأمور و لا سامع في تلك المرتبة، فيكون الأمر و الخبر سفهاً، و هو منزّه عن ذلك.

وكفى من النقل الآيات التي تنصّ على أنّه محدث كقوله تعالى: «ما يأتيهم من

ذكر من ربّهم محدث إلّا استمعوه و هم يلعبون»[١] و «ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلّا كانوا عنها معرضين»[٢] و «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»[٣] وكلمة «كن» جملة كلامه المتأخّر عن إرادته.

آيات ربّك جَمة التبيان تتلى على الدنيا بألف لسان

من ينكر الرحمن جلّ جلاله في خلقه يبصره في القرآن

و يلتقي الإماميّة مع المعتزلة في هذه المسألة، من حيث إنّ كلامه كسائر المحدثات التي أوجدها اللّه سبحانه، قال العلّامة الحلّيّ: «لا شكّ أنّ اللّه تعالى متكلّم على معنى أنّه أوجد حروفاً و أصواتاً مسموعة قائمة بالأجسام، كما كلّم موسى من الشجرة فأوجد فيها الأصوات و الحروف، و قد خالف الأشاعرة عقولهم و عقول سائر البشر، و أثبتوا له تعالى كلاماً لا يفهمونه هم و لا غيرهم».

و أضاف قائلاً: و العقل و السمع يتطابقان على أنّ كلامه محدث ليس بأزليّ، لأنّه مركّب من الحروف و الأصوات، و يمتنع اجتماع حرفين دفعة واحدة، فلا بدّ و أن يكون أحدهما سابقاً على الآخر. و المسبوق حادث بالضرورة. و السابق على الحادث بزمان متناه حادث بالضرورة أيضاً.

و في المرويّات عن أئمّة الشيعة ما يؤكّد أنّهم كانوا لا يستسيغون البحث و الجدل في هذا الموضوع لأنّ التشدّد في هذه المسألة ليس من الدين، فقد جاء في رواية الحسن بن خالد قال: قلت للإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: ما تقول في القرآن، أخالقٌ هو أم مخلوق؟ قال عليه السلام: «ليس بخالق و لا مخلوق،

---

١. الأنبياء: ٢.

٢. الشعراء: ٥.

٣. يس: ٨١.

و لكنّه كلام اللّه».

معركة فكريّة:

و من المسائل التي كثر فيها الجدال، و أكثروا فيها القيل و القال، كسائر المعارك التي كانت قائمة بين العلماء و الباحثين، من الفلاسفة و المتكلّمين و الفقهاء و المحدّثين، هي مسألة أكبريّة القرآن على العترة الطاهرة، أو تفضيل العترة على القرآن، فأسّسوا فيها مكتبين و لكلّ واحد منهما قائل. فمن القائلين بأكبريّة القرآن هو الإمام العلّامة المتكلّم المولى إسماعيل المازندرانيّ الخاجوئيّ الإصفهانيّ، فإنّه ألّف في هذا الموضوع كتاباً سمّاه: «تبصرة الإخوان في أكبريّة القرآن» وعندنا نسخة بخطّه الشريف، و قد كانت من متملّكات جدّنا العلّامة صاحب الروضات و في خزانة كتبه كأكثر تأليفات الخاجوئيّ، و لم يذكر جدّنا هذه الرسالة في ذيل ترجمة الخاجوئيّ و كأنّه قد كان متعمّداً في إخفاء أمر الرسالة، و كان ذلك أصلح بنظره الشريف.

و بالجملة، جرى البحث حول المسألة بين الخاجوئيّ و معاصره العلّامة السيّد صدر الدين ابن السيّد محمّد باقر الرضويّ القمّيّ شارح وافية الأصول في مجلس الضيافة، و قد ألّف في ردّه رسالة و هو قائل بتفضيل العترة على القرآن، كما أشار إليه جدّنا العلّامة في الروضات، و السيّد العلّامة عبد اللّه بن نور الدين ابن السيّد نعمة اللّه الجزائريّ في الإجازة الكبيرة، و قال: ناولني السيّد منها نسخة فلم ارتضها منه، و قلت له: أيّ ضرورة بنا إلى معرفة وجوه التفضيل؟ فاستحسن و استردّ الرسالة، و قال: سأغمسها في الماء لئلّا تشتهر منّي. و لكن مع ذلك اشتهر منهما.

فألّف في كلّ عصر علمائنا في المسألة كتباً و رسائل منها ما ألّفه العلّامة الشيخ

مكّي بن صالح البحرانيّ و سمّاه «كشف الحجاب في تفضيل العترة على الكتاب» وعندنا منه نسخة، و منها ما ألّفه العلّامة المتكلّم الفقيه الشيخ يحيى بن محمّد شفيع المستوفي البيدآباديّ الإصفهانيّ و سمّاه «روح الإسلام و الإيمان في معرفة الإمام عليه السلام و تفضيله على القرآن» و هو كتاب كبير جدّاً أحصى فيه الأدلّة و الأخبار، وعندنا منه نسخة.

حول هذه المقالة:

بين يديك أيّها القاري الكريم مقالة صدرت من يَراع الإمام العلّامة الفقيه المحدّث المتكلّم، جامع المعقول و المنقول، مرجع الشيعة في عصره، مولانا الشيخ بهاء الدين محمّد العامليّ المتوفّى سنة ١٠٣١ ق هـ، المعروف بالشيخ البهائيّ صاحب الكشكول، و جامع عبّاسي، و الحبل المتين، و كتب كثيرة أخرى. سأله ابن شدقم عن أفضليّة الكتاب على العترة أو بالعكس، فأجاب شيخنا البهائيّ في كمال الدقّة و المتانة و الفطانة، و مرّ على هامش المسألة مع السلامة في الجملة. و لمّا كانت تلك المقالة ملصقة بنسختنا من كتاب تبصرة الإخوان بخطّ العلّامة الخاجوئيّ أحببت إلحاقها بهذه الرسالة في الطبع، و قد تعرّض العلّامة الخاجوئيّ لردّ هذه المقالة في أواخر كتابه: تبصرة الإخوان تحت عنوان: «أوهامٌ و تنبيهاتٌ» جعلتها في معرض أفكار المحقّقين من زملائنا، عسى أن ننتفع من دقائق أنظارهم، و اللّه الموفّق.

تهران ـ المير سيّد أحمد الروضاتيّ

بسم اللّه الرحمن الرحيم

عرض العبوديّة لدى مولانا و سيّدنا، و شيخنا و قدوتنا، العلّامة الفقيه، و الإمام الفهّامة النبيه، قدوة المحقّقين، و عمدة المدقّقين، مولانا بهاء الملّة و الحقّ و الدين، أدام اللّه تعالى له السيادة و الرفعة، و العلاء المبين.

ينهي المملوك أنّ الحاجة داعية إلى عرض مسائل، نسأل من كرمه الجسيم تحقيقها و تنقيحها بدلائلها و أسانيدها، على أبلغ تقرير و أكمل تحرير، بحيث لم يرد عليها شيء من الإشكالات، كما هو محلّكم و مقامكم، لا زالت مرفوعة أعلامكم:

نقل عن بعض أهل الخلاف أنّ كلام اللّه تعالى القرآن بل حرفاً منه أفضل من النبيّ و آله عليهم السلام، و لم يذكر دليلاً، و لم نعرف الصواب فيه.

الجواب:

لمّا كان الكلام عند المخالفين معنى نفسيّاً، يزعمون أنّه صفة قديمة من صفاته تعالى، و كانت صفاته جلّ شأنه أفضل من خلقه، لزم من ذلك كون كلامه أفضل من خلقه من ملائكته و أنبيائه و سائر مخلوقاته، و أمّا الحقّ فالكلام عندنا حروف و أصوات جعلها سبحانه في بعض الأجسام كالشجرة و نحوها، و ليس صفة من صفاته، و إنّما صفته التكلّم لا الكلام، بل كلامه عزّ شأنه بعض مخلوقاته، فلو قلنا بمساواة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله للقرآن لم يكن ذلك خارجاً عن جادّة الأدب، بل لو ترقّينا بتفضيلهم عليه لم يكن في ذلك بُعد و لا شنعة، و اللّه يعلم.

و بعض مشايخنا العجم توقّف في الآل، و رجّح أفضليّة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله خاصّةً مستدلّاً بحديث: «لو لاك لما خلقت الأفلاك» و يشكل بعدم تسمية القرآن فلكاً.

الجواب:

لعلّ هذا القائل جعل خلق الأفلاك كناية عن خلق عالم الإمكان، تعبيراً عن الشيء بأعظم اجزائه.

و هل يدلّ على أفضليّتهم على القرآن حديث صفّين: «هذا كتاب اللّه الصامت و أنا كتاب اللّه الناطق» و ما الدلالة؟ إذ ليس كلّ ناطق أفضل من القرآن، و إلّا لكان كلّ إنسان كذلك إلّا أنّ كلّ ناطق من حيث كونه ناطقاً أفضل من الصامت من حيث كونه صامتاً، فأمير المؤمنين عليه السلام مساوٍ للقرآن من حيث هو أيضاً كتاب اللّه، و أفضل منه من حيث اختصاصه بالنطق، و ليس كذلك من ليس كتاب اللّه من الناطقين. و يثبت حينئذٍ أفضليّة النبيّ أيضاً لأنّه أفضل من عليّ عليهما السلام.

و يبقى الكلام عن باقي الأئمّة عليهم السلام، لكن ما تقولون في هذا الخبر، هل هو متواتر يقوم بحجّيّة ذلك، أم واحد صحيح، أم ضعيف ؟

الجواب:

لعلّ وجه الدلالة أنّه عليه السلام إنّما قال ذلك الكلام إزراء برأي مخالفيه لمّا انخدعوا برفع المصاحف على الرماح، و مالوا عنه، فغرضه عليه السلام أنّ الميل إليه هو الصواب، و هو يعطى الأفضليّة. لكن لقائل أن يقول: لعلّ غرضه عليه السلام أنّ القرآن لا يدعوكم إلى نفسه في ذلك الوقت بل هو ساكت عن ذلك، و أنا أدعوكم إلى نصرتي، و أكون مع الفرقة التي أنا إمامها، فكيف تعرضون عمّن يدعوكم في هذا

الوقت، و تستنصرون من هو صامت عن دعوتكم.

و على هذا فلا دلالة على الأفضليّة، و الخبر ليس متواتراً، و إنّما هو آحاد، و لا يحضرني كون سنده صحيحاً.

ثمّ قال السائل متّصلاً بما سبق منه، و كيف كان يشكل ذلك بقوله صلّى اللّه عليه و آله: إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً أحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللّه و عترتي أهل بيتي، الحديث. فإنّه متواتر المعنى، و ظاهره أفضليّة القرآن.

الجواب:

رأيت في كلام بعض قدمائنا أنّه صلّى اللّه عليه و آله لم يصرّح في هذا الحديث بأنّ أيّهما أكبر، بل أبهم الأمر و أخفاه، و لعلّ ذلك إخفاء مصلحة كإخفاء ليلة القدر، و الصلاة الوسطى. و ما يترآى من وجوب حمل الحديث على اللفّ و النشر المرتّب، و هو يقتضي أفضليّة الكتاب على العترة، فهو محلّ بحث. إذ اللفّ و النشر المعكوس شايع واقع في كلام البلغاء متداول في النظم و النثر.

و أيضاً النبيّ و أهل بيته عليهم السلام مقتدون بالقرآن، و مذهب أهل الحقّ وجوب أفضليّة الإمام المتبوع على المأموم التابع، فبأيّ الدليلين يعمل؟ و على أيّهما يعول من الأصحاب و المخالفين.

الجواب:

وجوب اقتدائهم عليهم السلام بالقرآن معناه وجوب العمل بما تضمّنه من الأحكام، و التصديق بما يشتمل عليه من الأخبار، فلنا أن نقول: هذا لا يقتضي كونه أفضل منهم كما إذا كتب السيّد بعبده كتاباً، و أمره بالاقتداء بمضمونه و العمل بما فيه، فإنّ ذلك لا تدلّ على أفضليّة الكتاب على ذلك العبد بشيء من الدلالات. و

هذا تمام الكلام في جواب المسألة.

هذا هو الموجود في نسختنا التي هي بخطّ مولانا إسماعيل الخاجوئيّ. ولكن قال شيخنا العلّامة الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ في الذريعة: ج ٥ ص ٢٠٩ ما نصّه:

جوابات السيّد زين الدين عليّ بن الحسن الشدقميّ الحسينيّ المدنيّ، لشيخ الإسلام بهاء الدين العامليّ المتوفّى (١٠٣١) كتبه الشيخ البهائيّ على هامش مسائل ابن شدقم على نحو التعليق، و جعل رمزه «ب هـ» و كتب في آخر المسائل: «بسم اللّه الرحمن الرحيم، بحمدك اللّهمّ افتتح الكلام ... و بعد، فقد تشرّفت بالوقوف على هذه المسائل» ثمّ أطرى السائل و ذكر اسمه و نسبه. و أمّا مسائل ابن شدقم هذا و يقال لها: «المسائل المدنيّات» فهي ستّ مسائل في كلّ منها جهات من البحث أوّلها بعد البسمله: «بعد عرض العبوديّة و الإخلاص لدى مولانا و سيّدنا ... بهاء الملّة و الدين» و تاريخ السؤال عاشر المحرّم (١٠١٣) و إمضاء السائل: عليّ بن الحسن بن شدقم. رأيت منه نسخاً، منها ضمن مجموعة في كتب الشيخ موسى الأردبيليّ المتوفّى بالنجف (١٣٥٩) و هي بخطّ الشيخ خليفة بن يوسف النجفيّ، فرغ منه في (٩ ـ ج ٢ ـ ١١١٤) نقلاً لها عن نسخة خطّ ابن شدقم، انتهى كلامه.

و كذلك ذكر خصوصيّات النسخة مرّة أخرى في الذريعة: ج ٢٠ ص ٣٦٦ تحت عنوان: «المسائل المدنيّات». فيظهر منها أوّلاً أنّ السائل هو ابن شدقم، و الثانى أنّ المسائل كان ستّاً إحداها حول أكبريّة القرآن أو العترة، و الثالث تاريخها (١٠١٣ ق) و الرابع يظهر منها أنّ المسألة كانت معنونة بين العلماء قبل مولانا

إسماعيل الخاجوئيّ بقرن واحد، و لعلّه كانت مطرحاً قبل شيخنا البهائيّ أيضاً و لم يصل إلينا، و الخامس أنّ الغرض من إخفاء المسألة و عدم نشرها لو كان بملاحظة عدم ترتّب الفائدة أو الإهانة بشموخ الثقلين: القرآن و العترة، انكسر سدّه بتعرّض أمثال شيخنا البهائيّ و مولانا الخاجوئيّ، فصارت مورداً للبحث و النقد في الجوامع العلميّة و ألّف العلماء في كلا الموضوعين تأليفات و رسائل فحقّقوا و أفادوا، و أكبرها كتاب روح الإسلام و الإيمان في تفضيل العترة على القرآن في ٦٠٩ صفحة بقطع كبير، فليراجع.

و قد فرغت من تحقيق هذه المقالة المختصرة في السابع من رجب سنة ١٤١٣ هـ ثلاث عشرة و أربعمائة بعد الألف قمريّة هجريّة بمناسبة مرور ألف سنة على وفاة شيخنا الإمام العلّامة الشيخ المفيد أعلى اللّه مقامه بطهران عاصمة إيران، و أنا العبد المير سيّد أحمد الروضاتيّ ابن السيّد محمّد باقر ابن السيّد جلال الدين ابن السيّد محمّد مسيح ابن صاحب الروضات. و الحمد للّه أوّلاً و آخراً.

تعیین الثقل الأکبر: ۵

بخشی از

منبر الوسیلة

تألیف

آیة‌الله العظمی سیّد ابوالقاسم دهکردی اصفهانی

درگذشتهٔ ۱۳۵۳ ه

به کوشش

مؤسّسهٔ فرهنگی شمس الضحی

زندگی‌نامهٔ حضرت آیة‌الله العظمی سیدابوالقاسم دهکردی اصفهانی*

ولادت

تولّد ایشان بنابر نوشته خودشان از این قرار است:

تاریخ تولّد حقیر که مرحوم خُلد مقام والد السیّد الجلیل النبیل به خط مبارک نوشته: تاریخ تولد نور چشمی از عمر و جان برخورداری سید ابوالقاسم بین الطلوعین نیم‌ساعت تخمیناً به طلوع آفتاب روز شنبه غُرّه (نیمه) شهر رجب ... سنه ۱۲۷۲ هجری قمری در قصبه دهکرد[۱] بوده است.

پدر و مادر

پدر ایشان عالم ربّانی آیة‌الله سید محمّدباقر دهکردی از علمای عالی رتبهٔ عصر خود بوده و در خدمت حاج ملامحمّد ابراهیم کلباسی رحمه‌الله مدت پانزده سال شاگردی کرده است و به واسطهٔ زهد و تقوا و ورعی که مرحوم کلباسی از او دید در زمرهٔ

---

* . این زندگی‌نامه براساس متن نوشته شده آقای مجید جلالی دهکردی که بر کتاب منبر الوسیله به عنوان مقدمه نوشتند، با تلخیص و ویرایش، تنظیم شد.

۱. دهکرد همان شهرکرد فعلی است که مرکز استان چهارمحال بختیاری می‌باشد و از استان‌های هم‌جوار اصفهان است.

خواصّ اصحاب وی گردید. سید محمّدباقر بیشتر اوقات انیس و جلیس حاجی کلباسی بود. چنان که هنگام اقامت در اصفهان در منزل ایشان سکونت نمود و تربیت و تعلیم فرزندان حاجی را به عهده گرفت، از جمله میرزا ابوالمعالی کلباسی﵀ که تحصیلات مقدماتی خود را نزد سید محمّدباقر فراگرفت.

بعد از ازدواج سید محمّدباقر با صبیّهٔ آخوند ملامحمّد ابراهیم دهکردی، طبق تقاضای اهالی شهرکرد، ایشان به آن شهر بازگشت و سال‌ها در ترویج اسلام و نشر احکام سعی و تلاش نمود. محمّدرضا خان چالشتری، حاکم وقت چهارمحال، مسجدی عالی به نام خان ساخت و امامت آن را به آیةالله سید محمّدباقر دهکردی واگذار کرد. این مسجد، اکنون به نام مسجد جامع شهرکرد در مرکز شهر معروف است.

سید محمّدباقر دارای پنج پسر عالم و روحانی بود که معروف‌ترین آنها آیةالله سید ابوالقاسم دهکردی است.[۱]

مادر سید ابوالقاسم، دختر عالم ربّانی و فقیه صمدانی آخوند ملامحمّدابراهیم دهکردی (جدّ اعلای راقم این سطور) زنی شایسته، عفیف، باسخاوت و اهل تهجّد بود. آخوند ملامحمّدابراهیم از شاگردان مُبرَّز سید، حجةالاسلام شفتی، بوده و از او اجازهٔ اجتهاد داشته است.

ملامحمّدابراهیم در اصفهان ساکن و در مسجد محله نو (بید آباد) سال‌ها امام جماعت بود. سپس طبق تقاضا و اصرار اهالی شهرکرد، از طرف حجةالاسلام علی الاطلاق آیةالله العظمی سید محمّدباقر شفتی﵀ به سِمَت امام جمعه و جماعت شهرکرد منصوب می‌شود و سال‌ها در آن سرزمین به اسلام و مسلمین خدمت

---

۱. شرح حال فرزندان دیگر پدر مؤلّف در صفحات بعدی خواهد آمد.

می‌نماید.[۱]

تحصیلات

آیة‌الله دهکردی در این‌باره گوید:

> در سنّ یازده سالگی یا دوازده سالگی از مسقط الرأس (زادگاه) خود قصبهٔ دهکرد چهارمحال آمدم در مدرسه صدر اصفهان که الآن محل تدریس حقیر است. هنگام ظهر روز شنبه دهم ربیع‌الاوّل سنهٔ ۱۲۸٤ق مشغول به خواندن نصاب و امثله شدم در خدمت اخوی بزرگ آقاسید محمّدجواد که عالم و مدرّس و مجاز به اجتهاد بود.[۲]

بعد از فراغ از مقدمات و سطوح، مشغول درس خارج فقه و اصول و حکمت شده و در سنّ بیست و پنج سالگی اساتید ایشان تصدیق اجتهاد او را نموده‌اند و لذا ترک تقلید کرده و نمازهای گذشته را قضا نمودند.[۳]

استادان ایشان در اصفهان

۱. عالم ربّانی و فقیه صمدانی، سید محمّدجواد دهکردی‌ﷺ برادر بزرگ سید ابوالقاسم: وی از علما و مدرسین مدرسه صدر و دارای اجازهٔ اجتهاد از بزرگانی همچون میرزا محمّدهاشم چهارسوقی بوده است.[٤]

---

۱. شناخت سرزمین چهارمحال، ج ۱، ص ۵۹۳.
۲. المسلسلات، ج ۲، ص ۳۳.
۳. زندگانی آیة‌الله چهارسوقی، ص ۱۹۱.
٤. المسلسلات، ج ۲، ص ۳۳، شرح حال وی و دو فرزندش در ذیل عنوان «خاندان دهکردی» خواهد آمد.

۲. عالم ربّانی و اصولی محقق میرزا ابوالمعالی کلباسی ﷺ (۱۲٤۷ـ۱۳۱۵ق): وی فرزند حاجی کلباسی از شاگردان میر سید حسن مدرس است. میرزا ابوالمعالی جامع معقول و منقول و از اکابر علما و مجتهدین به شمار می‌رفته است و در غایت زهد و تقوا می‌زیسته و صاحب تألیفات بسیار از جمله کتاب بشارات در علم اصول است. جمع کثیری از بزرگان و علما و مجتهدین از شاگردان ایشان محسوب می‌شوند که از معروف‌ترین آنها آیة‌الله العظمی بروجردی ﷺ می‌باشند.[۱]

۳. حضرت آیة‌الله العظمی حاج شیخ محمّدباقر نجفی ﷺ (۱۲۳۵ـ۱۳۳۰ق): ایشان فرزند شیخ محمّدتقی صاحب هدایة المسترشدین در شرح کتاب معالم الأصول است. حاج شیخ محمّدباقر از شاگردان صاحب جواهر و شیخ اعظم انصاری و شیخ حسن کاشف الغطا دایی خود، بوده‌اند. وی صاحب تألیفات چندی از جمله لُبُّ الأُصول و لُبُّ الفقه است.[۲]

٤. حکیم متألّه حاج ملااسماعیل حکیم دربکوشکی (متوفی ۱۳۰٤ق): آخوند ملااسماعیل از اجلّهٔ حکما و مدرسین در اصفهان و از شاگردان سیّد رضی رشتی و میرزا حسن نوری (فرزند آخوند ملا علی نوری) بود. از شاگردان معروف ملااسماعیل دربکوشکی می‌توان جهانگیرخان قشقائی و سید ابوالقاسم دهکردی را ذکر نمود.

۵. فقیه اهل البیت آیة‌الله میرزا محمّدحسن نجفی: فرزند آقا محمّدعلی نجفی، فقیه مجاز از میرزای قمی و فاضل نراقی ﷺ، میرزا محمّدحسن از شاگردان صاحب جواهر و از وی مجاز به اجتهاد مطلق بود و جمع کثیری از علما از تلامذهٔ وی

---

۱. تذکرة القبور یا دانشمندان اصفهان، ص ۱۰۵.

۲. فوائد الرضویه، ص ٤۰۹؛ تذکرة القبور، ص ۱٦۰.

بوده‌اند.[۱]

٦. عالم ربّانی ملامحمّدباقر فشارکی (متوفی ١٣١٤ق): وی یکی از بزرگان قرن سیزدهم و چهاردهم هجری قمری و از شاگردان سید حسن مُدرّس استاد میرزای شیرازی بود و کتاب عُنوان الکلام از اوست. مَنابِر آن عالم روحانی بسیار معروف و پرشور بوده، ایشان در تخت فولاد اصفهان مدفون هستند.[۲]

هجرت به عتبات عالیات

ایشان در سال ۱۳۰۱ هجری قمری در سنّ ۲۹ سالگی ازدواج نموده و در همان سال به حکم استخاره و اصرار بعضی از اولیای خدا، به عزم عتبه بوسی حضرت امیرالمؤمنین علیه‌السلام و تکمیل تحصیلات، در حالی که مجتهد مسلّم هم بوده‌اند عازم زیارت ائمهٔ عراق می‌شوند و مدتی در بلدهٔ طیّبهٔ سامرا اقامت گزیده و پس از آن، به اشارهٔ عالم ربانی ملافتح‌علی سلطان‌آبادی رحمه‌الله و به حکم استخاره به عزم اقامت در نجف از سامرا خارج شده و در بین راه به زیارت خامس آل‌عبا أباعبدالله الحسین علیه‌السلام در کربلای معلّی مشرف می‌شوند.

اساتید ایشان در سامرا و نجف‌اشرف

الف) سامرا

۱. حضرت آیةالله العظمی میرزا محمّدحسن شیرازی (۱۲۳۰ـ۱۳۱۲ق) صاحب حُکم معروف تحریم تنباکو: وی از شاگردان شیخ محمّدتقی صاحب هدایة المسترشدین و سید حسن مدرس در اصفهان بوده و از اعاظم و بزرگان تلامذهٔ شیخ

---

۱. المسلسلات، ج ۲، ص ۳۵.

۲. فوائد الرضویه، ص ٤٠٤.

مرتضی انصاری در نجف‌اشرف محسوب می‌گردد.[۱]

۲. عالم ربانی و عارف صمدانی ملافتح‌علی سلطان‌آبادی (متوفی ۱۳۱۸ق): ایشان از شاگردان و ملازمین میرزای شیرازی و صاحب کرامات و مقامات معنوی و در تفسیر قرآن کریم استاد مسلّم بوده است. در این‌باره حضرت آیة‌الله العظمی حکیم در حقایق الأُصول ضمن بحث در بُطون قرآن می‌فرمایند:

بعضی از اعاظم ـ دام تأییده ـ برای من نقل کرد که روزی حاضر شدم در منزل آخوند (ملا فتح‌علی ﷺ) با جماعتی از اعیان از آن جمله سید اسماعیل صدر و حاجی‌نوری و سید حسن صدر ﷺ، آخوند این آیه شریفه را تلاوت نمودند: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ ...** ﴾.[۲]

سپس شروع نمودند در تفسیر قوله تعالی حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ و تا سی روز هر روزی یک تفسیر و یک معنا از این آیه شریفه فرمودند که موجب تعجّب و شگفتی حاضرین در جلسه شده بود (رحمة‌الله علیه رحمة واسعة).[۳]

آیة‌الله دهکردی درباره ملافتح‌علی سلطان‌آبادی می‌نویسد:

... و بود اکثر استیناس حقیر در اقتباس معارف و اسرار توحید با عالم ربّانی حاجی ملافتح‌علی سلطان‌آبادی ﷺ.[٤]

---

۱. الکُنی والألقاب، محدث قمی، ج ۳، ص ۲۲٦؛ المسلسلات، ج ۲، ص ۳۵.

۲. سورهٔ حجرات (٤۹)، آیهٔ ۷.

۳. حقایق الأُصول، ج ۱، ص ۹۵.

٤. زندگانی آیة‌الله چهارسوقی، ص ۱۹۳، برای شرح بیشتر دربارهٔ زندگانی آخوند ملافتح‌علی ﷺ

۳. حاج میرزا حسین نوری معروف به محدّث نوری‌ﷺ صاحب مستدرک الوسائل (۱۲۵٤ـ ۱۳۲۰ق): حاجی نوری یکی دیگر از اساتید و مشایخ اجازه آیة‌الله سید ابوالقاسم دهکردی بوده که سید اُنس خاصّی با این استاد داشته و در اخذ معارف اسلام از این استاد استفاضه بسیار نموده‌اند.

ب) نجف‌اشرف

بعد از مدتی که آیة‌الله دهکردیﷺ در سامرا مشغول تحصیل بوده‌اند به اصرار عالم ربانی آخوند ملافتح‌علی سلطان‌آبادیﷺ که به ایشان فرموده بودند: تو اهل تحصیلی، این‌جا (سامرا) درس قائم به شخص واحد است (مراد میرزای بزرگ شیرازی بوده) و به جهت کثرت مشاغل و مرجعیّت و ضعف حال، تعطیلات او زیاد است.[1] سیّد بزرگوار ما، عازم نجف می‌شوند که البته در این بین، مدتی هم در کربلای معلّی اقامت گزیده‌اند.

۱. فقیه اهل البیت، شیخ زین‌العابدین مازندرانیﷺ (متوفّی ۱۳۰۹ق): ایشان از شاگردان صاحب ضوابط و صاحب جواهر در نجف‌اشرف بوده‌اند و در مازندران در خدمت سعیدالعلما تحصیل نموده‌اند.

وی شدیدالمواظبه بر نوافل بوده است و کتاب ذخیرة المعاد از تألیفات اوست. شیخ زین‌العابدین مازندرانی متجاوز از صد سال عمر نموده‌اند و بعد از فوتشان در بقعه‌ای که برای ایشان در نزد باب قاضی الحاجات صحن شریف امام حسین علیه‌السلام

← رجوع شود به تاریخ حکما و عرفا، ص ۱٤۲ـ۱٤۷.

۱. المسلسلات، ج ۲، ص ۳۵.

معین شده بود دفن گردیدند.[۱]

۲. علّامه محقّق، میرزا حبیب‌الله رشتی ﷺ (متوفی ۱۳۱۲ق): وی از اعاظم شاگردان شیخ مرتضی انصاری ﷺ و صاحب تألیفات کثیر، از جمله کتاب الغصب در فقه و بدائع الأفکار در علم اصول می‌باشد.

آیة‌الله دهکردی مدت هفت سال در درس فقه و اصول میرزا حبیب‌الله حاضر می‌شده و تقریرات درس ایشان را هم نوشته‌اند که به نام تنقیح الأُصول می‌باشد.

۳. آخوند ملامحمّدکاظم خراسانی ﷺ: (متوفی ۱۳۲۹ق) صاحب کفایة الأُصول: آخرین استاد نجف آیة‌الله دهکردی می‌باشند که معظّم‌له در درس فقه و اصول آخوند خراسانی شرکت می‌نموده‌اند.[۲]

آخوند خراسانی از اجلّه تلامذهٔ شیخ انصاری و میرزای شیرازی بوده‌اند. وی صاحب تألیفاتی هستند که معروف‌ترین آنها، کفایة‌الأُصول است.

مشایخ اجازهٔ اجتهاد و روایت

آیة‌الله دهکردی علمایی را که نام شریف آنان در ذیل آمده، از مشایخ اجازه خود دانسته‌اند:

۱. سید العلماء المتبحرین آمیرزا هاشم چهارسوقی

۲. شیخ العلماء العاملین آمیرزا محمّد حسن نجفی

۳. قدوة الفقهاء الکاملین آخوند ملا محمّدباقر فشارکی

٤. علامة العلماء المحققین آخوند ملا محمّدکاظم خراسانی

۵. عالم ربّانی حاجی میرزا حسین نوری

---

۱. فوائد الرضویه، ص ۱۹٦.

۲. زندگانی آیة‌الله چهارسوقی، ص ۱۹۳.

٦. شیخ الفقهاء و المجتهدین زین العابدین مازندرانی[۱]

بازگشت به اصفهان

مرحوم سیّد ابوالقاسم دهکردی پس از هفت سال اقامت در نجف‌اشرف و استفاده‌های علمی و معنوی از اساتید آن دیار، در حدود سال ۱۳۰۹ هجری قمری به اصفهان برگشتند. و این در حالی بود که ایشان مدت ۲۵ سال مشغول تحصیل علم بودند؛ زیرا گفتیم که معظّم‌له در سال ۱۲۸٤ قمری وارد حوزهٔ علمیهٔ اصفهان شدند و از اساتید و بزرگان این حوزه مدت هفده سال استفاده‌های علمی و معنوی نمودند. و اساتید ایشان در سنّ ۲۵ سالگی اجتهاد مطلق ایشان را تأیید نمودند، ولی در سنّ ۲۹ سالگی و در سال ۱۳۰۱ هجری قمری ـ چنانچه گذشت ـ به حکم استخاره و اصرار بعضی از اولیای خدا عازم زیارت ائمهٔ عراق شدند. چنان‌که نقل نمودیم مدتی ظاهراً حدود یکی دو سال در سامرا از اساتیدی چون میرزای بزرگ شیرازی، ملافتح‌علی سلطان‌آبادی، مُحدّث نوری کسب علم و معرفت نموده و سپس عازم کربلا شدند و در آن‌جا اقامت مختصری داشتند و بعد از کربلا، عازم نجف‌اشرف شدند. در این مدّت که هفت سال طول کشید از درس فقه و اصول محقق رشتی و آخوند خراسانی تغمّدهما الله برحمته بهرهٔ کافی و حظّ وافری می‌برند. البته در کنار تحصیل علم، ایشان مشغول تهذیب نفس و عبادت و توسل به ائمهٔ طاهرین، مخصوصاً مولا و آقایمان حضرت بقیةالله الأعظم امام زمان (عجّل الله تعالی فرجه الشریف) بوده‌اند، چنان‌که خود می‌نویسد:

وکُنت شدید الأُنس بالمسجد السهلة حتّی وَرَدَ عَلَیَّ فیه فُیوضات کثیرة.[۲]

---

۱. المسلسلات في الاجازات، ج ۲، ص ۲۸ ـ ۳۱؛ زندگانی آیةالله چهارسوقی، ص ۱۹٤.

۲. زندگانی آیةالله چهارسوقی، ص ۱۹۳، ترجمه: من اُنس زیادی با مسجد سهله داشتم تا اینکه بر

آیة‌الله دهکردی سرانجام بعد از ۲۵ سال کسب علم و معرفت در رشته‌های مختلف علوم اسلامی از فقه و اصول و تفسیر و حکمت و حدیث و معارف و اخلاق، در سال ۱۳۰۹ هجری قمری و در سنّ ۳۷ سالگی با دستی پر از علوم و معارف قرآن و اسلام به اصفهان برمی‌گردند و علما و فضلا و اقشار مختلف مردم از نعمت وجود این عالم ربانی و فقیه صمدانی و عارف وارسته کسب علم و اخلاق و معارف قرآن و دستورات اسلام را می‌نمایند. ایشان در مدرسه صدر بازار اصفهان مشغول به تدریس خارج فقه و اصول می‌شوند و در ایّام تعطیل دروس حوزه به تدریس تفسیر و اصول کافی و رجال و درایه می‌پردازند.[۱]

تدریس ایشان، بیش از چهل سال، یعنی تا سال ۱۳۵۳ هجری قمری که زمان فوت ایشان می‌باشد، ادامه داشته و در این مدت طولانی، عدهٔ زیادی از علما و فضلا و روحانیون از محضر این عالم ربانی و فقیه اهل‌البیت علیهم‌السلام بهره‌مند گشته‌اند.

آیة‌الله دهکردی رحمه‌الله خود در این‌باره می‌فرمایند:

> و از اصحاب مباحثه حقیر از برکت امام عصر ـ ارواحنا له الفداء ـ جمع کثیری به درجه علم و تقوا و اجتهاد رسیده و از حقیر مجاز شده و در سایر اصقاع و بلاد مشغول ترویج شریعت مقدسه و تدریس هستند.[۲]

شیخ آغا بزرگ تهرانی در نقباء البشر می‌نویسد:

> السید ابوالقاسم الدهکردي ـ هو السید ابوالقاسم بن محمّدباقر الدهکردي الأصفهاني ـ عالم کبیر و خطیب بارع، کان في النجف

← اثر (عبات و راز و نیاز) ـ در این مسجد فیضهای زیادی نصیب من شد.

۱. المسلسلات، ج ۲، ص ۳۵.

۲. زندگانی آیة‌الله چهارسوقی، ص ۱۹٤.

الأشرف من تلاميذ العلامة ميرزا حبيب‌الله الرشتي وغيره، و بعد تكميله عاد إلى إصفهانى مشغولاً بترويج الدين من التدريس والوعظ والإرشاد وكان يحضر درسه في مدرسة الصدر بإصفهان أكثر من ثلاثين فاضلاً ويحضر مجلس وعظه ولا سيّما في شهر رمضان خلق كثير من العوام والخواص... وله تصانيف منها منبر الوسيلة المطبوع مجلده الأوّل واللمعات في شرح دعاء سمات وغيرهما.[1]

آیة‌الله العظمی سید ابوالقاسم دهکردی، در اصفهان صاحب منصب مرجعیت نیز بوده و جمعی از اهالی اصفهان و شهرکرد و بلاد دیگر از ایشان تقلید می‌نمودند و رسالهٔ عملیه ایشان به نام هدایة الأنام مکرراً چاپ شده و در دسترس مقلدین معظّم‌له قرار گرفت. غیر از این رساله فارسی، ایشان حواشی بر رساله نُخبه حاجی کلباسی و جامع عباسی شیخ بهائی قدس سره نیز دارند.

یکی دیگر از کارهای گرانبهای علمی آیة‌الله دهکردی، تألیف کتاب‌های متعدد (در حدود ۲٤ جلد) در فقه، اصول، تفسیر، حدیث، اخلاق، عرفان است. که در بخش تألیفات از آنها نام می‌بریم.

آیة‌الله دهکردی سال‌ها امامت جماعت مسجد سُفره‌چی (سُرخی) واقع در خیابان چهارباغ پایین و مسجد شیخ الاسلام واقع در خیابان عبدالرزّاق را به عهده داشتند و در بعضی از ایّام خصوصاً ایّام ماه مبارک رمضان و لیالی قدر به ایراد سخنرانی و موعظه و اقامهٔ مراسم احیا اقدام می‌نمودند.

---

۱. نقباء البشر، ج ۱، ص ٦۱.

شاگردان

شاگردان ایشان و صاحبان اجازه اجتهاد و روایت از ایشان عبارتند از:

۱. آیة‌الله العظمی بروجردی رحمه‌الله.

۲. آیة‌الله العظمی امام خمینی رحمه‌الله.

۳. آیة‌الله العظمی سید شهاب‌الدین مرعشی نجفی رحمه‌الله.

٤. آیة‌الله حاج سید یوسف خراسانی رحمه‌الله.

٥. آیة‌الله سید عبدالحسین طیب رحمه‌الله.

٦. آیة‌الله حاج آقا رحیم ارباب.

۷. آیة‌الله سید محمّدتقی موسوی اصفهانی رحمه‌الله.

۸. بانوی مجتهدهٔ ایرانی سیده نصرت امین (رحمها الله).

۹. آیة‌الله سید حسن چهارسوقی رحمه‌الله.

۱۰. آیة‌الله سید محمّدباقر رجائی مدّظلّه.

و بسیاری دیگر.

تألیفات

یکی دیگر از برکات و خدمات گرانبهای آیة‌الله دهکردی تألیف کتاب در علوم و فنون مختلف، چون فقه و اصول و تفسیر و اخلاق و معارف و عرفان می‌باشد، اگرچه جز چند جلد از آن‌ها تا کنون چاپ نشده است.

کتب فقهی

۱. شرح بر شرائع، دو جلد در طهارت و بیع.

۲. حاشیه بر مکاسب.

۳. المتاجر، تقریر درس محقق رشتی.

٤. حاشیه بر جامع عبّاسی (چاپ شده).

٥. حاشیه بر نُخبه حاجی کلباسی (چاپ شده).

٦. رساله‌ای در طهارت.

٧. رسالهٔ فقهیّه در قبض.

٨. رساله عملیه جهت مقلدین به نام هدایة الأنام (مکرر چاپ شده).

کتب اصولی

٩. تنقیح الأُصول، تقریرات درس محقق رشتی با نظریات آیة‌الله دهکردی در بحث الفاظ علم اصول.

١٠. حاشیه بر رسائل شیخ انصاری.

کتب تفسیر و حدیث

١١. ینابیع الحکمة در تفسیر.

١٢. حاشیه بر تفسیر صافی.

١٣. شرح بر اصول کافی (چنان که در الوسیله فرموده‌اند).

١٤. حاشیه بر وافی.

١٥. شرح کتاب من لایحضره الفقیه، فارسی از کتاب قضا به بعد.

١٦. اللمعات فی شرح دعا سمات.

١٧. الذخیرة فی الأدعیه والختومات المجرّبه.

١٨. شرح حدیث حقیقت کمیل بن زیاد (در الوسیله ذکر شده).

کتب اخلاقی و عرفانی

١٩. جنة المأوی در اخلاق.

۲۰. الاخلاق.
۲۱. منبر الوسیله، دو جلد (چاپ شده).
۲۲. بشارات السالکین یا واردات غیبیه.
۲۳. السوانح واللوائح (تاریخ اقامت آیةالله دهکردی در شیراز).
۲٤. الفوائد، مجموعه‌ای پر فایده.[۱]

وفات

سرانجام بعد از ۸۱سال و سه ماه عُمر بابرکت که نزدیک هفتاد سال آن در راه تحصیل علم و معرفت و تقوا و تربیت شاگردان و تهذیب نفس و تبلیغ و ترویج دین اسلام و تألیف کُتب سپری شده بود، روح عالم ربانی و عارف واصل به ملکوت اعلا پیوست و جمع مشتاقان و مریدان و خویشان خود را به درد فراق مبتلا نمود. در روز ارتحال ایشان، یکشنبه ششم شوال ۱۳۵۳، شهر اصفهان یکپارچه عزادار شد و مغازه‌ها تعطیل شد و در روز هفتم شوال پیکر آیةالله دهکردی از مسجد حکیم به طرف زینبیه (منسوب به حضرت زینب دخت موسی بن جعفر علیهما السلام) حرکت داده شد و جمعیت زیادی با پای پیاده در تشییع پیکر این عالم و فقیه اهل‌البیت شرکت نمودند، سپس پیکر ایشان را در زینبیه دفن نمودند (رحمة الله علیه رحمة واسعة).

آیةالله العظمی مرعشی نجفی در این‌باره می‌نویسد:

> توفي حجةالإسلام الورع التقي النقي الحاج السيد أبوالقاسم الموسوي الدهكردي نزيل اصفهان، شهر شوال سنة ۱۳۵۳ ببلدة إصفهان وكان يوم وفاته مشهوداً وأقيمت له المآتم بها وسائر البلاد

---

۱. تألیفات ذکر شده از مصنّف در این کتب مذکور است: المسلسلات، ج ۲، ص ۳۱ـ۳۵، تذکرة القبور، ص ۹۳ و ۹٤؛ ریحانة الادب، ج ۲، ص ۲٤٤؛ نقباء البشر، ج ۱، ص ٦٦.

منها بلدة قم المشرفة وعطلت الأسواق بإصفهان وكان مُقلّداً أيضاً، وهو من مشائخنا في الرواية، اجتمعت به بقم المشرفة وبإصفهان. وقبره خارج اصفهان بقرية «ارزنان» التي بها قبر منسوب إلى زينب بنت الإمام الكاظم عليه السلام....[1]

---

۱. المسلسلات فی الإجازات، ج ۲، ص ۳۲ به نقل از وفیات الاعلام.

قرآن ثقل اکبر است یا عترت؟

یکوقتی یکی از علمای معاصرین (طاب ثراه و جعل الجنّة مثواه) با حقیر این صحبت را میان آورده که: «ثقل اکبر کتاب الله است و او افضل است یا عترت است و آنها افضلند از قرآن؟» و ظاهراً آن عالم، تألیفی در این باب دارد و میلش با فضیلت عترت بود، من، در جواب ایشان گفتم: کلام الله را مراتب و شؤوناتی است و عترت را هم مقامات و عوالمی است. باید مقایسهٔ هر مرتبه و مقامی از این دو ثقل بزرگ را به دیگری معیّن و ممتاز نماییم تا بتوانیم کلامی بر وفق صواب بگوییم؛ علی سبیل الإطلاق، کلام، ناتمام است.

کلام الله در مرتبهٔ تقیّد او به کسوت نقوش بر الواح که عبارت از مابین الدفّتین باشد حادث است و مسمّی به «کتاب الله» است، از حیث کتب او، و به «قرآن» است از حیث خواندن او، معیّ است که فعل کاتب است که به توسّط مداد و قلم بر الواح موجود شده و این مرتبه از قرآن را اگر مقایسه کنیم با مرتبهٔ بشریّت ائمّهٔ هدی به شرط الجامعیّه که حاوی عالم طبع و مثال و عقل و مقام نورانیّت و جامع جمیع مراتب وجودی و کمالات امکانی است، البته عترت، ثقل اکبر خواهند بود؛ زیراکه احترام مابین الدفّتین، از باب این است که نقوشی است حاکی از کلام خدا که حاکی از علم خدا است و اصل آن علم را که مایهٔ شرافت آن نقوش است، امام داراست، و در این مرتبه، آنها، قرآن ناطق و قیّم قرآن صامت و مبیّن معانی و حدود او و مقیّد اطلاق و معمّم خاص‌های او هستند. این است که آنچه

امام بفرماید در تفسیر قرآن از بیان حدود معانی و تقیید اطلاقات او و تعمیم خاص‌های او و نسخ آیات و بیان محکمات و تأویل متشابهات او، مُتَّبَع و مُقَدَّم بر ظواهر اوست، به نظر ظاهری ما که مقصور است بر معانی محدوده در تحت قوالب الفاظ، و همین است معنای احادیث چندی که وارد شده که قرآن قیّم می‌خواهد که بیان او را بنماید تا حجّت بر خلق باشد و قرآن بدون امام که یقوم ببیانه و تفسیره و تنزیله و مورده و مصدره و تأویله وبطونه و محکمه و متشابهه و ناسخه و منسوخه، حجّت به او تمام نمی‌شود این است که فرمود «إنّهما لم یفترقا» یا «لن یفترقا» امکان ندارد از هم جدا شوند؛ [زیرا] علم قرآن، علم امام است و علم امام، علم قرآن است.

و اگر مرتبهٔ اطلاق قرآن مقایسه نماییم به مقام جامعیّت امام، مثل مقایسهٔ علم خداست به امام؛ چه این که قرآن، در مقام اطلاق نیست، مگر علم خداوند عالم و قدیم است و عین ذات است.

و اگر مرتبهٔ تعیّن قرآن به کلامیّت ملاحظه شود ـ که تعیّن معانی باشد به کسوت الفاظ مسموعه از جناب جبراییل، یعنی ما نَزَل به جبراییلُ علی سید المرسلین که معنای کلام الله است ـ با مرتبهٔ جامعیّت امام، باز امام، ثقل اکبر است؛ به جهت این که امام، به جامعیّت دارای علم قرآن هست و علاوه، فضائل و مقامات دیگر، منتهی الامر که آن که استماع الفاظ قرآن را ننموده و فضل قرآن، به مقام علمیّت او است، نه تعیّن او به عنوان کلامیّت.

و اگر این مرتبه از قرآن را مقایسه نماییم با مقام بشریّت امام، به شرط عدم ملاحظه انضمام مقام نورانیّت و علمیّت امام، البته، قرآن، ثقل اکبر است؛ چه فضل مقام علم بر مقام بشریّت بشرط لا، واضح است و فضل انسان به جهت مقام عقل و علم اوست.

و اگر مقایسه شود این مرتبه از قرآن با مقام بشریّت صرفه امام به شرط لا ـ که صرف جسد مبارکش باشد ـ هر دو محترمند؛ بدن امام محترم است به واسطهٔ آن که محلّ تعلّق نفس ملکوتی او بوده و قرآن در این مرتبه محترم است، به واسطهٔ آن که حاکی کلام خدا است، و در این مقایسه، قرآن، ثقل اکبر است؛ زیرا که جسد به شرط لا، شرافت او به محض این است که محلّ تعلّق نفس ملکوتی او بوده، و قرآن، در این مرتبه، منفکّ از حکایت از کلام خدا و علم خدا نیست.

و بالجمله یکی از امانت‌های خدایی در میان مردم، کتاب الله است، واقعاً در حفظ این امانت خیلی کوتاهی می‌شود! به احکام او عمل نمی‌شود! در قرائت او مسامحه می‌شود! و حال آن که اصل هر چیزی، در کتاب خداست، صحیح هر علمی از آنجاست، شفای امراض باطنیّه و نور هدایت الهیّه و مایهٔ انشراح صدر و سعهٔ قلب و قوّت نفس و وسیلهٔ قضای حوائج دنیا و آخرت حبل الله الممدود است؛ مَن تمسّك به نجی ومَن تخلّف عنه هلك.

حیف و صد دریغ که قدر این ثقل را نمی‌شناسیم و قیام به حفظ این امانت الهی نمی‌نماییم! می‌ترسم خدای نخواسته به سرحدّ تضییع برسد!

تعیین الثقل الأکبر: ۶

بخشی از

ولایت کلّیه

تألیف

آیة‌الله العظمی سیّد محمّد حسن میرجهانی

درگذشتهٔ ۱۴۱۳ ه

به کوشش

مؤسّسهٔ فرهنگی شمس الضحی

زیست‌نامه مؤلف*

آیت الله حاج سید محمّد حسن، فرزند علی میرجهانی طباطبایی، در روز دوشنبه بیست و دوم ذیقعده (۱۳۱۹ ق) برابر با (۱۲۸۰ ش) در خانواده سیادت و دیانت، در روستای محمد آباد جرقویه از توابع اصفهان دیده به جهان گشود.

وی در محیط خانواده پرورش یافت و در پنج سالگی برای تحصیل به مکتب خانه پا نهاد و در محضر ملاّی مکتب، قرآن و برخی از کتب فارسی را فراگرفت. در هفت سالگی شروع به تحصیل و یادگیری ادبیات عرب نمود.

مرحوم میرجهانی پس از مدتی برای تحصیل علوم دینی به اصفهان هجرت نمود و وارد حوزه علمیه اصفهان شد. وی پس از ورود به اصفهان وارد مدرسه صدر اصفهان شد و در آنجا سکنی گزید. او همانند دیگر طلاب علوم دینی در فراگیری و آشنایی با متون مقدمات، سطح و خارج، از اساتید متعددی بهره برد که برخی از ایشان عبارتند از: حجج اسلام و آیات عظام:

۱. شیخ محمد علی حبیب آبادی؛

۲. شیخ علی یزدی؛

۳. شیخ محمد علی فتحی دزفولی؛

٤. سید ابوالقاسم دهکردی؛

۵. میرزا احمد اصفهانی؛

---

* . این متن، از حالْنامهٔ مفصلی که به قلم جناب آقای عباسی نوشته شده بود، گزینش شد.

٦. سید محمد رضا رضوی خوانساری؛
۷. میرزا محمد رضا مسجد شاهی؛
۸. ملا حسین فشارکی.

آیت الله میرجهانی پس از تحصیل در مدرسه صدر اصفهان برای کسب فیض و درک محضر درس علمای نجف اشرف و عتبات عالیات، پس از کسب اجازه از محضر والد خود در (۱۳٤٦ ق) برابر با (۱۳۰٦ ش) از آن سامان رخت بربست و عازم عراق شد و پس از مدتی طی طریق وارد نجف اشرف شد. وی در نجف اشرف در دروس خارج اساتید متعدد شرکت نمود که برخی از ایشان عبارتند از آیات عظام:

۱. آقا ضیاء الدین عراقی؛
۲. شیخ عبدالله مامقانی؛
۳. حاج آقا حسین قمی؛
٤. سید محسن حکیم؛
٥. سید عبدالهادی شیرازی.

از جمله شخصیت‌های برجسته علمی نجف اشرف که آیت الله میرجهانی در محضر درس او حضور پیدا می‌کرد، آیت الله العظمی حاج سید ابوالحسن اصفهانی مرجع تقلید بزرگ آن روز شیعیان بود.

مرحوم میرجهانی به غیر از شاگردی ایشان، حکم ندیم و محرم اسرار آن زعیم عالی‌قدر شیعه را نیز داشت لذا کلیه اجازات صادره از ناحیه آیت الله اصفهانی به واسطه و به خط آیت الله میرجهانی نوشته و صادر می‌شد.

مرحوم میرجهانی بیش از صد اجازه از علمای بزرگ عصر خود ـ که اسامی برخی از ایشان ذکر شد ـ اخذ کرده بودند، که از جمله آنها آیت الله العظمی سید ابوالحسن

اصفهانی بود که حدود پانزده اجازه از وی دریافت کرده بود.[۱]

آیت الله میرجهانی پس از رحلت استادشان آیت الله العظمی آقا سید ابوالحسن اصفهانی به اصفهان بازگشتند و در اصفهان به تبلیغ و نشر فرهنگ و معارف اهل‌بیت علیهم‌السلام پرداختند.

وی بعد از مدتی در (۱۳۷۱ ق) برابر با (۱۳۳۰ ش) به مشهد الرضا علیه‌السلام هجرت نمود و در آنجا سکنی گزید.

ایشان در مدت اقامتشان در مشهد مقدس، در دو حجره‌ای که در حرم مطهر متعلق به ایشان بود، به تألیف، تصنیف، تحقیق و تدریس پرداختند و برخی از کتب خطی و قدیمی کتابخانه آستان قدس رضوی را تصحیح نمودند. وی بعد از مدتی بخاطر نامساعد بودن آب و هوای آنجا با مزاج ایشان به تهران عزیمت کردند.

اطرافیان آیت الله میرجهانی دربارهٔ وی می‌گویند: با بزرگ‌مردی چون آیت‌الله میرجهانی که می‌نشستیم، سادگی در گفتار، کردار و وضع معاش وی و هم‌چنین برخورد عاطفی و اخلاق محموده‌اش خودی و بیگانه را به خود جذب می‌کرد.

مرحوم میرجهانی بارها درباره رمز عبودیت می‌فرمودند: «رمز عبودیت و بندگی در این آیه است: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[۲] ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾.[۳] ایشان شب‌های خود را به تلاوت قرآن و نماز گذرانده و در بسیاری از ساعات شب زمزمه‌های عاشقانه‌اش با معشوق شنیده می‌شد.

در بیان ولای ایشان همین بس که حضرت آیت‌الله العظمی میلانی به درخواست خود با ایشان عقد اخوت و برادری بستند. رابطهٔ تنگاتنگ با عالم عارف عابد و

---

۱. مجله کیان، (سال ۱۳۷۱)، شمارهٔ ۱۰، ص ۶۴ـ۶۵.

۲. سوره مزمل، آیهٔ ۲.

۳. سورهٔ مزمل، آیهٔ ۴.

اسطورهٔ زمان مرحوم حاج شیخ حسن علی اصفهانی و مرحوم ملاآقاجان و سایر بزرگان از اهل معنا خود عطیه‌ای الهی به شمار می‌رود.

آیت الله میرجهانی در فنون مختلف دست داشت و در طول حیات علمی خود آثار ارزنده‌ای در معارف اسلامی به رشته تحریر درآورد.

از ایشان به قولی پنجاه و هفت اثر بر جای مانده است، که اکثر این آثار به زیور طبع آراسته نشده است. پاره‌ای از آنها عبارتند از:[۱]

۱. الدرر المكنونة في الامام والامامة وصفاته الجامعة

این کتاب ارزشمند در امام‌شناسی با سبکی عالمانه و ادیبانه در دو هزار بیت عربی سروده شده است.

این اثر در تهران توسط مکتبة الصدر در سال (۱۳۸۸ ق) به خط ناظم در یک جلد به چاپ رسیده است.

۲. مصباح البلاغة في مشكوة الصياغة

این کتاب که چند برابر نهج البلاغه سید رضی می‌باشد، شامل کلیه خطبه‌هایی است، که سید رضی آنها را جمع‌آوری نکرده و یا در آنها اختلاف روایت است.

این اثر به سال (۱۳۸۸ ق) به خط مؤلف، در دو جلد به چاپ رسیده است.

۳. جُنّة العاصمة

این کتاب از بهترین آثار در حالات حضرت زهرا علیها السلام است.

٤. نوائب الدهور في علائم الظهور

این اثر دربارهٔ حضرت صاحب الزمان ـ عج ـ بوده و در ٤ جلد تدوین شده است.

---

۱. برخی از منابع شرح حال و آثار قلمی ایشان عبارتند از: الذریعه، ج ۱۱، ص ۲۵۵؛ گنجینهٔ دانشمندان، ج ۲، ص ٤۱۰؛ مجله آینهٔ پژوهش، (۱۳۷۱ ش)، شماره ۱٦، ص ۱۱۷؛ مجله کیان، (۱۳۷۱ ش)، شماره ۱۰، ص ٦٤ ـ ٦٥؛ سبیکة البیضاء، تحقیق سید حسن فاطمی.

این کتاب در سال (۱۳۸۳ ق) به خط مؤلف به چاپ رسیده است.

۵. ولایت کلّیه

این کتاب در دفاع از حریم ولایت می‌باشد که مرحوم میرجهانی آن را با خط زیبایشان در دو جلد نگاشته‌اند، که در سال (۱۳۹۲ ق)، در تهران به چاپ رسیده است.

٦. کنوز الحکم و فنون الکلم

این اثر در حالات و خُطَبِ امام حسن مجتبی علیه‌السلام می‌باشد.

۷. مقلاد الجنان و مغلاق النیران

این کتاب مشتمل بر ادعیه و زیارات می‌باشد، که در سال (۱۳٦۰ ق) به چاپ رسیده است.

۸. السّبیکة البیضاء

مرحوم میرجهانی در این کتاب، گزارش مفصل از فعالیت‌های خود برای دست یافتن به نام اجداد خویش و اثبات سیادت خود آورده است.

آیت الله میرجهانی این کتاب را در سال (۱۳۳۹ ش)، به خط خود به چاپ رسانده و آقای سید حسن فاطمی در سال (۱٤۲٤ ق) آن را تحقیق کرده و با تطبیق مجدد عبارات اسناد و تأییدیه‌ها در صد نسخه چاپ کرده است.

۹. دیوان حیران

این اثر شامل اشعار مختلف در مدح و منقبت ائمه اطهار علیهم‌السلام است که به خط مؤلف توسط کتابخانهٔ صدر به چاپ رسیده است.

۱۰. مقامات اکبریة

این اثر در تاریخ زندگانی حضرت علی اکبر علیه‌السلام می‌باشد.

۱۱. ذخیرة المعاد

این اثر دربارهٔ ادعیه و آداب ساعات، مواعظ و نصایح است.

۱۲. سعادت ابدی

این کتاب درباره آداب تشکیل مجالس مذهبی است.

۱۳. رساله‌ای در احکام رضاع

این رسالهٔ فارسی، فقه استدلالی مشتمل بر بیش از هزار فرع در احکام رضاع می‌باشد.

۱٤. رساله‌ای در اخبار نجوم و کواکب و فلکیّات

۱۵. گنج رایگان

کشکول مانندی است، شامل برخی علوم غریبه و اخبار ولایت.

۱٦. البکاء للحسین علیه‌السلام

این کتاب در سال (۱۳۷۱ ش) در تهران توسط انتشارات کتابخانه صدر به خط مرحوم میرجهانی به چاپ رسیده است.

۱۷. روائح النسمات

این اثر نفیس شرح دعای سمات می‌باشد.

۱۸. ابصار المستبصرین

این اثر، داستانی طنزآلود در محاجهٔ شیعه و سنی است، که در سال (۱۳۷۷ ق) به چاپ رسیده است.

۱۹. شهاب ثاقب

کتابی است در رد طایفهٔ ضالّه و مضلّه.

۲۰. لوامع النور في علائم الظهور

۲۱. تفسیر امّ الکتاب

۲۲. رساله‌های متعدد در جفر، رَمْل، اسطرلاب و نجوم

۲۳. رساله‌ای در طب قدیم

۲٤. صمدیه منظوم

۲۵. رساله‌ای در ریاضیات

۲۶. رساله‌ای در شیمی

۲۷. تقریرات درس حضرت آیة الله العظمی سید ابوالحسن اصفهانی

۲۸. جزواتی در تفسیر قرآن

۲۹. جزواتی در انساب سادات

۳۰. جزواتی در اشعار فارسی

ایشان قرآنی نیز به خط زیبای خود همراه با کشف الآیات نگاشته‌اند، که دو بار به چاپ رسیده است.

آیت‌الله میرجهانی در اواخر عمر شریف و گرانبهای خود به اصفهان بازگشت و پس از عمری تلاش و کوشش در تحقیق و تصنیف کتب متعدد در علوم آل محمّد علیهم‌السلام در روز چهارشنبه بیست و پنجم آذر (۱۳۷۱ ش)، برابر با بیست و یکم جمادی‌الثانی (۱٤۱۳ق) دیده از جهان فروبست. پیکر پاک ایشان پس از تشییع در مسجد جامع اصفهان، در جوار علامهٔ مجلسی رحمه‌الله به خاک سپرده شد.

بخشی از ولایت کلّیه

دانسته شد که کتاب و سنّت با همند و از همدیگر جدا نیستند، و عترت و قرآن هر دو توأم‌اند و منفکّ از یکدیگر نیستند تا وارد شوند بر رسول خدا نزد حوض کوثر.

ونیز می‌گوییم که متشابهات اخبار و احادیث را هم به محکمات آنها باید عرضه داشت تا مردود و مقبول و صحیح و سقیم آنها شناخته شود و همچنین به محکمات کتاب باید عرضه شود معانی آنها چنانچه ذکر کرده شد. پس کتاب صامت که قرآن است هیچ وقت بی‌نیاز از کتاب ناطق که عترت و اهل بیت علیهم السلام‌اند نیست و بیان آن با ایشان است و از عرضه داشتن اخبار بر کتاب و تفسیر کتاب به اخبار دوری لازم نمی‌آید. به علّت اینکه دو جهت با همدیگر اختلاف دارد همه کتاب به اخبار عرضه نمی‌شود برای اینکه مشتمل است بر محکمات ومتشابهات هر دو نسبت به سایر مکلّفین امّا متشابه بخودی خود محتاج است به بیان و ردّ به محکمات، و همچنین است اخبار که آنها هم مشتمل است بر محکمات و متشابهات و مشکوکات که باید به محکمات کتاب و سنّت قطعیّه عرضه شود تا راست آن از دروغ آن تمیز داده شود پس اشکال دور مرتفع شد در آنچه نوشته شد نیکو دریاب. حمد سزاوار و مختص است برای خدایی که قرار داد این بنده گناه کار را متمسّک به قرآن و عترت.

لمؤلّفه:

حبّ علی به روضه رضوان نمی‌دهم — خاک درش به ملک سلیمان نمی‌دهم
دُرِّ ولایتی که نهفتم از او به‌دل — تابنده گوهری است من ارزان نمی‌دهم
در عاریت سرای جهان جان عاریت — جز در نثار حضرت جانان نمی‌دهم
یک جلوه ای زنور جمال عزیز او — با صد هزار یوسف کنعان نمی‌دهم
دست طلب زدامنشان برنمی‌کشم — دل را به غیر عترت و قرآن نمی‌دهم
یک قطره از سرشک که ریزم به یادشان — آن قطره را به گوهر غلطان نمی‌دهم
آب ولایتی که گلم زان سرشته شد — آن آب را به چشمهٔ حیوان نمی‌دهم
شد مهرشان زروز ازل پای بند دل — آنسان که نقش شد خبر از آن نمی‌دهم
سِرّی به‌دل نهفته مقفّل به نور عقل — مفتاح آن به مردم نادان نمی‌دهم
آل علی است جان جهان و جهان جان — بی‌مهرشان به قابض جان جان نمی‌دهم
با کس مرا بغیر ده و چار کار نیست — دل را به رهرو رهِ شیطان نمی‌دهم
ای غایب از نظر نظری کن به حال من — جز سر به پای تو من حیران نمی‌دهم

قرآن افضل است یا عترت؟

اگر بپرسند که قرآن افضل است یا عترت؟ جواب گفته می‌شود که بعضی قرآن را افضل دانسته‌اند. امّا آنهایی که گفته‌اند قرآن افضل است از جملهٔ ایشان مرحوم آخوند ملّا اسماعیل مازندرانی معروف به خواجوئی بوده که در اصفهان اقامت داشته و در آنجا مرحوم شده و قبر او در قبرستان تخت فولاد اصفهان است. رساله در این باب نوشته که نتیجه آن این است که در آن رساله گفته است که قرآن افضل از عترت به چهار وجه:

وجه اوّل آنکه در حدیث ثقلین قرآن مقدّم ذکر شده و این حدیث متواتر نزد

فریقین است که پیغمبر فرموده: کتاب الله وعترتی.

وجه دوّم آنکه آن حضرت ﷺ قرآن را به «اکبریّت» وصف فرموده به قول خود که قرآن را ثقل اکبر خوانده طبق بعضی از طریق‌های روایت، و عترت را ثقل اصغر.

وجه سوّم آنکه اضافه فرموده است کتاب را به خدا و عترت را به نفس خود نیز در همان حدیث.

وجه چهارم به دلیل حدیثی که روایت شده از ائمّه علیهم‌السلام در فضیلت قرآن که فرموده‌اند: کتاب الله حبل ممدود بید الله، یعنی کتاب خدا ریسمان یا طنابی است کشیده شده به دست خدا.

آن مرحوم به این چهار دلیل قرآن را افضل از عترت دانسته.

و امّا آنهایی که عترت را افضل می‌دانند در ردّ کلام آخوند و همراهان او در این باب جواب استدلالات ایشان را چنین گفته‌اند که عترت پیغمبر ﷺ افضلند از قرآن به چندین دلیل:

دلیل اوّل آنکه مجرّد تصریح به‌اکبریّت دلیل بر افضل بودن نیست زیراکه مقدّم ذکر شدن کتاب به هیچ یک از دلالات سه گانه (مطابقه و تضمّن و التزام) دلیل افضلیّت نمی‌شود زیراکه هرگاه بخواهند دو چیز را با هم ذکر کنند قهراً یکی از آن دو مقدّم بر دیگری ذکر می‌شود و بسا می‌شود که دوّمی افضل از اوّلی است نظیر آیه شریفه ﴿**اَلصَّلاةَ تَنْهىٰ عَنِ اَلْفَحْشَاءِ وَاَلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اَللَّهِ أَكْبَرُ**﴾[1] پس به موجب اخبار وارده‌ای که صلاة تفسیر و تأویل شده به نصوص صحیحه و معتبره به امیرالمؤمنین علیه‌السلام در حالتی که آن جناب افضل است از ذکر با تصریح

---

۱. عنکبوت: ٤٥.

به آنکه ذکر الله اکبر است.

و به علاوه آنکه می‌گوئیم: اکبریّت از یک جهت دلیل بر این نمی‌شود که از جمیع جهات افضل باشد، جناب عقیل مثلاً اکبر از حضرت امیرالمؤمنین بود از جهت سنّ ولی آن جناب به جمیع جهات از عقیل افضل است. و هکذا در حقّ حضرت مریم است آیه شریفه ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ** ﴾[1] (یعنی ای مریم! خدا تو را برگزید و پاک و پاکیزه گردانید بر زنهای جهانیان) دلالت ندارد بر افضلیّت مریم از حضرت فاطمه زهرا علیها السلام زیرا که نهایت اختصاص مریم به این خصوصیّت فقط تولّد یافتن حضرت عیسی است از او از روح القدس یا جبرئیل بدون پدر و امّا در سایر جهات از فاطمه افضل نیست.

دلیل دوّم اینکه اکبریّت قرآن شامل بودن او است احکامی را که در آن است نسبت به عترت علیهم السلام و واجب بودن پیروی کردن از ایشان در امور از حیث اینکه از جانب خدای تعالی نازل شده، پس اتصاف آن به اکبریّت از این جهت است. و امّا عترت از جهت اختصاص ایشان به سایر فضیلت‌هائی است که خدا به ایشان عطا فرموده چنانچه انشاء الله به تفصیل ذکر خواهیم کرد که متصف به تمام فضائل قرآن و غیر آن می‌باشند و قرآن چنین نیست.

دلیل سوّم آنکه در بعضی از احادیث معتبره تصریح شده است به افضلیّت امیرالمؤمنین علیه السلام بر قرآن چنانچه سیّد بحرینی اعلی الله مقامه در تفسیر برهان نقل فرموده که: **قال علیه السلام: عليّ بن أبي طالبٍ علیه السلام أفضل من القرآن** و این حدیث و امثال آن نصّ صریح است، و این گونه اخبار ظواهر است و ظواهر محمول است بر نصّ لا محاله.

دلیل چهارم جواب از وجه سوّم که گفته است کتاب اضافه به خدا است و

---

۱. آل عمران: ۴۲.

عترت اضافه به پیغمبر، گفته می‌شود که این دلیل تمام نیست زیراکه اضافه به رسول هم اضافه به خدا است چنانچه در احادیث بسیار از ایشان تعبیر شده است به عین الله و ید الله و جنب الله و وجه الله و اُذن الله و لسان الله و امثال اینها از اضافات تشریفیّه.

دلیل پنجم جواب از وجه چهارم که گفته است قرآن حبل الله است، می‌گوییم: عترت هم حبل الله‌اند که به دست خدا کشیده شده، ایشانند کتاب مبین و عروة الوثقائی که گسیخته نخواهد شد به‌دلیل اخبار و احادیث صحیحه و معتبره بسیار.

قرآن افضل از عترت نیست

شکّی نیست در اینکه عترت افضل از قرآنند به دلائل بسیاری که به بعضی از آنها در اینجا اشاره می‌شود انشاء الله.

دلیل اوّل آنکه حقیقت محمّد صلّی الله علیه وآله و عترت طیّبین و طاهرین او صلوات الله علیهم اجمعین اوّل مخلوقاتی هستند که آفریده شدند و شریف‌تر و گرامی داشته شده‌تر از ایشان عقلاً و نقلاً.

امّا عقلاً بحسب قاعده امکان اشرف که صنع اوّل باید اشرف ممکنات و افضل مخلوقات باشد و ایشانند عقل اوّل.

و نقلاً به مقتضای احادیث صحیحه و معتبره‌ای که از ایشان رسیده از جمله آنها که درکتب معتبره روایت شده فرمایش معصوم علیه السلام که فرموده: **أوّل ما خلق الله العقل** تا آخر حدیث، و در حدیث قدسی که کلام خداست فرموده: **وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك؛ بك أُثيب وبك أُعاقب** (یعنی به عزّت و جلال خودم قسم است که نیافریدم خلقی را که محبوب‌تر باشد به سوی من از تو، به سبب تو ثواب می‌دهم و به سبب تو عقاب می‌کنم) پس این دلیل بر

افضلیّت عقل است که اوّل آفریده خداست و مراد از آن حقیقت و نورانیّت محمّد و آل محمّد است از سایر مخلوقات که یکی از آنها قرآن است، پس عترت پیغمبر که همه از نور پیغمبرند افضلند از قرآن.

دلیل دوّم آنکه ولایت عترت احاطه دارد بر تمام مخلوقات که از جمله آنها است قرآنی که موجود است در لوح محفوظ و در سایر منازلی که دارد تا برسد به‌قرآن فعلی که جلد شده ودر دسترس مردمان است، پس ایشان ولایت دارند که برحسب اعتقاد به ولایت کلّیّه مطلقه احاطه دارند به تمام مخلوقات چنانچه حضرت امیرالمؤمنین ﷺ فرموده: **أنا الذي ولايتي ولاية الله** و دلیل بر این است نیز احادیث معتبره وارده در این باب که بعضی از آنها را فیض کاشانی اعلی الله مقامه در مقدّمات تفسیر صافی بیان و روایت فرموده که امام ﷺ فرموده: **إنّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن** تا آخر حدیث (یعنی قرار داد خدای تعالی ولایت ما اهل بیت را قطب قرآن) یعنی قرآن گرد ولایت ما دور می‌زند.

دلیل سوّم اینکه عترت ﷺ کلام الله ناطق و کتاب مبین‌اند و قرآن کلام صامت یعنی ساکت است، و دیگر آنکه قرآن الفاظ و خطوط و نقوش است و نوشته شده‌ای که تمام علم آن در نزد عترت است. پس حقیقت قرآن و علومی که از آن کشف می‌شود موجود است در حقیقت و نورانیّت امام ﷺ بر وجه اعلی و اشرف و اکمل و اتمّ، پس امام افضل از قرآن است مانند افضلیّت معانی از الفاظی که کواشفند بلکه قرآن بعضی از فضائل و مناقب امام است و حکایت کننده است از بعضی از شئون و مراتبی که خدا در آنها قرار داده.

دلیل چهارم اینکه قرآن کلام حادث و مخلوق است از جانب خدا بنا بر مذهب حق، و قدیم نیست و الّا تعدّد قدماء لازم می‌آید و آن ممتنع است، و عترت علّت غائیند برای وجود هر مخلوق و ممکن، و غایت لامحاله افضل از مغیّا است

یعنی ایشان علّت ایجاد کلّیهٔ موجودات و مخلوقاتند و اگر ایشان نبودند هیچ موجود و مخلوقی نبود چنانچه ثابت و محقّق شده که وجود مبارک حضرت خاتم الانبیاء ﷺ علّت ایجاد ممکنات است و بصحّت پیوسته و ثابت شده است که ائمّه ﷺ شریکند با آن حضرت در تمام فضائل و شئون مگر نبوّت، پس علّت غائی ایجاد موجودات و ممکنات نیست مگر حقایق مقدّسه ایشان صلوات الله علیهم.

دلیل پنجم اینکه قرآنی که موجود و در میان ماها است نیست مگر سایه و آینه و کاشفی برای قرآن موجود در عالم مثال و تمثال و اشباح و انوار و آنها همه مخلوقند از اشباح انوار ایشان؛ زیراکه ایشانند نور الانواری که روشن و نورانی شده سایر نورها از نور ایشان، پس ایشانند علّت مادّی و صوری برای آنها و همچنین برای قرآن، پس ایشان افضلند از قرآن.

دلیل ششم اینکه وجود مبارک خاتم الانبیاء ﷺ افضل است از قرآن و بصحّت پیوسته که عترت محقّقاً در همهٔ فضائل آن حضرت شریکند مگر در نبوّت تنها پس ایشان هم افضلند از قرآن.

دلیل هفتم اینکه قرآنی که پیغمبر ﷺ پس از خود باقی گذارده و خلیفه خود قرار داده همین قرآن موجود در دست‌های مردم است و علوم عترت و اهل‌بیت ﷺ محیط است به کتاب تکوینی و تشریعی و قرآن موجود در سایر عوالم علویه، و از خودشان روایت شده که فرموده‌اند: **إنّ من علمنا ما أُوتينا تفسير القرآن وأحكامه** تا آخر حدیث که انشاء الله در باب علوم ائمّه ﷺ مفصّلاً تمام حدیث و احادیث دیگر در این باب با مدارک آن ذکر می‌شود، این حدیث دلیل است بر اینکه علم قرآن چیزی از جملهٔ علوم ایشان است چنانچه کلمهٔ «مِن» در حدیث افادهٔ تبعیض می‌کند، پس ایشان از قرآن افضلند.

اگر ایراد کننده‌ای ایراد کند که این سخن منافات دارد با نصّی که در قرآن وارده شده به قول خدای تعالی که فرمود: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾[۱] (یعنی در قرآن است بیان هر چیزی) و فرموده: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[۲] (یعنی فروگذار نکردیم در این کتاب یعنی در قرآن از چیزی).

جواب گفته می‌شود: هیچ منافاتی ندارد با این دلیلی که گفتیم؛ زیراکه علوم بدائیّه و مددهای تازه‌ای که در هر روز و شب و در هر شب جمعه در عرش و در شب‌های قدر بلکه هر لحظه و هر آنی به ایشان می‌رسد فیض تازه‌ایست از جانب خدای تعالی بسوی ایشان.

دلیل هشتم اینکه عترت علیهم‌السلام نزدیک‌ترین درجات امکانیّه‌اند به سوی خدای تعالی؛ زیراکه ایشان با رسول خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله در مقام قاب قوسین او ادنی می‌باشند و قرآن در همهٔ منازلی که دارد محاط است نسبت به ایشان و ایشان محیطند بر آن و احاطهٔ معنویّه دارند بر سایر ممکنات، پس ایشان افضل از قرآنند.

دلیل نهم اینکه فیوضاتی که از عترت به اوّلین و آخرین می‌رسد بیشتر و تمام‌تر است از فیوضاتی که از قرآن افاضه می‌شود.

دلیل دهم اینکه امام بمنزله قلب است در عالم امکان و خدای تعالی آنها را وسیلهٔ قوام ممکنات قرار داده بر جمیع آنها که اگر نباشند زمین اهل خود را فرو می‌برد، و از مجموع احادیثی که در این باب از ایشان رسیده و بصحّت پیوسته و محقّق است اینست که قوام ممکنات به وجود ایشانست و شکّی نیست که قرآن هم از ممکنات است و بقاء او به وجود ایشانست پس مسلّماً ایشان

---

۱. نحل: ۸۹.

۲. انعام: ۳۸.

افضل از قرآنند.

دلیل یازدهم اینکه اتیان به عبادات موجب فضیلت و افضلیّت است و عترت علیهم‌السلام به موجب عبادت‌هایشان و معرفت‌هائی که به خدا دارند افضل از قرآنند، هرچند بگوییم قرآن هم مسبّح است و حمد کننده است خدا را به حکم آیهٔ مبارکهٔ ﴿ **وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** ﴾[1] (یعنی نیست چیزی مگر اینکه تسبیح می‌گوید و به حمد خدا مشغول است).

دلیل دوازدهم: اینکه قرآن از آیات و بیّنات الهیّه است و شکّی نیست که عترت علیهم‌السلام از بزرگترین آیات و بیّنات می‌باشند چنانچه حضرت امیر مؤمنان صلوات الله علیه فرموده: **أيّة آيةٍ أكبر منّي من آياتِ الله؟** (کدام آیتی است از آیات خدا که از من بزرگتر باشد) و این فرمایش نیز دلالت دارد بر افضلیّت ایشان از قرآن؛ زیراکه ایشان بمنزلهٔ غیب و روح و باطن و حقیقت آنند چنانچه آیات آن به ایشان تفسیر و تأویل شده و علم قرآن از معجزات و شئون و مراتب ایشان است که خدا اختصاص به ایشان داده و تفسیر و تأویل آن را از هر جهت بعهده ایشان گذارده.

لمؤلّفه:

آن دل که از ولای علی کامیاب نیست — در هر دو کون قابل فیض و ثواب نیست
میزان عدل حق به ولایت شود بپا — در هر دلی که هست بر آن دل عذاب نیست
در دادگاه حشر که روز جزا بود — جز با علی و آل ایاب و حساب نیست
از لات و از منات و زعزّی بپوش چشم — بعد از نبی خلیفه بجز بوتراب نیست
فرمود شهر علم منم باب من علی است — راه دخول شهر جز از راه باب نیست

---

۱. اسراء: ٤٤.

امّ الکتاب عالم امکان بود علی — در این کتاب غیر وی امّ الکتاب نیست
بعد از نبی چُو شیر خدا مرتضی علی — بر ممکنات سیّد و مالک رقاب نیست
گر بیخرد زبیخردی خواندش خدا — راهی که می‌رود ره صدق و صواب نیست
هرگز مننش خدای نخوانم ولی جدا — نبود از او چو غیر وی او را حجاب نیست
دست خدا زنور خداکی بود جدا — اشراق آفتاب جدا زآفتاب نیست
حیران اگرچه هست گنهکار و روسیاه — نومید از شفاعت ختمی مآب نیست

در کتاب مفتاح السعاده تألیف مرحوم خلد مقام کهف الانام حجّة الاسلام آیت الله الملک العلّام الورع التقی النقی الزاهد المجاهد المتقی آقای شیخ محمّد تقی مشهور به آقا نجفی اصفهانی در خاتمه آن کتاب ختومات طریفه ذکر فرموده...

مؤلف این کتاب بندهٔ گنهکار شرمسار حسن میرجهانی عفی الله عنه گوید: پس از سؤالات چند و جواب‌های آنها که نوشته که بیشتر آنها در اینجا مقتضی و مناسب ذکر نیست می‌نویسد در صفحه ۵۰۹ آن کتاب:

سؤال: معنای حدیث «**العبودیّة جوهرة کنهها الربوبیّة**» چیست و حقیقت عبودیّت چگونه است؟

جواب: حقیقت معنی عبودیّت تخلّق به اخلاق شرعیّه است و باید در جمیع اقوال و افعال و حرکات و سکنات تابع شریعت باشد و متّصف به مقام رضا و تسلیم باشد و مشیّت و اراده او تابع مشیّت الهیّه باشد. چون به این مقام واصل شود آنچه بخواهد خدا به او کرامت می‌فرماید و مخلوقات در این منزل به اختلاف مقامات خود مختلف می‌باشند و اکمل از جمیع مراتب مقام محمّد و آل محمّد ﷺ می‌باشد که آنچه مشیّت آنها به آن تعلّق گیرد مشیّت خدای تعالی به آن تعلّق گرفته است، وما یشاؤون إلّا أن یشاء الله.

و بدان که مقامات و درجاتی که برای ایشان در زیارت جامعه کبیره مسطور است «**السلام علی محالّ مشیّة الله**» و حضرت فرمودند: «**نحن أوعیة مشیّة الله إذا شئنا شاء الله وما نشاء إلّا أن یشاء الله**» و بدان که مقامات و درجاتی که برای ایشان حاصل شد همه آنها از جهت عبودیّت و بندگی بود و مشیّت آنها تابع مشیّت الهیّه بود و این حقیقت معنای عبودیّت است. و همچنین مقامات نورانیّة ایشان از مقام عبودیّت حاصل شد و آن مقاماتی است که زبان را قوّهٔ تقریر آن نیست و حاصل آن آن است که ایشان ابواب مشیّت و مفاتیح استفاضه می‌باشند و واسطه می‌باشند میان خالق و مخلوق در جمیع مراتب فیوضات و علّت غائیّه خلقت جمیع ممکنات، و اوّل و افضل و اشرف می‌باشند از جمیع ممکنات، و مظهر اسم الله که کلمهٔ جامعه است می‌باشند، و چون مشیّت ایشان اشرف از مشیّت سائر ممکنات بود لهذا مشیّت ایشان را منسوب به خدا نموده‌اند چنانچه خانه کعبه و روح حضرت آدم را نسبت به خدا داده‌اند و عیسی را روح الله نامیده‌اند.

سؤال: معنای «**وبخع کلّ متکبّرٍ لطاعتکم وخضع کلّ جبّارٍ لفضلکم، وذلّ کلّ شيء لکم**» که در زیارت جامعه مسطور است چیست؟ و گفتگوی خضوع کفّار و دشمنان ائمّه چگونه است آیا خضوع تکوینی است یا تشریعی؟ و آیا بر وجه اختیار است یا اضطرار؟

جواب: چون امام، سلطان و پادشاه عالم امکان است و جمیع ممکنات در ظلّ کفایت او است و همه ممکنات مأمور به اطاعت او می‌باشند و آنچه در عالم امکان واقع می‌شود همه به اذن او و مقرون به مشیّت او می‌باشد و قاهر است بر عالم امکان چنانچه در عالم الست و عالم ذرّ هم همین تکلیف بر قاطبهٔ ممکنات ثابت شده است پس امام بمنزلهٔ قلب عالم امکان است و احاطهٔ معنویّه دارد بر ممکنات پس همه ممکنات خاضع می‌باشند در ید سلطنت او چنانچه حضرت

امام حسین ﷺ در روز عاشورا بمحض آنکه اشاره فرمود همه ساکت شدند حتّی آنکه صدای زنگ حیوانات نیز ساکت شده بود.

حاصل آنکه همهٔ ممکنات فرمان او را مطیع و منقاد می‌باشند و همه در جنب او خاضع و خاشع هستند، و بقاء زمین و اهل آن منوط و مربوط به وجود امام ﷺ می‌باشند، و این خضوع و اطاعت مثل تسبیحی است که همهٔ اشیاء به آن مشغول می‌باشند که خدا فرموده ﴿ **وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** ﴾[1] مقصود آنکه چنانچه همهٔ ممکنات به تسبیح الهی مشغول هستند و به مقامات توحید و نبوّت و ولایت مقرّ و مذعن و مفطور و مأمور می‌باشند همچنین همهٔ آنها برای امام خاضع و خاشع می‌باشند به اذن خدای تعالی، و حدیث «**العبودیّة جوهرة کنهها الربوبیّة**» اشاره به این معنی است. پس امام آنچه را که بخواهد برای او میسّر است ولی به مقام رضا و تسلیم ثابت است و از مقام عبادت به این مقامات و درجات رفیعه فایز شده است، و در این مقام مطالبی است که رخصت در اظهار آن نیست.

و در صفحه ۵۲۲ می‌نویسد:

سؤال: در حدیث است که حضرت امیرالمؤمنین ﷺ فرمودند: «**أنا الأوّل وأنا الآخر، أنا الظاهر وأنا الباطن**» مقصود چیست؟

جواب: نور آن حضرت با نور محمّد ﷺ یکی بود و او اوّل مخلوقات بود پس او است اوّل، و دیگر آنکه امیرالمؤمنین ﷺ **أوّل من آمن بالله وأوّل من دُعي فأجاب** بودند و چون نور حضرت امیرالمؤمنین و یازده امام با یکدیگر متّحد بودند وصایت و امامت به ایشان ختم شد پس هریک از ایشان را آخر می‌توان گفت

---

۱. اسراء: ٤٤.

چنانکه فرمودند: **نحن السابقون الأوّلون ونحن الآخرون** و معنای ظاهر ظهور ولایت آن جناب است بر عرصه ممکنات و مقصود از باطن مقامات معنویّه ولایت و مقامات نورانیّت آن جناب است. و دیگر آنکه آن جناب مظهر اسم الله و اوّل و آخر می‌باشند و فرمودند: **ما لله آیة أکبر منّي** و صفات ایشان از اعظم دلائل است بر توحید صانع تعالی و دیگر آنکه چون در جمیع عوالم سماویّه و ارضیّه آن جناب از جانب حق هادی و رهنمای خلق بوده‌اند لهذا اوّل و آخر می‌باشند از این حیثیّت.

و در همان کتاب در صفحهٔ ٤٩٤ چنین نقل کرده که:

مرحوم سیّد بحرالعلوم در بعضی از مؤلّفات خود نوشته است که در شب بیست و سیّم شهر رمضان هزار مرتبه این سوره را (سوره انّا انزلناه) تلاوت کردم بعد از فراغ وارد حرم شدم، پس از حرم و زیارت و نماز شب در سجده گریه بسیار کردم، در میانه خواب و بیداری یا در عالم رؤیا حضرت امام زین‌العابدین ﷺ را مشاهده کردم که در مقابل ضریح با گردن کج ایستاده بودند و مشغول مناجات و تضرّع و زاری به درگاه الهی عرض می‌کرد: الهی بحقّ امشب که شب قدر است مرحمت خود را بر شیعیان امیرالمؤمنین و بر گریه کنندگان بر حسین نازل گردان و آنها را بیامرز، و بعد از آن مکرّر این ذکر را می‌خواندند: «لااله الّا أنت» و آنچه در حرم و رواق و ضریح بود همه با آن حضرت در این ذکر موافقت و متابعت می‌کردند.

مرحوم بحر العلوم نوشته است که: نیّت داشتم که از آن حضرت سؤال کنم که جمادات چگونه در ذکر الهی با شما موافقت دارند، آن حضرت ملتفت شدند و فرمودند: خداوند جلّ شأنه عرضه داشته است توحید و نبوّت و ولایت ما اهل بیت را بر جمیع ممکنات و همه ما را می‌شناسند و مطیع و منقاد ما می‌باشند

و اطاعت ما بر جمیع ممکنات حتم است، و همهٔ جمادات به تسبیح و تهلیل الهی مشغول هستند ولی اکثر خلائق تسبیح آنها را نمی‌فهمند.

بعد از آن فرمودند: هیچ نطفه‌ای منعقد نمی‌شود مگر به اذن امام، و احدی نمی‌میرد مگر به اذن امام، و هیچ برگی از درخت ساقط نمی‌شود مگر بـه اذن امام، مائیم ابواب فیوضات ربّانیّه و مفاتیح استفاضه، مائیم قسیم جنّت و نار، امور خلائق به اذن ما است و مشیّت ما تابع مشیّت الهیّه است.

عرض کردم: چه ثواب دارد محبّت و ولایت شما اهل بیت؟

فرمود: هرکه به ولایت و محبّت ما اهل بیت بمیرد با ما محشور شود.

عرض کردم: اجر گریه‌کنندگان بر امام حسین علیه‌السلام چیست؟

فرمود: با ثواب شهداء کربلا شریکند و از ایشان خواهند بود در روز قیامت، و هرکه بگوید: **یا لیتني کنت معکم فأفوز فوزاً عظیماً** خداوند ثواب یک حج و یک عمره به او کرامت می‌فرماید، و هرکه بر مظلومی آن جناب گریه کند تا اشک بر رخسارش جاری شود خداوند گناهان گذشته و آینده او را بیامرزد و صورت او بر آتش حرام شود، و من ضامن هستم برای او بهشت را.

عرض کردم: چه ثواب دارد برای کسی که یک نفر از شماها را زیارت کند؟

فرمودند: در قبر به زیارت او می‌رویم و او را از جمیع شدائد نجات می‌دهیم و با ما خواهد بود در روز قیامت.

کلام علّامهٔ مجلسی اعلی الله مقامه الشریف

در مجلّد اوّل مرآت العقول شرح اصول کافی در باب تعریف و اطلاقات و معانی عقل بعد از بیاناتی در صفحهٔ ۸ طبع مشیر السلطنه فرموده:

فإذا عرفت ذلك فاستمع لما يتلى عليك من الحقّ الحقيق بالبيان، وبأن لا يبالي بما

يشمئزّ عنه من نواقص الأذهان، فاعلم أنّ أكثر ما أثبتوه لهذه العقول قد ثبت لأرواح النبيّ والأئمّة عليهم السلام في أخبارنا المتواترة على وجه آخر فإنّهم أثبتوا القدم للعقل وقد ثبت التقدّم في الخلق لأرواحهم إمّا على جميع المخلوقات أو على ساير الروحانيّين في أخبار متواترة.

وأيضاً أثبتوا لها التوسّط في الإيجاد أو الاشتراط في التأثير وقد ثبت في الأخبار كونهم علّة غائيّة لجميع المخلوقات وأنّه لولاهم لما خلق الله الأفلاك وغيرها.

وأثبتوا لها كونها وسائط من إفاضة العلوم والمعارف على النفوس والأرواح وقد ثبت في الأخبار أنّ جميع العلوم والحقائق والمعارف بتوسّطهم يفيض على سائر الخلق حتّى الملائكة والأنبياء.

والحاصل أنّه قد ثبت بالأخبار المستفيضة أنّهم عليهم السلام الوسائل بين الخلق وبين الحقّ في إفاضة جميع الرحمات والعلوم والكمالات على جميع الخلق فكلّما يكون التوسّل بهم والإذعان بفضلهم أكثر كان فيضان الكمالات من الله تعالى أكثر، الخ.

يعنی: چون شناختی آن را (یعنی آنچه که از پیش گفته شد) پس بشنو آنچه را که بر تو خوانده می‌شود از حقّ ثابت که سزاوار به بیان است و به اینکه باکی نیست از آنچه ذهن‌های ناقص از آن نفرت و کراهتی داشته باشند. پس بدان که بیشتر از چیزی که اثبات آن را کرده‌اند برای عقل‌ها از روی تحقیق در اخبار متواتره، برای ارواح پیغمبر و ائمّه علیهم‌السلام بر وجه دیگری ثابت شده است؛ زیراکه ایشان (یعنی فلاسفه) اثبات کرده‌اند قدیم بودن عقل را و از روی تحقیق برحسب اخبار متواتره مقدّم خلق شدن ارواح ایشان (یعنی پیغمبر و ائمّه علیهم‌السلام) بر جمیع مخلوقات و بر سائر روحانیّین ثابت شده.

و برای عقل‌ها ثابت کرده‌اند واسطه بودن آنها را در اینجا یا شرط تأثیر بودن و حال آنکه در اخبار ثابت شده که پیغمبر و ائمّه علیهم‌السلام علّت غائیند برای همهٔ

مخلوقات و اینکه اگر ایشان نبودند خدا افلاک و غیر آنها را خلق نمی‌کرد.

و ثابت کرده‌اند که عقل‌ها واسطه‌هائی هستند از جهت افاضهٔ علوم و معارف بر نفس‌ها و روح‌ها و حال آنکه در اخبار ثابت شده است که همهٔ علوم و حقائق و معارف به توسط پیغمبر و ائمّه علیهم‌السلام بر سایر خلق حتّی ملائکه و پیغمبران افاضه می‌شود.

و حاصل آنکه به اخبار مستفیضه ثابت شده که پیغمبر و ائمّه علیهم‌السلام وسیله‌های میان حق و خلقند در افاضهٔ همهٔ رحمت‌ها و علم‌ها و کمالات بر کلّیّهٔ مخلوقات، پس هرچه توسّل به ایشان بیشتر و اعتقاد به فضل ایشان زیادتر شود فیض رسیدن کمالات از جانب خدای تعالی بیشتر خواهد بود (تا آخر کلام او اعلی الله مقامه).

تعيين الثقل الأكبر: ٧

بخشی از

خزينة الجواهر فی زينة المنابر

تأليف

آيةالله العظمی شيخ علی اكبر نهاوندی

به كوشش

مؤسّسهٔ فرهنگی شمس الضحی

موعظه بدان ای جان برادر که از برای قرآن که کلام حضرت سبحانی و اوّل کتاب آسمانی است منازلی عدیده و نزولات متعدّده است.

اوّل و اشرف از آنها همان قرآنی است که از مشیّة الله جلّ جلاله نازله شده است به نور محمّدیّه که اوّل مخلوقات و وعاء مشیّت حادثه و وکر آن است و مراد از آن نور مقدّس همان عقل اوّل است که چون باری تعالی او را خلقت نمود به او فرمود: **أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر، الحديث.**

و نظر به مفادّ حدیث معروف **كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين** در همان مقام نورانیّت نبی بوده بلکه **خلق نبيّاً وكان متّصفاً بمقام الرسالة وأعطاه الحكم والنبوّة والرسالة في أوّل الخلقة** چنانچه قاعدهٔ امکان اشرف بر این مطلب اعدل شاهد است و نبوّت و رسالت انبیاء دیگر از ساحت نور و از اشعّهٔ ضیاء و حبور آن بزرگوار است.

دویّم همان قرآنی است که مکتوب بر جبههٔ اسرافیل است و جبههٔ او مورد و منزل او است چنانچه در غیر واحد از اخبار تصریح به این شده است.

منزل سیّم آن عالم اسماء و اشباح است که از آن تعبیر به عالم نور و نور النور و عالم مثال و تمثال شده است.

منزل چهارم آن لوح المحفوظ است قال الله سبحانه: ﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي**

كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[1].

منزل پنجم آن سدرة المنتهی است و آن مقام است که جبرئیل تلقّی وحی می‌کند از ساحت آن.

منزل ششم آن لوح الموجود فی عرش الرحمن است چنانچه در بسیاری از تفاسیر مثل تفسیر قمّی و عیّاشی و برهان و نور الثقلین در تفسیر آیهٔ مبارکهٔ ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**﴾[2] از معصوم ﷺ روایت شده است که: **في العرش تمثال ممّا خلق الله في البرّ والبحر** و این عموم شامل قرآن هم می‌شود علی وجه اعلی و اشرف.

و نزول هفتم آن همان نزولی است که در لیلهٔ معراج دفعةً واحدة بر حضرت رسول نازل شده بدون توسط جبرئیل جسماً، یستفاد من الاخبار والآثار آناً ولمّا تصریحاً و تلویحاً.

منزل و نزول هشتم آن عالم مشیّت الهیّه است چه آنکه قرآن مخلوق است و حادث خلافاً للاشاعرة که قائل به کلام نفسی و قرآن را قدیم دانند پس آن در مشیّت الهیّه موجود است چنانچه کلمهٔ «کُن» اشاره به آن مقام است. در بعضی از روایات است که موسی به ساحت ربوبیّت عرضه داشت: **ربّ أرني خزائنك (قال الله تعالی) إنّما خزائني إذا أردت لشيء أن أقول له كن فيكون.** وما در عنوان اوّل از باب اوّل در ضمن تفسیر آیهٔ پنجم آن این روایت را مبسوط‌تر از این ایراد نموده‌ایم، مراجعه شود.

نزول و منزل نهم آن بیت المعمور است چنانچه از بعضی از احادیث استفاده

---

۱. واقعه: ۷۷ـ۷۹.

۲. حجر: ۲۱.

می‌شود.

نزول و منزل دهم آن قلب حضرت ختمی مرتبت است در لیلة القدر که بنا بر مفاد اخبار کثیره قرآن جملة واحدة در لیلة القدر بر قلب آن بزرگوار نازل شده است.

نزول و منزل یازدهم آن بیت المعمور بوده است در لیلهٔ بیست و سیّم از شهر رمضان و نازل شدن معنی آن است به قلب حضرت رسول کما قال الله تعالی ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[1] در مدّت بیست سال.

منزل و نزول دوازدهم آن همین قرآن موجود بین الناس الثابت بین الدفّتین است که در حدیث معروف **إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي** الحدیث، او را مقرون به عترت فرموده و این است همان قرآنی که جاری بر لسان رسول و ائمّه بوده است و همین قرآن است که بواسطهٔ روح الامین بر حضرت سیّدالمرسلین نازل شده است.

نزول و منزل سیزدهم آن وجود لفظی و کسوهٔ کلامی پوشیدن او است در السنه و افواه قاریان.

نزول و منزل چهاردهم آن مبعوث شدن او است در روز قیامت بصورت حسنه و شفاعت نمودن او است از برای قاریان خودش چنانچه مفادّ حدیث طویلی است که سعد خفّاف از حضرت باقر ﷺ روایت نموده است و ما آن را در عنوان دوّم از باب اوّل که سیزدهم روایات آن عنوان است ذکر نموده‌ایم مراجعه شود. و اشاره نموده است به بعضی از این منازل و مقامات، عالم جلیل واستاد نبیل مرحوم حاج شیخ جعفر شوشتری درکتاب خصائص الحسینیّه، و هم چنین عالم

---

۱. الشعراء: ۱۹۳ و ۱۹٤.

جلیل متقی الحاج شیخ محمّد تقی الاصفهانی المعاصر المعروف بآقا نجفی در کتاب عنایات الرضویّه.

(اشارات) **الأُولی** بدان که نظر به مفادّ فرمایش حضرت عسکری علیه السلام: **إنّ روح القدس في الجنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة على ما نقله عنه في السابع عشر من بحار الأنوار** و روایت تعلیم دادن حضرت امیرالمؤمنین جبرئیل را در عالم اشباح و انوار همانا مراد از نزول جبرئیل به حضرت ختمی مآب صلی الله علیه و آله و نازل نمودن کتاب را بر آن جناب نیست مگر به لحاظ تلقّی نمودن او از باطن محمّدیّه و به بارز و ظاهر بشریّت او رسانیدن قرآن است. و این خدمت و شرافتی است از برای جبرئیل نه از باب افتقار و احتیاج پیغمبر است بسوی او.

ولنعم ما قال في المقام بعض الأعلام وحريّ منّا أن ننقل كلامه تشييداً للمرام (قال) اعلم أنّ نزول جبرئيل على الرسول إنّما كان على حسب الحكمة البالغة الربّانيّة ولعلّه من جهة تشرّف جبرئيل بهذه الخدمة فإنّه صلّى‌الله عليه وآله معدن‌الرحمة الواسعة وهو إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه وهذا تفضّل من الله ورسوله بالنسبة إلى جبرئيل لا من جهة افتقار الرسول في تعلّمه الوحي إلى جبرئيل أو جهله بالقرآن قبل نزول جبرئيل عليه بل كان عالماً بذلك من أوّل الخلقة وقبل أن يخلق جبرئيل فقوله تعالى ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[1] معناه أعطاه العلم ولا يلزمه نسبة الجهل إلى الرسول، إلى آخر ما قال من هذا النمط من المقال. و ما درعنوان اوّل از باب اوّل در ذیل تفسیر آیهٔ هفتم آن عنوان این مطلب را بنحوی مبسوط و طرزی مربوط ذکر نموده‌ایم مراجعه شود.

الثانية: آنکه نظر به حدیث معروف که آن را عالم جلیل و سیّد نبیل جزائری در مقامات النجاة و مرحوم حاج ملّامحمّد رضای همدانی در مفتاح النبوّه و مرحوم

---

١. نجم: ٥.

آخوند ملّا نظر علی الطالقانی در مناط الاحکام نقل نموده‌اند که حضرت امیرالمؤمنین فرمودند که: آنچه علوم است در کتب منزلهٔ از آسمان همه در قرآن است و آنچه علم قرآن است همه در فاتحة الکتاب است، و آنچه در آن سوره است در بسم الله الرحمن الرحیم مندرج است، و آنچه در بسم الله است در باء او است، و آنچه در باء است در نقطهٔ زیر باء است و منم نقطهٔ تحت الباء، و ما اگرچه این حدیث را در عنوان اوّل از باب چهارم در ذیل حکایت سی وچهارم او نقل نموده و اشاره به بودن آن بزرگواران نقطهٔ تحت الباء نموده‌ایم و اشکال این حدیث را از این حیث حل ساخته‌ایم ولی چون در آن مقام اشاره به تطبیق ما فی القرآن مع فاتحة الکتاب نشده بود لذا او را عنوان و ذکر نموده و محض اظهار تطبیق مزبور بیان می‌نماییم، فنقول:

بدان که یکی از جهات تقدیم سورهٔ فاتحه بر باقی سور قرآنیّه آن است که نسبت او با جمیع قرآن که غیر او است نسبت اجمال و تفصیل است یعنی هرچه در قرآن بنحو تفصیل ذکر شده است در فاتحة الکتاب بنحو اجمال مندرج است، چه تمامت آنچه در قرآن است از تمجید و تحمید و تسبیح و تقدیس و تهلیل و تکبیر و شکر و ثناء در کلمهٔ «الحمد» مندرج است.

و جمیع آنچه در قرآن است از صفات جلال و نعوت کمال و بیان ربوبیّت و ذکر الوهیّت در کلمهٔ «الله» و «ربّ» مندرج است.

و جمیع آنچه در قرآن است از ذکر آسمان و زمین و جنّ و انس و وحش و طیر و انبیاء و اولیاء و سعداء و اشقیاء و سایر مصنوعات در کلمهٔ «العالمین» مندرج است.

و جمیع آنچه در قرآن است از بیان ارزاق و انعام و احسان و تربیت و اکرام بندگان و امهال ایشان در کلمه و لفظ «الرحمن» مندرج است.

و جمیع آنچه در قرآن است از سعت رحمت و تجاوز از معصیت و عفو گناهان در لفظ «لرحیم» مندرج است.

و همهٔ آنچه در قرآن آمده است از اثبات قدرت و عظمت و بقاء و سرمدیّت حق و تنزیه او از شرکاء و اضداد و انداد در کلمهٔ «مالك» مندرج است.

و جمیع آنچه در قرآن است از ذکر قیامت و مواقف حساب و مقامات و نعم و کرامات و احوال بهشت و درجات و اهوال دوزخ و شداید درکات و ظلمات و حساب و میزان و صراط و غیر آن در کلمهٔ «یوم الدین» مندرج است.

و تمامت آنچه در قرآن آمده از احوال عبادت و کیفیّت نماز و روزه و زکاة و حج و غیر آن در «ایّاك نعبد» مندرج است و در این کلمه مودع است.

و جمیع آنچه در قرآن است از ذکر استعانت و توکّل و طلب نصرت و فتح و امثال آن در کلمهٔ «ایّاك نستعین» مندرج است.

و جمیع آنچه در قرآن است از بیان هدایت و توفیق و تفویض و ارشاد و اعتماد و دعاء و سؤال و التجا و ابتهال و تضرّع در «اهدنا» مندرج است.

و هرچه در قرآن آمده از بیان حلال و حرام و شرایع و احکام از امر و نهی در کلمهٔ «صراط المستقیم» مندرج است.

و هرچه در قرآن است از احوال سعداء و کیفیّت طرایق و سنن ایشان و سیر و سلوک و سبب نجات و رفع درجات هریک در «صراط الذین انعمت علیهم» مودع است.

و هرچه در قرآن آمده از احوال بنی اسرائیل و قصص و اخبار ایشان از کفران نعمت و تکذیب انبیاء و قتل ایشان و اصرار بر مناهی و عذاب و غضب حق بر ایشان در «غیر المغضوب علیهم» مندرج است....

موعظة: بدان ای جان برادر که علماء اعلام اختلاف نموده‌اند در اینکه آیا

قرآن افضل است از اهل بیت یا اهل بیت افضل‌اند از قرآن؟ و چون این مقام از مزالق اقدام و مزالّ اقلام است لذا حقیر مؤلّف را در اینجا کلامی نیست و اکتفا می‌نمایم به نقل عبارت کسی که در ترجمهٔ او سیّد جلیل معاصر در روضات الجنّات فرموده:

العالم العريف والعارف العفيف والعنصر اللطيف مولانا علي أكبر بن محمّد باقر الأيجي الأصفهانيّ الفقيه المتكلّم الواعظ المتبحّر الظريف والمستغني بكمال شهرته بين الطائفة عن مؤنة التوصيف والتعريف قدّس الله روحه المنيف وروّح سرّه الشريف هو صاحب كتاب زبدة المعارف الكبير المتداول المتعارف الذي من جياد التصانيف، إلى آخر ما ذكره المعاصر في نعته من التعاريف وهو سميّي في الإسم وسهيمي في تجويد التأليف.

پس می‌گوییم: سمیّ مزبور در کتاب زبدة المعارف مذکور فرموده: بدان که از احادیث بسیار بظاهر چنان می‌نماید که ـ والعلم عند الله ـ قرآن در مرتبه و قدر و منزلت عند الله زیادتر باشد از مرتبهٔ امیرالمؤمنین و حضرات اهل بیت وحی و تنزیل و خازنان اسرار و تأویل نظر به اینکه ثقلین را فرمودند یکی اکبر است و یکی اصغر است، اکبر را قرآن و اصغر را اهل بیت بیان فرمودند، و در بعضی احادیث فرمودند یکی اطول است، و در بعضی احادیث هر دو را متساوی گرفتند و مثال به دو انگشت سبّابه زدند و هر دو انگشت سبّابه را جمع نمودند و فرمودند: «**هما كهاتين**» یعنی قرآن و اهل بیت مثل این دو انگشت می‌باشند که هیچ یک بر دیگر زیادتی ندارند پس فرمودند: **ولا أقول كهاتين** و سبّابه و وسطی را جمع نمودند یعنی می‌گوئیم مثل این دو انگشت سبّابه می‌باشند که هیچ یک بر دیگری زیادتی ندارند ونمی‌گوئیم مثل این دو انگشت باشند که وسطی زیادتر و بلندتر است از سبّابه.

پس مناسب است که دو تحقیق بشود: یکی جمع بین الاحادیث و یکی آنکه آیا قرآن افضل است از اهل بیت یا اهل بیت افضل‌اند از قرآن، یا اینکه هیچ یک را بر دیگری زیادتی نیست.

امّا اوّل پس می‌گوییم ولا قوّة الّا بالله: شاید مراد این باشد که چون فرمودند قرآن و اهل بیت از هم تخلّف نمی‌کنند پس هر طرف که قرآن می‌رود اهل بیت می‌روند و هر طرف اهل بیت می‌روند قرآن می‌رود پس چون بقدر خردل تخلّف از هیچ جانب نیست مثل را به دو انگشت سبّابه زدند که بحسب طول هیچ یک بر دیگری زیادتی ندارند که قدر زاید موضع تخلّف توانیم فرض کرد. پس این مثال عدم تخلّف است از یکدیگر نه مثال تساوی فضیلت و قدر و مرتبه باشد.

و امّا دویّم پس می‌گوئیم والاستعانة بالله والتوفیق من الله: تحقیق این مسأله بسیار امر عظیمی است و لب از او بستن بهتر است لکن چون علماء امامیّه متعرّض تحقیق او شده‌اند ما هم قدری که فهم می‌رسد مذکور می‌نمائیم.

بدان که بعضی رفته‌اند که قرآن افضل است و حجّت خود را ظاهراً آن احادیث که وارد شده به لفظ اکبر و لفظ افضل و بعضی از آنها اطول گرفته‌اند و هریک بحسب ظاهر دلالت بر زیادتی قرآن و حدیث تمثّل آن در روز قیامت به مثال شخصی جمیل و گذشتن از صفوف ثقلین و شهداء برّ و بحر و انبیاء و مرسلین هم بهتر باشد.

مؤلّف گوید: ما آن حدیث را در عنوان دوم از باب دوم ذکر نموده‌ایم که روایت سیزدهم آن عنوان است مراجعه شود. و بعموم که ملاحظه شود لازم آید افضلیّت قرآن بر رسول خدا و کسی تنطق به این قول ننموده بلکه از جمع انبیاء و مرسلین و آمدن بنزد رسول خدا بجهت رفع ابهام چنین می‌نماید که حضرت خاتم الانبیاء از صف انبیاء در آن روز بیرون بودند و چگونه عقل تجویز نماید که

الفاظ و عبارات صادرهٔ از پادشاه بواسطهٔ پیغامبری بسوی کسی افضل از آن کس باشد و رقمی را که بر حاکم فرستاده شود از جانب سلطان آن را بر حاکم فضیلت و زیادتی باشد و هرگاه عقل ابا کند از افضلیّت قرآن بر رسول خدا پس باید ابا کند از افضلیّت بر ولیّ اولیاء و سیّد اوصیاء زیرا که خداوند متعال آن جناب را نفس پیغمبر ﷺ گرفت و اطلاق «انفسنا» بر او نمود در آیهٔ مباهله ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ** ﴾[1] و به اجماع مفسّرین از سنّی و شیعه مراد به «انفسنا» امیرالمؤمنین بود. پس هرگاه امیرالمؤمنین نفس پیغمبر باشد و پیغمبر افضل از قرآن بود پس آن جناب هم افضل از قرآن باشد.

وجه دیگر در احادیث لا تعدّ ولا تحصی مذکور است که: **یا علیّ! روحك روحي ونفسك نفسي ولحمك لحمي ودمك دمي** یعنی: ای علی! روح تو روح من است، و جان تو جان من است، و گوشت تو گوشت من است، و خون تو خون من است. و به جبرئیل فرمودند: **هو منّي وأنا منه** او از من است و من از اویم پس هرگاه اتحاد روحانی و جسمانی تحقّق یافت میان این دو گوهر پاک، پس افضلیّت قرآن بر یکی و مفضولیّت قرآن از دیگری صورت نمی‌پذیرد.

وجه دیگر در احادیث بسیاری وارد شده که من و علی یک نوریم که خداوند فیّاض ما را خلق نموده پیش از ایجاد عالم به چندین هزار سال که نه ملک مخلوق و نه فلک و نه بسیط و نه مرکب موجود نشده بود و ما در سرادقات عزّت و جلال بودیم و تسبیح می‌نمودیم و شرک نیاوردیم طرفة العین به خداوند و بعد از اینکه ما را واسطهٔ ایجاد افلاک و ملائکه نمودند و ملائکه را خلق کردند ایشان نظر به عظمت و بهاء و نور ما نمودند و در مقام عبودیّت و تقدیس و تسبیح ما

---

۱. آل عمران: ۶۱.

برآمدند پس ما تسبیح نمودیم خداوند معبود خود را، پس ملائکه از تسبیح ما تقدیس و تسبیح حق نمودند، و از تهلیل ما تهلیل حق نمودند، اگر ما تعلیم نمی‌کردیم ملائکه را آنها خداوند خود را نمی‌شناختند. واینکه حضرت فرمودند پس ما را سپردند در صلب آدم و از این جهت آدم مسجود ملائکه شد پس از صلب به رحم و از رحم به صلب تا اینکه در صلب عبدالمطّلب و از آنجا من و علی در دو صلب قرار گرفتیم، آن نور دو نیم شد: نور من در صلب عبدالله و نور علی درصلب ابوطالب. پس هرگاه هر دو یک نور بودند پس باید بروجه حقیقت باشد نه مجاز، و بر تقدیر حقیقت البته امیرالمؤمنین افضل خواهد بود از قرآن چنانچه پیغمبر افضل آمد.

وجه دیگر در حدیث بسیار وارد شده است که قرآن تمام در مدح ما اهل بیت است و در مذمّت دشمنان ما و احکام مشتمل بر فرایض و سنن، پس هرگاه قرآن تمام در مدح ایشان باشد چگونه افضل می‌شود از ممدوح و تمام در وصف ایشان است چگونه صفت افضل از موصوف می‌شود؟! و احادیث متعدّده وارد شده، پاره‌ای از آنها این است که قرآن سه ثلث است: ثلث آن در مدح ما اهل بیت، و ثلث آن در مذمّت دشمنان ما است، و ثلث آن قصص است و احکام، و در پاره‌ای از آن احادیث فرمودند که چهار ربع است و قصص را یک ربع و احکام را ربع دیگر قرار دادند.

مجملاً جماعتی که قرآن را افضل می‌دانند اگر از قرآن اراده کرده‌اند همین نقوش مرتسمهٔ بر صفحهٔ کاغذ را که حاکی از الفاظ و عبارات دالّهٔ بر معانی و علوم و حقایق و احکام و بطون و اسرار می‌باشد بسیار جرأت نموده‌اند زیراکه مابین الدفّتین نقوش مرتسمه و حکایت از الفاظ و کلمات می‌نماید، در این صورت الفاظ وعبارات قائمهٔ بنفس مقدّس جناب امیرالمؤمنین که ذات مقدّسش

در عالم انوار با ذات مقدّس حضرت خاتم الانبیاء در عالم انوار و اشباح و اظلال اتحاد می‌داشتند چگونه الفاظ وعبارات بین الدفتین فضیلت و زیادتی داشته باشد بر جوهر قدسی و ذات قدّوسی حضرت ولایت پناه مرتضوی؟! بلکه شرافت و فضیلت الفاظ قرآن به اعتبار معانی است که در قالب الفاظ و عبارات تجلّی نموده و شرف نقوش به اعتبار حکایت از الفاظ است و شرف کاغذ به اعتبار محلّیّت نقوش است، و شرف جلد به اعتبار مجاورت با کاغذ است، پس هرگاه تأمّل نمائی شرف امیرالمؤمنین و اهل بیت عصمت و طهارت و فضیلت ایشان بر نفس مرتسم در قرطاس بلکه بر الفاظ و کلمات مدلولهٔ از نقوش به مراتب بسیار و تفاوت بیشمار بظهور می‌رسد، بلکه می‌توان گفت که مؤمن کامل الایمان شرف داشته و افضل بوده باشد از مابین الدفّتین.

و اگر مراد از قرآن علم الهی بوده باشد و اطلاق آن بر مابین الدفّتین مجاز بوده باشد در این صورت علم مادام که تجلّی ظهور در خاج نداشته باشد عین ذات مقدّس الهی است که را یارای آنست که در آن مقام سخن گوید! وهرگاه علم را به اعتبار تجلّی و ظهور در مظاهره ملاحظه بنمایند یک مظهر از مظاهر علم الهی مابین الدفّتین و یک مظهر روح مقدّس امیرالمؤمنین و ذات قدسی آن جناب است و چنانچه مظهر علم الهی می‌باشد مظهر قدرت الهی نیز می‌باشد، و مظهر سایر صفات کمال الهی نیز می‌باشد. و از این جهت از خود خبر داد که: **أنا ید الله، أنا قدرة الله، أنا عین الله، أنا جنب الله، أنا لسان الله، أنا کلام الله** وقرآن یعنی مابین الدفّتین بجز اینکه بزبان حال گوید: **أنا کلام الله الصامت** سایر مراتب را نتواند ادّعا نمود و در این ادّعا مقابل آن امیرالمؤمنین فرموده: **أنا کلام الله الناطق** و امیرالمؤمنین گفت: **أنا ید الله أنا قدرة الله الخ** و قرآن این ادّعاها را ننمود، و هر کجا که می‌گوئیم قرآن مابین الدفّتین مراد است پس امیرالمؤمنین مظهر اسماء

حسنی و مظهر تمامی صفات کمال حق می‌باشد و آینهٔ حق است که آنچه در کنز مخفی بود عکس‌پذیر شد در نفس مقدّس خاتمیّت و از آنجا بنفس ولایت.

ونعم ما قال بعض المحقّقین: لا معنی لتفضیل کلام المؤلّف من الحروف والأصوات المخلوقة تبعاً للأجسام البالیة الغیر القارّ الذات الحاوي للفقه العادم للفقاهة وغیرها من الکمالات الإنسانیّة علی النفوس المقدّسة الکاملة المتأصّلة في الوجود المشتبهة فـي محامدها ومحاسنها بالربّ المعبود الواجب الوجود؟!

و اگر کسی اعتراض کند و گوید قرآن هادی است و مقتدی به و حاکم است، جواب گوییم: حق این است کـه: **إنّه نور وسراج منیر أنزله الله مـعهم لیسـتضیئوا بضوئه ویستنیروا بنوره وترجیح السراج علی من شعل له السراج ممّا یأبی عنه بدیهة أهل العرفان والقدح فیما یحکم به البدیهة ممّا یوجب رفع الأمان.**

و اگر قرآن بمجرد اینکه واسطهٔ هدایت بوده اشرف باشد لازم آید که جبرئیل العاقل المدرک اولی باشد در اشرفیّت و افضلیّت و حال آنکه جـبرئیل افـتخار می‌نمود به خدمتگذاری ایشان و التماس می‌کرد که مرا از زمرهٔ خود بگردانید.

و آنچه بر این بی‌بضاعت ظاهر شده از تتبّع احادیث ایشان از مناقب و مفاخر و کیفیّت ولادت و آنچه بظهور رسیده از ایشان در وقت ولادت از خواندن قرآن و کتب آسمانی و آنچه خبر دادند از خود قبل از اینکه در بدن عنصری تجلّی نمایند، این است که علوم ایشان بطریق اجتهاد و اکتساب از آیات قرآن نبود بلکه چنانچه الفاظ و آیات در ظرف مدّت بیست سال تدریجاً از بیت المـعمور بـه واسطهٔ جبرئیل می‌رسید بجهت امّت بود و جواهر مقدّسهٔ مجرّده و نفوس قدسیّهٔ الهیّه از عوالم وجود مظهر علم باری تعالی شدند چنانچه آیات قرآنی مظهر علم ربّانی گردید، بعد از بعثت پیغمبر انوار مقدّسه مظهر علم الهی شدند در نشأت عوالم و مراتب وجود پس علوم ایشان و علوم قرآن مطابق یکدیگر شد و این

آیات و کلمات حجّت خداوند شد بجهت این است و قرآن نازل نشد که معلّم باشد ایشان را و ارشاد نماید بلکه نازل شد که بیان کند مناقب و محامد و مفاخر ایشان را و روشن نماید علوّ شأن ایشان را و اظهار نماید قدر و مرتبهٔ ایشان را.

مگر غافلید ای شیعیان از آنچه خبر داده‌اند از جلالت شأن خود، اگرچه در این مقام مطلب بیان شأن قرن است نه نقل قدر و مراتب اوصیاء آن حضرت ولکن سخن می‌کشاند سخن را، فرمودند: **أنا النقطة تحت الباء.**

مؤلّف گوید: ما در ضمن حکایت سی و چهارم از عنوان اوّل از باب چهارم بیانی از این کلمهٔ مبارکه و شرحی در توضیحش نقل نموده‌ایم، مراجعه شود، بعد فرمودند:

أنا وجه الله، وأنا جنب الله، وأنا يد الله، وأنا القلم الأعلى، وأنا اللوح المحفوظ، وأنا أُحيي وأُميت بإذن ربّي، وأنا عالم بالضمائر والقلوب، والأئمّة من أولادي يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبّوا وأرادوا لأنّ كلّنا واحد: أوّلنا محمّد وآخرنا محمّد وأوسطنا محمّد وكلّنا محمّد، فلا تفرّقوا بيننا، ونحن إذا شئنا شاء الله وإذا كرهنا كره الله، والويل كلّ الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيّتنا وما أعطانا الله ربّنا، ومن أنكر شيئاً ممّا أعطانا الله فقد أنكر قدرته ومشيّته.

ومن كلامه عليه السلام: كنت وليّاً وآدم بين الماء والطين.

وقول الصادق عليه السلام: إنّ الصورة الإنسانيّة أكبر حجج الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل الذي بناه بقدرته وهي مجموع صور العالمين وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ وهي الشاهد على كلّ غائب وهي الحجّة على كلّ جاحد، وهي الصراط المستقيم، وهي الطريق المحدود إلى كلّ خير، وهي السبيل الممدود بين الجنّة والنار.

مجمل از مفصّل آنکه آنچه از فواضل و فضایل و مناقب و مفاخر که در شأن

قرآن گفته شده و توان گفت در شأن امیرالمؤمنین شایسته است که گفته شود بلکه گفته شده است و چه بسیار از محاسن و مناقب و کمالات که در پس پردهٔ خفا باقی مانده بجهت خود از اعادی یا بجهت عدم طاقت شنونده، چنانچه حضرت خاتم الانبیاء فرمودند که: یا علی! می‌ترسم دربارهٔ تو بگویند آنچه دربارهٔ مسیح گفتند و الّا هر آینه از مدایح و کمالات تو را به جلوهٔ بیان درمی‌آوردم و همین بس است تو را یا علی که تو از منی و من از توام.

و در حدیث وارد شده که آیهٔ ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي** ﴾[1] و هم چنین آیهٔ: ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ** ﴾[2] در شأن ایشان وارد شده و چه بسیار از اوصاف و وجوه شرف ایشان را می‌باشد از جهت جامعیّت معنی انسانی که نسخهٔ صغیر عالم ملک و ملکوت و جبروت و لاهوت است، چنانچه مقدّس پناه امیر علیه السلام فرمودند در وقتی که به زیارت مرقد منوّر رسول آمدند و این است کلام ایشان علیه السلام: **اللّهمّ هذا أوّل العدد وصاحب الأبد ونورك الذي قهرت به بواسق الظلم وغواسق العدم منك وبك ولك وإليك، روحه نسخة الأحديّة في اللاهوت وجسده صورة معاني الملك والملكوت، وقلبه خزانة الحيّ الذي لا يموت، طاوس الكبرياء وحمام الجبروت.**

و هرگاه این فقرات در شأن ایشان گفته شود و نفس ولایت مآب نفس ختمی پناه شد (للآیات والروایات الّا النبوّة وخصائصها) پس نتوان بر او کلام را ترجیح داد چه جای آنکه بین الدفّتین را ادّعا کند، بلکه این ادّعا را نفس خالی از غرض و آفت تنفّری می‌دارد که تشمئزّ منه النفوس ویتنفّر عنه القلوب.

---

۱. کهف: ۱۰۹.

۲. لقمان: ۲۷.

اعتراض: اگر بگوئی که بعد از ورود اخبار مستفیضه بطرق متعدّدهٔ متجاوزه از سیصد و سی طریق چنانچه ارباب حدیث از مؤالف و مخالف ثبت نموده‌اند بر اکبریّت و افضلیّت و اطولیّت از سیّد أعظم و صدّیق معظّم، چگونه ادّعاء خلاف توان نمود؟

و جواب این است که بعد از وفور ادلّهٔ عقلیّه و نقلیّه توجیه این احادیث را می‌نماییم بر وجهی که رفع منافات شود و آن به چند وجه است:

اوّل آنکه اکبریّت به جهت ابهام است و کلّیّت چنانچه کبری را در قیاس منطقی کبری گویند از جهت اشتمالش بر سور کلّی و صغری را صغری گویند به جهت جزئیّت و تعیّن ولو بالاضافه، و چون قرآن من حیث الدلاله کلّیّه و ابهام می‌دارد و اختلاف مذاهب و فرق به جهت این است که قرآن ذو محامل و ذو وجوه مختلف است و افهام و اذهان نیز مختلف می‌باشد هر فرقه‌ای از روی فهم خود تفکّر نموده و بقدر فهم خود از قرآن بهره‌ای برده، و ندانستند که پیغمبر ﷺ خطیب که مخزن اسرار آن کلام بود وصیّت نمود که متمسّک به ثقلین بشوید چون می‌دانست که قرآن کلامی است که مستقلّ در ارشاد گروه مختلفه نمی‌تواند بود بلکه مبیّن می‌خواهد. پس عترت و اهل البیت در بیان رفع ابهام مانند صغری و قرآن در ابهام و عموم مانند کبری است. و این توجیه وجیه است و رفع منافات به آن می‌شود.

دویّم احتمال می‌رود که اکبریّت به نظر و به زعم خلق باشد چون غالب امّت در آن وقت منافقین بودند و غیر منافقین هم غالب از ایشان بی‌خبر از قدر و مرتبه و شأن أهل بیت بودند چنانچه حضرت مقدّس نبوی فرمودند: یا علی! مثل تو در میان امّت مثل قل هو الله احد است به جثّه کوچکی و بقدر ومرتبه بلندی، چنانچه سورهٔ قل هو الله سوره‌ای است بحسب ظاهر کوچکتر از سور قرآنی و

بحسب باطن از همهٔ سور قرآنی بزرگتر، و تابحال علماء زبردست و پهلوانان در تعمّق و فکر در این سوره فکرها کرده‌اند و استنباط دقایق و غرائب از بحر توحید و مضمون آن نموده‌اند و همگی معترف به عجز از احاطه به کنه و تمامی معانی آن نموده‌اند.

مؤلّف گوید:

ما در آیهٔ هفتم از عنوان اوّل از باب اوّل تفسیری از برای این سورهٔ مبارکه که با مراتب اربعهٔ توحید از توحید ذاتی و صفاتی و افعالی و عبارتی بیان نموده‌ایم مراجعه شود که بسیار مناسب است با مقام، و نیکو گفته مولانا رجبعلی برسی در کتاب مشارق انوار الیقین فی فضائل امیرالمؤمنین، گفت: مثل آن جناب مثل آفتاب است که بحسب مشاهده کوچک است و بحسب واقع سیصد و شصت برابر زمین است.

پس اگر پیغمبر اطلاق اصغریّت نموده باشد بر اهل بیت نظر به مشاهدهٔ ظاهر اهل ظاهر و دیده‌های خفّاش صفت این امّت است پس چون بقدر عقول ایشان سخن می‌گفتند مطابق عقول ایشان اصغریّت مناسب بود بر اهل بیت اطلاق شود پس کلامی از آن مدینهٔ علم بظهور رسید. خدا جان ما را فدای او بگرداند که خواص و عوام و دوست و دشمن همگی بهره‌مند شوند و از شنیدن این کلام تزلزلی و اضطرابی در آن حاصل نشد خواص کوچکی او را مانند کوچکی قل هو الله احد و عوام خفّاش صورت کوچکتر از قرآن بحسب مرتبه دانستند و چنین هم می‌دانستند. پس مخالف با فهم ایشان نگفت که وحشت کنند چنانچه در امر خلافت چون شنیدند پس گفتند: اگر از جانب خود قبول می‌کنی خلافت او را ما قبول نمی‌کنیم و اگر از جانب خدا است: **اللّهمّ أنزل علینا حجارة من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم.**

در این مقام زیاده بر این مناسب نیست، بگذار این مسأله را و اگر اضطراب می‌داری علم او را محوّل کن به خدا و بگو خدا داناست. و جزء ایمان نیست تحقیق و ترجیح این دو بزرگ و تعادل آن دو سپرده شدهٔ رسول خدا، و از خدا طلب نما توفیق معرفت و بندگی را و الله الموفّق والمعین، انتهی کلامه رفع الله درجته فی اعلا علّیّین.

مؤلّف گوید:

امّا در تحقیق اوّل آن مرحوم که در جمع بین اخبار نمود از تشبیه نمودن حضرت رسول قرآن را با ائمّه مثل دو انگشت سبّابه نه مثل سبّابه و وسطی و فرمود که این تشبیه بلحاظ عدم تخلّف آنهاست از یکدیگر اگرچه جمع وجیهی است ولی اوجه از آن این است که گفته شود که این تشبیه بلحاظ تساوی آنهاست در مقام هدایت رعیّت بعد از پیغمبر ﷺ، چه آنکه این امر بر امّت واضح بود که ﴿ **إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾[1] ولی دربارهٔ عترت هدایت به این درجه را یا نمی‌دانستند یا نمی‌خواستند اذعان بنمایند هدایت و هادی بودن آنها را به مثل قرآن، پس پیغمبر شناسانید ایشان را که حال عترتم در مقام هدایت خلق با حال هدایت قرآن مساوی است و چنانچه مردم بی‌نیاز از قرآن نیستند بی‌نیاز از عترت هم نیستند چه آنکه چنانچه قرآن مبیّن بصیغهٔ مجهول است عترت هم مبیّن بصیغهٔ فاعلند. پس هر دو از قرآن و عترت دو جزءاند که به هر دو تمام می‌شود سبب معرفت و تحصیل می‌شود هدایت.

و امّا در جواب‌های از اعتراض وارد بر تحقیق دوّم که ترجیح عترت بود بر قرآن، دو وجه دیگر در نظر است که به آنها هم می‌شود رفع نمود تنافی

---

۱. اسراء: ۹.

بـین اخبار را:

وجه اوّل

آن است که اطلاق اکبریّت بر قرآن همانا به‌لحاظ تأدیب حضرت رسول است از او، چه آن کتاب خداوند و رقم سلطان السلاطین است پس او را نسبت بـه عترت خود که بمنزلهٔ نفس خودش بودند اکبر خواند **إجلالاً لسلطان الله وعظمته وکبریائه وهضماً لأنفس عتره التي هي بمنزلة نفسه الشریفة، وهذا الأدب فـي مـحلّه وممدوح عقلاً وعرفاً علی ما یشاهد بالنسبة إلی السلاطین المجازیّة.**

وجه دوم

آن است که اکبریّت و افضلیّت در اخبار را همان اطولیّت بدانیم و آن سه لفظ را اشاره به یک وصف بدانـیم و بگـوییم کـه آن هـمان وصـف اطـولیّت است وتوصیف قرآن را به همین وصف به جهت مشابهت او است به حبل مـمدود، چنانچه در اخبار است که: **أحدهما أطول من الآخر کتاب الله حبل ممدود من السماء إلی الأرض طرف بید الله وطرف بأیـدیکم فـتمسّکوا بـه** و ادات تشـبیه را حـذف فرموده محض اینکه این تشبیه ابلغ بوده باشد.

و نظر به همین ابلغیّت است که علماء بیان محذوف الأدات را در تشبیهات شبیه مـؤکّد نامیده‌اند و تـشبیه در این مقام بـلحاظ دو طـرفش از قـبیل تشـبیه معقول است به مـحسوس و وجـه شـباهت آن اتـصال او و بـودن او است از چـیزهایی که به آن متمسّک می‌شوند، چه آن تـنزیلی است از جـانب خداوند عـالمیان که نازل نموده است او را جبرئیل به مرأی ومسمع امّت بجهت هدایت ایشان به او، و چنگ زدن به آن مثل ریسمانی که از آسمان آویخته شده باشد و اگرچه عترت طاهره هم دارای همین وصف هستند زیرا که آنها هم منصوب از جانب حضرت ربّ الارباب و مالک الملوک‌اند ولی کلام ربّـانی و اوّل کـتاب

آسمانی **أظهر امتداداً وأبین اتصالاً** می‌باشد از آنها، پس از این جهت او را توصیف به اطولیّت فرمود.

و یا اینکه گوییم: توصیف به اطولیّت شاید بلحاظ آن باشد که قرآن در همهٔ اوقات و زمان و قُریٰ و بلدان ممکن است دسترسی رعیّت به آن، بـه خـلاف عترت خصوصاً در این ایّام غیبت.

فهرست آیات

ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۱۷۸

ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۱۸۵

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ ۱۸۰

الٓمٓ، ذٰلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ۱۷۷

إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ۷۷

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۲۵۷

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ..... ۲۱۸، ۲۱۹، ۲۲۱

إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ..... ۱۵۲، ۱۵۳

إِنَّ ٱللّٰهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ ۳۲۸

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ ۲۴۹

إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۱۸۶

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۲۴۹

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ..... ۱۸۸، ۲۱۸

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ..... ۸، ۶۵، ۱۰۶، ۲۲۷، ۲۲۸، ۳۵۹

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ، لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ..... ۷۲، ۱۳۰، ۱۳۷، ۲۵۳، ۳۴۴

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۶۳

أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ٢٧١
أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلاَفاً كَثِيراً ٥٣
أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ٥٩
بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلظَّالِمِينَ ،
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَن لاَ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ١١٣
بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ..... ١٣٩، ١٨٠
بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ..... ٦٣، ٧٢، ٢٥٣
ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ٢٣٦
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ٨٤
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ٨٤
الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ٥٤
حم ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ١٧٧
رَبَّنَا آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ ٨٨
الرَّحْمٰنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الإِنْسَانَ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ..... ٦، ١٧٧
سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلاَنِ ٩٠
الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ٣٢٧
عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً ، إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ٨٧
عَسْتَقَ ١٧٧
عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحمُوداً ..... ٢٦١، ٢٦٢
عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ٣٤٦
عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ..... ١٤٠، ١٤١، ١٤٢
فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِه وَ النُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنا وَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٥

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّت وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ، وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۲۵

فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً ۲۶۳

فَأَيْنَما تُوَلُّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ ۲۷۷

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۷۰

فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۲۱۹

فَلَوْ لاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ، وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۲۷۴

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّٰهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ..... ۱۵۰، ۳۵۱

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۱۴۵

قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي ۳۵۶

قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۱۷۸

قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ، أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۱۴۳

كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ۱۳۱

كُونُوا قِرَدَةً ۲۵۲

لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۱۵۶

لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ۱۷۷

مَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۱۷۸

مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ..... ۱۲۹، ۱۷۵، ۳۳۲

مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۱۲۸

مَا يَأْتِيهِم مِن ذِكْرٍ مِن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۵۹

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ..... ۲۱۸، ۲۱۹، ۲۲۰

نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ١٠٣
نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلأَمِينُ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ..... ١٣١، ٣٤٥
وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ١٣٠
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ..... ٣٨، ١٦٤، ٢٢٦، ٢٢٧
وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ ٣٠٢
وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ١٢٧
وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلاَمَ ٱللّٰهِ ٢١
وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ٣٤٤
وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ..... ٣٣٣، ٣٣٦
وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ٢٣٥
وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ٢٥٧
وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ١٩٧
وَٱدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ ٥٨
وَٱللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ٥٢
وَٱلْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ ٩٥
وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ٢٧٤
وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ..... ١٤٦، ١٤٧، ١٧٦
وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ٧٧
وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ١٤٧
وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ١٥٢
وَلَذِكْرُ اللّٰهِ أَكْبَرُ ١٥٤
وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ١٤٤

وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ۳۵۶
وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۱۷۳
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۲۴۷
وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ..... ۱۸۸، ۲۱۸
وَ مَا كـانَ هذَا القُـرآن أن يُـفْتَرَى مِن دُونِ اللّه وَلَـكن تَـصْدِيق الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيل الكِتاب لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَبِّ العالَمِينَ ۶
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ۱۸۳
وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ، إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْيٌ يُوحىٰ ۶۷
وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ۱۵۴
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۱۱۶
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ۳۳۲
هٰذَانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۱۵۱
هٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۷۵
هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۱۴۱
يَا أَيُّـهَا الرَّسُـولُ بَـلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّـكَ وَإِن لَمْ تَـفْعَلْ فَمَا بَـلَّغْتَ رِسَالَـتَهُ وَاللّهُ يَـعْصِمُكَ مِـنَ النَّاسِ. ۶۸، ۱۱۳، ۲۱۰
يَا حَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ۲۲۱
يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۱۸۵
يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۱۳۴
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ۱۱۵
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ..... ۲۴، ۲۵، ۴۴، ۱۹۴

فهرست روايات

آل محمّد هم حبل الله المتين الذي أمر، ٢٢٥
آية هي أكبر منّي، ١٥٤
ادعوا لي عمّي العبّاس، ١٦٢
إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، ١٤٧
إذا أراد أحدنا أن يأتي أهله ضرب الله، ١٥٠
إذا جمع الله تعالى الأوّلين والآخرين، ٢٥٥
إذن تصدّقه يابن درّ، والله لا تزول قدم يوم، ٢١٥
اسم الله غير الله وكلّ شيء وقع عليه اسم، ٢٣٦
اعلم أنّ أميرالمؤمنين أفضل عند الله من، ١٠٥
اعلموا أيّها الناس إنّ لنا مع كلّ وليّ، ٢٧١
اللّهمّ إنّك أنزلته على نبيّك محمّد ٦ مجملاً، ٧٨
اللّهمّ فكما جعلت قلوبنا حملة وعرفتنا برحمتك، ٨٢
اللّهمّ هذا أوّل العدد وصاحب الأبد ونورك الذي، ٣٥٦
الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً، وليست، ١٠٦، ٢٢٦
الإمام يهدي للقرآن والقرآن يهدي للإمام، ٢٢٩
إنّ الّذي قال رسول الله يوم غدير خمّ في حجّة الوداع، ٢٩، ١٨٩، ١٩٧

إنّ الصورة الإنسانيّة أكبر حجج الله على خلقه، ۳۵۵
إنّ القرآن مأدبة الله وآياته خزائن العلم، ۷۰
إنّ الله أوحى إلى الدنيا أن اتعبي من، ۱۹۳
إنّ الله أوّل ما خلق محمّداً وعترته الهداة المهديّين، ۱۲۸
إنّ الله تبارك وتعالى جعل لأخي عليّ بن أبي طالب، ۲۷۲
إنّ اللّه تبارك و تعالى خلق اسماً بالحروف، ٦
إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل خلق، ۱۷۱
إنّ الله تبارك وتعالى خلو من خلقه، وخلقه خلو، ۱۲۸، ۲۳۷
إنّ الله تبارك وتعالى يقول: استكمال حجّتي على، ۲۵۹
إنّ الله تعالى أعظم وأعزّ وأجلّ وأمنع من أن، ۱۸۵، ۲۱۸
إنّ الله تعالى لا يأسف كأسفنا ولكن خلق أولياء، ۲۱۸
إنّ الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا، ۲۰۹، ۲۱۲
إنّ الله جعل عليّاً عَلَماً بينه وبين خلقه، ١٦٤
إنّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، ١٦٩، ۱۹۹
إنّ الله خلق الإسلام، وجعل له عرصة، ١٦٠
إنّ الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا، ١٨٦
إنّ الله سبحانه أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه، ١٦١
إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى بن عمران ۷، ١٣٤
إنّ الله علّم القرآن، ۱۷۵
إنّ الله كان إذ لا كان، فخلق الكان، ٢٤٥
إنّ الله لا يعذّب هذا الخلق إلّا بذنوب، ۲۷۲
إنّ الله لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأُمّة، ١٧٤

إنّ الله يتجلّى لخلقه في كلامه ولكن، ١٣٢
إنّا لم نحكّم الرجال وإنّما حكّمنا القرآن، ٨٠، ١٤٨
إنّ المؤمن أشدّ حرمة من القرآن، ١٣٣، ١٦٢
إنّ المؤمن أكثر حرمة من القرآن، ٢٤٩
إنّ المؤمنين يزورون ربّهم من منازلهم في، ٢٢٠
إنّ حول العرش ألف ملك ليس لهم، ٢٦٧
إنّ داود ناجى ربّه فقال: إلهي، لكلّ ملك، ٢٥٣
إنّ عليّاً روحه روحي وطينته طينتي، ١٥٠
إنّ عليّاً من قبلي، ٢٧٠
إنّ عليّاً والطيّبين من ولده هم الثقل، ٩٤
إنّ عندي الجفر الأبيض، ١٧٤
إنّ فوق كلّ عبادة عبادة، وحبّنا أهل، ٢٧٣
إنّ في الجنّة شجرة يقال لها طوبى، ١٥٠
إنّ فيه الهدى، وفيه النور، ١٤٧
إنّ لكلّ شيء حلية، وحلية القرآن الصوت، ١٣٤
إنّ للقرآن نجوماً وعلى نجومه نجوم، ١٧٣
إنّما كلامه سبحانه فعل أنشأه ومثّله، لم يكن، ٢٤٥
إنّ محادثة العالم على المزابل خير من، ١٣٤
إنّ من حفظ القرآن وهو شابّ اختلط، ١٨٥
إنّه آلى على نفسه أن لا يضع ردائه عن عاتقه، ١٣٧
إنّ هذا القرآن فيه منازل الهدى، ٢٥٦
إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ٥٣

إنّي امرؤ مقبوض وأُوشك أن أُدعى، ٣٤
إنّي تارك فيكم الثقلين، ٩٠، ٢٣٢
إنّي تارك فيكم الثقلين : الأصغر، ٢٢٤
إنّي تارك فيكم الثقلين ، أحدهما أكبر من الآخر، ٣٥، ٢١٥، ٢١٤
إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي، ١٣٥
إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعليّ، ١٥٦
إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما، ٩٦، ٢٤٢
إنّي تارك فيكم أمرين ، أحدهما أطول من الآخر، ٣٤، ٢١٢، ٢٠٩
إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا من، ٣٨، ١٨٩، ٢٢٧، ٢٢٩
إنّي تركت فيكم أمرين لن تضلّوا بعدي، ١٨٩
إنّي قد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، ٣٧، ٢٢٤
إنّي مخلّف فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي، ٩٢، ٩٣، ١٦١
إنّي مقبوض وأُوشك أن أُدعى فأُجيب، ٢١٣
أُوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي ، فإنّي سألت، ١٠٥
أحدهما أطول من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء، ٣٦٠
أحدهما أقدم من الآخر، ٢٣١
أحدهما أكبر من الآخر، ٩١، ١١٢
أخي ووزيري وخير من أُخلّفه بعدي عليّ، ١٦١
أُشهدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله قام خطيباً، ١٩٠
أظهر الله تبارك وتعالى الإسلام على يدي، ٢٣٧
أعطاني الله عزّ وجلّ خمساً وأعطى عليّاً خمساً، ٢٦٣
أقبل أعرابيّ إلى المدينة ليختبر الحسين، ١٧٩

ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ، ٢٢٢
ألا وقد أدّيت ؟ ألا وقد أسمعت، ١١٤
ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّ، ٢٢٨
ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده، ٣٩
ألم أعلم فيكم بالثقل الأكبر وأمّرك فيكم، ٤٧
ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة، ٨٠
أمّا النبيّون فأنا، وأمّا الصدّيقون فأخي، ٢٦٠
أمّا بعد، أيّها الناس ! إنّما أنا بشر يوشك، ٤٠
أما والله يابا محمّد، ما قال بين دفّتي المصحف، ١٣٩
أنا الأوّل وأنا الآخر، أنا الظاهر، ٣٣٦
أنا الله لا إله إلّا أنا، خلقت الخلق، ٢٦٢
أنا النقطة تحت الباء، ٣٥٥
أنا أُجيبك عنها، هو القرآن يجتمعون أهل الدنيا، ٢٠٩، ٢١٢
أنا أوّل شافع وأوّل مشفّع، ٢٥٨
أنا أوّل قادم على العزيز الجبّار وكتابه، ٢١٦، ٢٢٣
أنا أوّل قادم على الله، ثمّ يقدم عليّ كتاب، ٢٢٢
أنا أوّل من يجثو بين يدي الله للخصومة، ١٥١
أنا أوّل من يُدعى يوم القيامة، وأنا أوّل، ١٢٦
أنا أوّل وافد على العزيز الجبّار، ٢٥٨
أنا ذلك الإمام المبين، ١٤٧
أنا سيّد من خلق الله عزّ وجلّ، ٦٤
أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا جنب الله، ١٨٦

أنا قسيم الله بين الجنّة والنار، لا يدخلهما، ۱۵۸
أنا كلام الله الناطق، ۱۸، ۷٤، ۷۷، ۸۱، ۸۲، ۸٤، ۱۰٤، ۱۵٤، ۳۵۳
أنا كلام اللّه الناطق، و هذا كلام اللّه الصامت، ۷، ۸
أنا من عليّ وعليّ منّي، ۱۵۰
أنا والله الإمام المبين، ۱٤٦
أنا وجه الله، وأنا جنب الله، وأنا يد الله، وأنا، ۳۵۵
أنا يد الله، أنا قدرة الله، أنا عين الله، ۳۵۳
أنت النبأ العظيم، ۱٤٤
أنت صاحب حوضي، وصاحب لوائي، ۱٦٤
أنت يا ربّ تخاطبني أم عليّ، ۱۸۲
أنزلوهم بأحسن منازل القرآن، ۱٤٤، ۱۸۲
أنّهما ليعذّبان وما يعذّبان في كبير، ۲۳۲
أوحى الله إلى رسوله: قل لفاطمة: لا تغضبي، ۲۱۸
أوّل ما خلق الله نوري ـ أو روحي، ۱۲٦
أوليس كتاب ربّي أفضل الأشياء بعد الله والذي، ۲۱۷
أيّها الناس، إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما، ۳۳، ۲۰٤
أيّها الناس، أتبكونه ولا تنصرونه، ۲۰۲
أيّها الناس، قد تركت فيكم الثقلين إن أخذتم، ۲۲۵
أيّها الناس! قد تركت فيكم الثقلين خليفتين، ۳۸
أيّها الناس، نحن في القيامة ركبان أربعة، ۲٦۵
بعث عليّاً مع كلّ نبيّ سرّاً ومعي جهراً، ۲٦۸
بنتان وأُمّ وزوجة واثنا عشر أخاً ذكراً، ۱۹٦

بينا أبي يطوف بالكعبة إذاً رجل معتجر قد قبض، ١٤٩
ترد عَلَيّ أُمّتي يوم القيامة على خمس رايات، ٢٤، ١٩١
تعلّموا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة، ٢٥٦
تمسّكوا بهذا فهذا الحبل المتين، ٢٢٦
التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وكلّ كتاب أُنزل، ٥٩
ثمّ أنزل عليه الكتاب، نوراً لا تطفئ مصابيحه، ٢٥٤
ثمّ يجتمعون في موطن آخر فيه مقام محمّد، ٢٥٨
جعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه، ٢٢٣
جميع القرآن في باء بسم الله وأنا النقطة، ١٦٩
جنب الله أميرالمؤمنين وكذلك ما كان بعده، ٢٢٠
الحالّ المرتحل، ٢٥٧
حبّك للشيء يعمي ويصمّ، ٢١٥، ٢٣٣
حبل ممدود من السماء إلى الأرض، ٩١
حبلين ممدودين طرف منهما بيد الله وطرف بأيديكم، ٢٢٥
حتّى ينطق التوراة والإنجيل، ١٧٧
حدّثني أبي عن أخيه الحسن، عن أبيه أمير المؤمنين، ٦
الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن، ١٦٣
حرمة المسلم فوق كلّ حرمة، ١٦٦، ٢٥١
حرمة المسلم فوق كلّ حرمة، دمه وعرضه، ١٦٢
حسّنوا القرآن بأصواتكم فإنّ الصوت الحسن، ١٣٤
خُذ ما صفي ودع ما كدر، ١٠٨
خلق الناس من أشجار شتّى وخلقت أنا، ٢٦٣

خلقت الأشياء لأجلك، وخلقتك لأجلي، ٦٤، ٢٤٤
خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك، ٢٣٥
خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه، ٢٥٧
دخلت على رسول الله وعيناه تفيضان، ٢٠٢
دعا رسول الله الناس بمنى، ١٦٥
دعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أصحابه بمنى فقال، ٧
ذلك إليّ إن شئت أخبرتهم، وإن، ١٤٠
ربّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه، ١٣٥
رحمك الله يا أبا محمّد، لو كانت إذا نزلت، ١٨٤
رسول الله المنذر وعليّ الهادي، ١٨٤
سادة أهل المحشر سادة أهل الدنيا: أنا وعليّ، ١٥٩
سألت الله أن يجعلها لعليّ ففعل، ١٤٧
ستكثر من بعدي الأحاديث فما وافق كتاب، ٢٦
صبراً يا أباعبدالله، ٣١، ٢٠٢
صدق سليم رحمة الله عليه هذا حديث، ٤٨
طرف بيد الله وطرف بأيديكم، ٩١
ظلّ النور، أبدان نورانيّة بلاأرواح، ١٢٨
العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة، ٣٣٤، ٣٣٦
عترته خير العتر، وأُسرته غير الأُسر، ١٥٩
عليّ بن أبي طالب حبل الله المتين، ٢٢٥
عليّ ممسوس في ذات الله، ١٨١
فاطمة مهجة قلبي، وابناهما ثمرة، ٢٢٦

فإنّما حكم الحَكَمان ليحييا ما أحيا القرآن، ١٠٢
فأمّا ما عبّرته الألسن وعملت الأيدي فهو مخلوق، ١٢٩
فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون وبينكم عترة، ١٥٥، ١٩٤
فجاءهم بتصديق الّذي بين يديه والنور المقتدى به، ٦٥
فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك، ٢٢٠
فضل أميرالمؤمنين ما جاء به أخذ به، ١٥١، ١٥٧
فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ، ١٨، ٢٨، ١٩٤
فلا يتقدّمني أحد إلّا أحمد، ١٩٨
فمعاذ الله أن يكون معه شيءٌ غيره، ٢٣٥
فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً، ١٠٢
فنبيّ أنت؟ فقال: ويلك إنّما أنا، ٥٦
فنحن أوّل خلق ابتدأه الله، وأوّل خلق عبد الله، ٢٤٤
فيقول الله لمحمّد: يعني إذا كان يوم القيامة، ٧٦
فيه علم ما مضى وعلم ما يأتي، ١٩١
قال رسول الله: أنا أوّل قادم على الله، ٣٧
قال لي جبرئيل: ذلك عليّ وشيعته، ١٢٧
قال يا محمّد، إنّي جعلت عليّاً وصيّك، ٢٦٤
القرآن آمر زاجر وصامت ناطق، حجّة الله على خلقه، ١٠٢
القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين الدفّتين، ١٣٠
القرآن أفضل شيء بعد الله، ١٤٥، ١٥٩
القرآن أفضل شيء دون الله؛ فمن وقّر القرآن، ٢١٥
القرآن أفضل كلّ شيء دون الله عزّ وجلّ فمن، ٣٧، ٥٨، ٦١، ٦٤، ٦٦، ٧٣

القرآن أكبر الثقلين وأفضلهما، ۱۱۵
القرآن حبل الله المتين، ۹۱
القرآن نزل أثلاثاً: ثلث فينا وفي، ۲۳۲، ۲۷۵
قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمان، ۱۳۲
كان أميرالمؤمنين يقول: ما للّه من نبإ هو، ۱٤۱
كأنّي أنظر وقد دعيت فأجبت، ۳٤
كأنّي قد دعيت فأجبت، إنّي قد تركت، ۳۵، ۲۱٤، ۲۲۹
كأنّي قد دعيت فأجبت وإنّي تارك فيكم الثقلين، ۳٤، ۲۰۸، ۲۱۱
كتاب الله الثقل الأكبر والثقل الأصغر عترتي، ۹۷
كتاب الله على أربعة أشياء: على، ۲۳۲، ۲۷۵
الكتاب عليّ لا شكّ فيه، ۱۷۵
كلّ حديث خالف كتاب الله فهو زخرف، ۱۲۹
كلّ دعاء يدعى الله عزّ وجلّ به فهو محجوب، ۱۸۳
كلّ شيء مطلق حتّى يرد فيه نهي، ۱۸۱
كلّ فيه فضل، كلّ حسن، ۱۸۳
كنت وعليّ نوراً بين يدي الرحمن قبل أن، ۱۲۷
كنت وليّاً وآدم بين الماء والطين، ۳۵۵
كهاتين ولا أقول كهاتين فتفضل هذه، ۱۹۰، ۲۳۰
لا تخرج ثلاثة أيّام حتّى تؤلّف كتاب الله كيلا يزيد، ۱۳٦
لا شرف إلّا بالإسلام، ۱۷۸
لا والله لا يرجع الأمر والخلافة إلى آل أبي بكر، ۲۵٦
لا يسعني أرضي ولا سمائي وإنّما يسعني قلب عبدي، ۲۵۳

لا يعرف الله إلّا أنا وأنت، ولا يعرفني إلّا، ١٥٦، ١٨١
لقد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها، ١٩٥
لكلّ شيء ربيع و ربيع القرآن شهر رمضان، ١٣٥
للّه عزّ وجلّ حرمات ثلاث ليس مثلهنّ شيءٌ، ١٦٥
للّه عزّ وجلّ في بلاده خمس حرم: حرمة، ١٦٥
لمّا أراد الله أن يخلقنا تكلّم بكلمة خلق، ٢٤٦
لمّا قبض رسول الله أقسمت أو حلفت، ١٣٧
لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله وكلّ شيء، ١٤٦
لم يزل الله يحتجّ بعليّ في كلّ أُمّة، ٢٦٧، ٢٦٨
لم يزل عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أكون، ٢١٩
لن يزل الله متفرّداً بوحدانيّته ثمّ خلق محمّداً، ٢١٧
لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ١٣٧
لو اجتمع الناس على بغض عليّ بن أبي طالب، ٢٦٢
لو اجتمع الناس على حبّ عليّ بن أبي طالب، ٢٦٢
لو استوت قدماي من هذه المداحض لغيّرت، ١٩٥
لو أنّ الرياض أقلام، والبحر مداد، ٢٦١
لو ثنّيت لي الوسادة لحكمت بين أهل، ١٥٧
لو كان هذا القرآن في إهاب لما مسّته، ١٣١
لولا أنا وعليّ ما عُرِف الله، ولولا أنا، ٢٦٨
لولاك لما خلقت الأفلاك، ١٧، ٥٤، ٦٠، ٦١، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٩٠
ليس أحد من جميع الأديان يموت إلّا رأى، ٢٧١
ليس بخالق ولا مخلوق، إنّما هو كلام، ٥٩

ليس فيما دون خمسة أوساق صدقة، ٢١٦
ما العلم إلّا ما حواه الصدر، ١٧٧
ما أظلّت الخضراء وما أقلّت الغبراء بعدي، ١٥٩، ١٦٠
ما جاء به عليّ آخذ به، وما نهى عنه، ٢٣٧
ما خلق الله خلقاً أفضل من محمّد، ٢١٦، ٢٣٨،
ما خلق الله خلقاً أفضل منّي، ٥٨
ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه، ٥٧
ما في الميزان أثقل من الصلاة على محمّد وآل محمّد، ١٨٣
ما للّه آية أعظم منّي، وما للّه من نبإ، ١٤٤
ما للّه آية أكبر منّي، وما للّه من نبإ، ٢٣٩
ما للّه آية هي أكبر منّي، ولا للّه من نبإ، ١٤١
ما للّه آية هي أكبر منّي، وما للّه، ١٤٣
ما للّه نبإ أعظم منّي، وما للّه، ١٤١
ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل، ١٧٤
ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى يوم، ٢٥٧
ما من عبدٍ من شيعتنا يتلو القرآن في صلاته، ١٣٥
المؤمن أشدّ حرمةً من القرآن، ٢٠٧
المؤمن الممتحن هو الذي لا يرد إليه شيء، ١٧٢
المتقدّم بين يديه كالمتقدّم بين يدي، ٢١٦
مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، ١٦٠
المرء بأصغريه: عقله ولسانه، ٢٣٤
المرء مقتول بما قتل به، ٢١٣

مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، ١٧٣
معاشر الناس، إنّ عليّاً والطيّبين من ولده هم الثقل، ٣٠، ٩٧، ٦٧، ٢٠٠
معاشر الناس، أمرني جبرئيل عن الله ربّي، ٢٣٤
معاشر الناس، من أحسن من الله قيلاً؟ ومن، ٢٦٤
معرفتي بالنورانيّة معرفة الله عزّوجلّ، ١٧١
معنى جنب الله أنّه ليس شيءٌ أقرب إلى الله من رسوله، ٢٢١
من أراد أن ينظر إلى إسرافيل في رفعته، ٢٦١
من أعطاه الله القرآن فرأى أنّ أحداً أُعطي، ٢٥٧
من دان الله بغير سماع ألزمه التيه إلى الفناء، ١٤٨، ١٦٨
من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة، ٢٢٦
من عسى أن يكون غيرنا، ١٣٩
من قرأ القرآن فاستظهر فأحلّ حلاله وحرّم حرامه، ٢٥٥
من كلّ خلف عدول ينفون عنه تحريف، ١١٠
من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكّب، ٢٣٢، ٢٧٣
الناس أربعة، ٢٥١
النبأ العظيم الولاية، ١٤١
نحن الحرم الأكبر، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٤
نحن أوعية مشيّة الله إذا شئنا شاء الله، ٣٣٥
نحن حجّة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ١٨٦
نحن ذكر الله ونحن أكبر، ١٥٣
نحن شجرة النبوّة وموضع الرسالة ومختلف، ١٦٤
نحن شجرة أصلها رسول الله، وفرعها عليّ، ١٦٤

نزل القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، ۲۳۲، ۲۷۵
نزل القرآن ثلث فينا وفي عدوّنا، وثلث، ۲۳۲، ۲۷۵
نزلت الأنعام جملة واحدة شيّعها سبعون ألف، ۷۰
النظر إلى عليّ بن أبي طالب عبادة، ۲۷۲
نعم ما شاء الله إلّا السجدة ويذكران الله على، ۱۸۰
نعم يا عمّار، إنّي أعرف رجلاً يعلم كم عدده، ۱٤٦
نؤوب إليه ثمّ قولوا، ۱۷۳
واجعلنا ممّن يعترف بأنّه من عندك حتّى لا يعارضنا، ۲۵۹
والطيّبين من ولده هم، ۱۱٤
والله ما للّه آية هي أكبر منّي، وما للّه، ۱٤٤، ۱٤٥
والله، ما نزلت من آية في برّ أو بحر أو سهل، ۷۵
وإنّ اللطيف الخبير عهد إليّ أنّهما لن يفترقا، ۲۲۲
وإنّ أحدهما أقدم من الآخر، ۹٤
وإنّما كلامه سبحانه فعل منه إنشاءه ومثله، ۵۹
وإنّي فرطكم وإنّكم واردون على الحوض، ۲۳، ۱۸۸
وأبوهما خير منهما، ۵٦
وأنبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا، ۲۲۲
وأهل الكتاب في ذلك الزمان في الناس، ۱۸٤
وبخع كلّ متكبّرٍ لطاعتكم وخضع كلّ جبّارٍ لفضلكم، ۳۳۵
وتركت فيكم العَلَم الأكبر وهو عليّ بن أبي طالب، ۲۰۸، ۲۱۱، ۲۱٤
وجعلته نوراً نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة، ٦۵
وحرمة القرآن على الله كحرمة الوالد على ولده، ۲۲۱

وخلّفت فيكم العَلَم الأكبر، ١٦٩
وعليّ أفضل لكم من كتاب الله، ٢١٣، ٢٢٨
وعليّ بن أبي طالب أفضل لكم من كتاب الله، ٢٠٨، ٢١١
وفضّل حرمة المسلم على الحرم كلّها، ١٦٦، ٢٥١
وقد أمر رسول الله أن يقتدى بالقرآن وآل محمّد، ٢٩، ١٩٩
وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله، ١٠١
وقوّيتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله، ٨٢
وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه، ٨٥
وكيف ملأعلماً، سلوني قبل أن تفقدوني، ١٧٧
ولا يتقدّمني أحد إلّا أحمد، ١٥١، ١٥٨
وما لم تجدوه في شيءٍ من هذه الوجوه، ١٦٨
وورثتنا علمه مفسّراً وفضّلتنا على من جهل علمه، ١٠١
وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ٨٥
هذا الكتاب وأنا العترة، ١٣٨
هذا كتاب الله الصامت وأنا كتاب الله الناطق، ٧٩، ٨٠، ١٤٨، ٢٤١، ٢٩٠
هذا هو الإمام المبين الذي أحصى الله فيه، ١٧٤
هكذا تدخل بيوت الأنبياء وأنت جنب، ١٨٠
هو المعتصم بحبل الله وحبل الله هو القرآن، ٢٢٧
هو عليّ بن أبي طالب؛ لأنّ رسول الله، ١٤٢
هي في أميرالمؤمنين صلوات الله عليه، ١٤٠
يا أبا الصلت، إنّ الله تبارك وتعالى فضّل نبيّه، ٢٢٠
يا أبا الصلت، من وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر، ٢٢٠

یا أبا بصیر، أما علمت أنّ بیوت الأنبیاء، ۱۷۹
یا أبا محمّد، قم فاغتسل، ۱۷۹
یا أبا محمّد، ما کان لك فیما کنت فیه شغل، ۱۷۹
یا أعرابیّ، هذا حبل الله فاعتصم به، ۲۲۶
یا با محمّد، اقرأه قراءة بین القرائتین، ۱۳٤
یا با محمّد، أما تعلم أنّه لا ینبغي للجنب، ۱۷۸
یابن درّ، ألا تحدّثنا ببعض ما سقط إلیکم، ۲۱۵
یابن درّ، فإذا لقیت رسول الله، ۲۱۵
یابن درّ! ألا تحدّثنا ببعض ما سقط إلیکم من، ۳٦
یابن عبّاس، إنّ أوّل ما کلّمني به، ۲٦٤
یا داود، نحن الصلاة في کتاب الله عزّ وجلّ ونحن، ۲۳۲، ۲۷۳
یا ربّ! فلان بن فلان أظمأت هواجره، ۱۰۷
یا زرارة، خُذ بما اشتهر بین أصحابك، ۱٦۷
یا سعد، أُسمعك کلام القرآن، ۱۵۲
یا سعد، تعلّموا القرآن فإنّ القرآن یأتي، ۸۵، ۱۵۲
یا سلمان ویا جندب، ۱۷۱
یا سلمان ویا جندب، إنّ معرفتي بالنورانیّة، ۱۸۲
یا سلمان ویا جندب، أنا أمیر کلّ مؤمن، ۱۷۲
یا علیّ، أنت العلم لهذه الأُمّة، ۱٦۳
یا علي، أنت حجّة الله، وأنت الطریق، ۱٤۲
یا علیّ، أنت قائد أُمّتي إلی الجنّة، ۱۵۷
یا علیّ، روحك روحي ونفسك نفسي ولحمك، ۳۵۱

يا علي، لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّاء، ٢٤٤
يا عمّار، إذا رأيت عليّاً قد سلك وادياً، ١٤٩
يا عمّار، ما قرأت في سورة يس، ١٤٧
يا فضيل، قُتل عمّي زيد، ٢٧
يا محمّد، إذا سمعت الله ذكر أحداً من هذه، ٢٣٢، ٢٧٣
يا محمّد، إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً، ١٢٧
يا محمّد، قد طُفْتُ الأرض شرقاً وغرباً فلم أجد، ٢٣٨
يا معاشر المهاجرين والأنصار، ألا أدلّكم، ٢٦٦
يا معاشر المهاجرين والأنصار ومن حضر في يومي هذا، ١٦٢
يا موسى، فرّغ لي بيتاً أسكن فيه، ١٣٢
يا هشام، مشتقّ من إله، وإله يقتضي، ٢٣٧
يأتي على أُمّتي زمان لم يبق من الإسلام إلّا اسمه، ١٤٠
يجري لآخرهم مثل الذي جرى لأوّلهم، ١٥٩، ١٧٠
يجيء يوم القيامة ثلاثة: المصحف والمسجد، ١٥١
يعني أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب، ١٧٦
يقرؤون ما يشاؤوا، ١٨٠
يقول لما أراد كونه: كن، فيكون لا بصوت، ٢٤٨
يلجم الناس يوم القيامة العرق، فيقولون، ٢٥٨
يهدي إلى الإمام، ٨

فهرست مطالب

كلمة شمس الضحى ٥

تبصرة الإخوان في بيان أكبريّة القرآن

١١ ـ ١١٧

ترجمة المؤلّف ١٣

مقدّمة المؤلّف ١٧

المقدّمة: في ذكر رسوم القرآن وتعريفاته على ما ذكره القوم ٢٠

الفصل الأوّل: في نقل الأحاديث الواردة في الباب ٢٣

تتمّة مهمّة للفصل الأوّل ٤٣

الفصل الثاني: في أجوبة الشكوك والشبهات ٤٦

وهم وتنبيه ٥٨

تنبيهٌ نبيه ٦١

تقرير حجّة ودفع شبهة ٦٥

شبهتان أُخراوان مدروءتان ٦٧

شبهة أُخرى مدروءة ٧١

شبهة أُخرى مدروءة ٧٤

تنبيه ٧٨
وهم وتنبيه ٨١
تنبيه ٨٤
شبهة أُخرى مدروءة ٨٥
الخاتمة ٩٠
أوهام وتنبيهات ٩٦
نقل كلام لتوضيح المرام ١٠١
تنبيه ١٠٥
تذنيب ١١١
وصيّة ١١٦

كشف الحجاب في تفضيل العترة على الكتاب

١١٩ ـ ٢٧٩

كلمة المؤلّف ١٢١
أمّا المقدّمة ١٢٦
البحث الأوّل ١٢٦
البحث الثاني ١٢٩
البحث الثالث ١٣٤
البحث الرابع ١٣٥
المقصد الأوّل: في الأدلّة الناطقة بأفضليّة الوصيّ على الكتاب ١٣٩
المطلع الأوّل: في الآيات القرآنيّة ١٣٩
المطلع الثاني: في الأخبار الناصّة على المدّعى في هذا الباب ١٥٦

سؤالان وجوابان ١٦٧
المقصد الثاني: في أدلّة صاحب الرسالة على أفضليّة الكتاب على الوصيّ والجوابات عنها على سبيل التفصيل ١٩١
المقصد الثالث: في نقل مذاهب علمائنا رضوان الله عليهم وبيان آرائهم في هذه المسألة ٢٤٢
القول في الخواتيم ٢٥٧
الخاتمة الأُولى: في ذكر شيءٍ من فضائل القرآن ٢٥٧
الخاتمة الثانية: في ذكر شيء من فضائل العترة الطاهرة عليهم السلام ٢٦٢
الخاتمة الثالثة: فيما جاء فيهم من القرآن ٢٧٦

مقالة فى تعيين الثقل الأكبر

٢٨١ ـ ٢٩٣
مقدّمة التحقيق ٢٨٣
معركة فكرية ٢٨٧
حول هذه المقالة ٢٨٨
متن مقاله ٢٨٩

بخشى از منبر الوسيلة

٢٩٥ ـ ٣١٤
زندگى نامهٔ آية اللّه دهكردى ٢٩٧
ولادت ٢٩٧
پدر و مادر ٢٩٧

تحصیلات ۲۹۹
استادان ایشان در اصفهان ۲۹۹
هجرت به عتبات عالیات ۳۰۱
اساتید ایشان در سامراء و نجف اشرف ۳۰۱
سامراء ۳۰۱
نجف اشرف ۳۰۳
مشایخ اجازهٔ اجتهاد و روایت ۳۰٤
بازگشت به اصفهان ۳۰۵
تألیفات ۳۰۸
وفات ۳۱۰
قرآن ثقل اکبر است یا عترت؟ ۳۱۲

بخشی از ولایت کلّیّه

۳۱۵ ـ ۳۳۹

زیست نامهٔ مؤلّف ۳۱۷
قرآن افضل است یا عترت؟ ۳۲۵
قرآن افضل از عترت نیست ۳۲۸
کلام علّامه مجلسی ۳۳۷

بخشی از خزینة الجواهر

۳٤۱ ـ ۳٦۱

موعظه ۳٤۳

اشارات ۳٤٦
موعظه ۳٤۸
سخن مؤلّف ۳۵۸

فهارس

۳٦۳ ـ ۳۸۹

فهرست آیات ۳٦۳
فهرست روایات ۳٦۸
فهرست مطالب ۳۸۵

والحمد لِلّه ربّ العالمین

وصلواته علی محمّد و آله الطیّبین الطاهرین